دكتور حسن علي دبا

# القرضاوي وذاكرة الأيام

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة ت: ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

**حقوق الطبع محفوظة لمكتبة وهبة**

**تحذيــــر**

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأيـــة وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أي نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the

رقم الإيداع : ٢١١٨٧ / ٢٠٠٣ م

الترقيم الدولي **I.S.B.N.**

**977-225-176-0**

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر ٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت: ٤٨٢٧٨٥١

بسم الله الرحمن الرحيم

# قبل البدء

حين قِدَم إلى الدوحة حين انعقد بها مؤتمر القمة الإسلامى فى نوفمبر ٢٠٠٠م عام اللقاء بينى وبين الأستاذ/ أسامة سرايا وكان السؤال : لَم الانقطاع؟

لم يوافقنى أسامة على ذلك الانقطاع عن (الأهرام العربى)، بدأ حديثه معى مكلفاً إياي بحوارات عدة، كان أولها قبل بدء رمضان المبارك كمناسبة تستحق أن تفرد بحوارات هامة مع فضيلة العلامة د. يوسف القرضاوى، خاصة حين علم أسامة بأنى بدأت معه التسجيل منذ عام ١٩٩١م .. وكانت هذه الحوارات التى استكملتها مع فضيلته لتواكب بعض الأحداث المستجدة فى هذه الأيام.

ورغم أن د. القرضاوى تحدث إلى بعض الصحفيين عن نشأته وذكرياته، فإن كلماته إلى هؤلاء جاءت عرضاً فى مناسبات شتى، دون أن تكون مصاغة بمنهج محدد، يرتدى ثوب الحياد، محاولاً ان يغطى أغلب جوانب الحياة لدى الفقيه المعاصر.

ومن مقعد مهنى وفكرى مستقل نشرت فى مجلة (الأهرام العربى) الأسبوعية هذه الحلقات خلال عدة أشهر، حامداً المولى عز وجل على ما استقبلت به من احترام وتقدير من كل الاتجاهات الفكرية فى العالم العربى الإسلامية وغير الإسلامية .. بل إن صداها قد وصلنى عبر لقاءات مختلفة مع المهتمين بالشأن الفكرى والإسلامى فى العالم الغربى.

أشكر لأخى أسامة سرايا رئيس تحرير مجلة (الأهرام العربى) الفرصة التى منحنى إياها، والثقة التى حزتها من أسرة الأهرام العربى، خاصة مديرى التحرير: محمد حبوشة وخيرى رمضان والأستاذ عاطف حزين وكل الزملاء .. وما عدا بعض التغير فى العناوين؛ فإنهم جميعاً تحملوا الحقيقة كاملة التى كتبتها دون تدخل أو تغيير.

**د. حسن على دَبا**

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

إنه ظاهرة تستحق التأمل: شيخ أزهرى يصبح نجماً، محلاً لثقة ملايين المسلمين حتى وإن اختلفوا معه فى بعض رؤاه الفقهية، يحاور الجماهير عبر الفضائيات، ويخاطب الناس عبر شبكة الإنترنت، كما يخطب فيهم من على منبر الجامع أو يحاضر فى جامعة أو يحاور فى ندوة، أو يكتب لهم أكثر من مئة كتاب، حتى أصبحت فتواه مطلباً جماهيرياً عالمياً من شمال الأرض إلى جنوبها، ومن مشرقها إلى مغربها.

إنه فضيلة الشيخ العلامة د. يوسف القرضاوى ابن (صفط تراب) بمحافظة الغربية، الذى اتخذ من قطر مستقراً له منذ ما يقارب أربعين عاماً، ومع ذلك فإن مصر لا تغيب عنه فهى قلب العالم الإسلامى.

اعتبره المفكرون والدعاة والفقهاء رائداً لتيار متميز هو تيار الوسطية الإسلامية فهو مشروعه الحضارى الذى يأتلف كل أعماله، حيث يقوم هذا المشروع على التيسير فى الفتوى والتبشير فى الدعوة، والتجديد للدين والنهوض بالدنيا، واستلهام التراث والانفتاح على العصر، والحوار مع الآخرين والتسامح مع المخالفين، والجمع بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر، وتقديم الإسلام رسالة حضارية متكاملة متوازية، لبعث الأمة وتوحيدها تحت راية القرآن، ودعوة البشرية بالحسنى إلى هداية الإسلام.

إن خطابه الجماهيرى خطاب مستقل، رغم اعترافه بأساتذته وذكره لفضلهم إلا أنه لا يشابه أحداً ولم يقلد اتجاهاً، فمنذ البدء كان مستقلاً. ومنذ أن عرفه العالم الإسلامى بدءاً بكتابه الأشهر (الحلال والحرام فى الإسلام) وهو يبدو ذلك العالم الذى لا يتحدث عن نفسه، ولا يعرف أحد عنه شيئاً سوى بعض أفراد جيله الذين دخلوا فى عقد الثمانينيات.

فى هذه الصفحات نحاول الدخول إلى عالم د. يوسف القرضاوى (عبر الحوار): نسأله ويجيب، محاولين إلقاء الضوء على أكثر من عِالَم داخل فقيه العصر.

ولا يخفى على مثقف مهتم بشؤون الفكر أن طروحات العلامة القرضاوى لم تقتصر على فرع دون آخر، بل إن منهجه الوسطى قد أدى به للدخول إلى كل جوانب المعرفة ليدلى فيها برؤيته ويحدد — عبر فقه الأولويات — كيف يمكن للمسلمين اليوم أن يأخذوا من تلك

المعرفة وما يدَعُوا ؟ .. هل يمكننا اعتبار تلك الموسوعية — كما سوف نرى من خلال هذه الصفحات — ظاهرة قَلّ وجودها فى حقل المعرفة المعاصر ؟ خاصة حين مالت تلك المعرفة لفرض جزئيات العلوم لتصبح هى مهمة صاحبها لا يتعداها، كما كان علماء الأمة فى الماضى أصحاب معارف عدة ؟

وإذا كان هذا هو شأن العلامة القرضاوى ؛ فإن فلسفة التكوين التى صاغت منه نموذجاً فريداً لابد أن تشغل الكثيرين، خاصة حين افتقد بعض علماء الإسلام صورتهم المضيئة، وصار بعضهم بوقاً للسلطان. أو حين أصبح بعضهم لا همٌ له سوى اعتناق الشدة، وإغلاق المباحات حُبّاً فى فقه الأحوط .. ولذا فإن فطرة النشأة، وفلسفة التكوين قد شغلتنا فى هذه الحوارات، وانتهى بنا الأمر إلى تقرير أمرين هامين هما: الأزهر الشريف بتاريخه العريق، وجماعة الإخوان المسلمين بتاريخها المشرق وحملها لعبء وحدة الأمة، كانا مكوّنين أساسيين فى فلسفة التكوين لدى العلامة القرضاوى.

لكنه من الحق أن نقرر أن كلا المؤثرين لم يستطع أن يحوز ويستأثر على الرجل كل الاستئثار حتى يتملكه .. فالأزهر أثّر تأثيراً كبيراً ولكنه لم يحمل أى سلبية تكون قد لحقت بهذه الجامعة العظيمة من أحداث، أو تمذهب عصبى يؤدى أحياناً إلى ألاّ يصلى صاحب مذهب وراء إمام على مذهب آخر .. كما أن جماعة الإخوان المسلمين، وإن كان الشيخ يعتز بها وبتاريخه معها، وكتب كتاباً خاصاً عنها، وتأخذ هى بكتبه وتتبنى أدبيات طرحه، فلا يمكننا أن نعتبر القرضاوى ملكاً أو عضواً فى هذه الجماعة، إنه ملك للأمة الإسلامية التى منحته ثقتها فى كل مكان من العالم، فلا توجد جالية إسلامية — تقريباً — إلا وبينها وبين القرضاوى صلة سواء زارها أو هاتفوه، أو استمعوا إليه، أو وصلت كتبه إليهم بالعربية أو مترجمة إلى لغتهم .. فكيف ينحصر الرجل فى أى إطار بعد ذلك ؟ خاصة واغلب تيارات الفكر الإسلامى المعاصر وفرقه تعطى ثقتها فى الرجل، مع تحفظ هؤلاء الذين ينتسبون للسلف الصالح (السلفيين)، حيث ألفوا كتباً بعضها ناقش بأدب والآخر سبَّه بقلة أدب!.

ويمكننا القول بأن هذه الحوارات التى سجَّلت ذكريات العلامة القرضاوى هى جزء أول لمشروع كبير آمل أن يرى النور تباعاً، بدأته منذ عشر سنوات، رصدت فيه ذكريات الشيخ الجليل، وتوزعت عبر محاور مختلفة يمكن من خلالها أن نضع صورة حقيقية للقرضاوى من خلال فن الحوار.

❖ ❖ ❖

# (١) علامات بوهج الفتوى

لعل محور المرأة يعد أحد المحاور الهامة التى أهتم د. القرضاوى عبر مشروعه الفقهى الوسطى، ومن خلال رؤاه الفكرية استطاع فيه أن يثبت الموقف الوسطى للإسلام من المرأة، وينفض عنها غبار العادات والتقاليد التي صبغت رؤية الجماهير لها عبر قرون التجمد والانغلاق، كما خالف — فى رؤاه — كثيراً من المعاصرين الذين يأخذون بمبدأ (الأحوط) أو (الظاهرية الجدد) وهو ما أطلقه على متشددى السلفيين، الذين يأخذون بظاهر النص ويقررون منه الحلال والحرام.

ولنبدأ مع الحوار:

**● هل أنت نصير المرأة فى العالم الإسلامى ؟**

نعم. يمكنك القول بأنى نصير المرأة فى العالم الإسلامى بالشرع الإسلامى، فقد وقعت المسلمة فى العصر الحاضر بين تيارين: الأول: يميل إلى التزمُّت والتشدد وإغلاق الأبواب أمام المرأة المسلمة، والآخر: يفتح الأبواب على مصراعيها ويطلق العنان للمرأة لتفعل ما تشاء، تقتبس من المرأة الغربية لتقلدها تقليداً أعمى، تحاكيها محاكاة القردة فى كل شىء.

**● كيف ترون واقع كل تيار ؟**

الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير، فى كل من التيارين: فهناك فتاة تُخطب فلا يراها خاطبها، وفى بعض البلاد لا يراها مطلقاً، ويفاجأ بها بعيدة عن مخيلته .. وهناك العصريون، التقدميون، التحرريون، من يبيحون للخاطب اصطحاب مخطوبته ليذهبا معاً، يمضيان الوقت إلى منتصف الليل بلا رقيب، وكلا التيارين لا يمثل الإسلام.

**● فى مسألة الخِطبة، كيف ترى طبيعة العلاقة بين كل من الفتى والفتاة؟**

شرع الإسلام للرجل وأمره أن يرى خطيبته، فقد قال النبى ﷺ لمن قال له: إنى خطبتُ امرأة: (هل نظرت إليها)، قال: لا، قال: (أنظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)، أى: يحصل بينكما الائتلاف والموافقة.

**● ما رأيكم فى الحب قبل الزواج، حيث يراه البعض ضرورة؟**

لا أحبذ ما يقوله بعض الناس فى عصرنا من ضرورة (الحب قبل الزواج)، لأن هذا الطريق محفوف بالمخاطر محاط بالشبهات، فكثيراً ما يبدأ بداية غير سليمة ولا مستقيمة،

كالحب الذى يأتى عن طريق المحادثات الهاتفية، وقد تكون تسلية من بعض الشباب لقضاء وقت الفراغ أو الملل، فتستجيب لهم بعض الفتيات، وهذا يحدث عادة من وراء الأهل، وبدون اختيار ولا تفكير لا من الفتى ولا من الفتاة، وكثيراً ما يؤدى إلى عواقب غير محمودة، لأنه يتم بعيداً عن دائرة الضوء، مع طيش الشباب، وتحكم العواطف وغلبة الهوى وسيطرة الغرائز ووسوسة الشياطين من الجن والإنس، وفى مثل هذا المناخ لا يبعد من الفتى والفتاة أن يقعا فى الخطأ وهما ليسا من الملائكة المطهرين، ولا الأنبياء المعصومين .. كما قد يكون الحب هنا بين طرفين غير متكافئين اجتماعياً أو ثقافياً، فتحول دونهما حوائل، وتقف عقبات وعوائق دون ارتباطهما بالزواج.

## كيف يكون الزواج ؟

**● إذن كيف تكون أفضل طرق الزواج فى العصر الحاضر ؟**

الاختيار الهادئ العاقل من كلا الطرفين لشريكة الحياة، بعد الدراسة المتزنة لشخصية كل من الشاب والشابة، وملاءمة كل منهما للآخر، وأرى أن إمكانية النجاح لهذا الزواج من النواحى المزاجية والنفسية والعقلية والاقتصادية والاجتماعية كبيرة.

يأتى الخاطب البيت من بابه، يتقدم لأهل الفتاة، يتاح له رؤيتها، كما يتاح لها رؤيته، وحبذا لو تم ذلك من غير أن تعلم الفتاة، رعاية لمشاعرها، إذا رآها الخاطب فلم تعجبه ولم تدخل قلبه.

**● لكن أمور الحب ليست ملكاً لأحد، والعواطف قد تتحرك دون أن يتمكن المرء من ضبطها .. فكيف تتصرف الأطراف المشتركة إذا وقع الحب خارج الإطار الذى تراه ؟**

إذا دخلت (الفأس فى الرأس) كما يقولون، أى وقع الحب كما يقول بالفعل، وتعلق كل من الشاب بالشابة، وكان حباً طاهراً شريفاً، واستمر فترة عرف منها أنه لم يكن نزوة طارئة .. ينبغى ألا نرفض الخاطب لأى سبب، وقد أرشدنا الحديث النبوى الشريف الذى رواه ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: " لم يُرِ للمتحابين مثل النكاح "، يعنى أن الزواج هو أنجح الوسائل لعلاج التعلق العاطفى الذى يصل إلى درجة الحب، أو العشق بين قلبى رجل وامرأة.

## المساواة مع الرجل

**• هل يرى نصير المرأة (المرأة) إنساناً متساوياً مع الرجل أم أنها أقل منه؟**

حين جاء الإسلام كان الناس ينكرون إنسانية المرأة، وآخرون يرتابون فيها، وغيرهم يعترف بإنسانيتها، لكنه يعتبرها مخلوقاً أقل خُلق لخدمة الرجل، جاء الإسلام فكرَّم المرأة وأكد إنسانيتها، وأهليتها للتكليف والمسئولية والجزاء ودخول الجنة:

فهى والرجل متساويان فى أصل النشأة: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾** [النساء: ١]

فالرجل أخ للمرأة، والمرأة شقيقة الرجل .. قال رسول الله ﷺ: « إنما النساء شقائق الرجال » رواه أحمد عن عائشة .. المرأة تتساوى مع الرجل فى التكليف والتدين والعبادة، وفى التكاليف الدينية والاجتماعية الأساسية، يسوِّى القرآن بين الجنسين، قال تعالى: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾** [التوبة: ٧١]

**• آدم وحواء قد وقعت عليهما غواية الشيطان فخرجا من الجنة، وأكلا من الشجرة، فكان الخطأ منهما معاً، لكن آدم هو الذى نسى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] فهل هو أصل المعصية ؟**

نعم النص يفيد أنه أصل المعصية والمرأة له تبع، لكن خطيئة حواء لا يحمل تبعتها إلا هى .. وبناتها برآء من إثمها، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

## شهادة المرأة

**• لكن ما هى حكمة تمييز الرجل عن المرأة كما فى الشهادة، إذ يشهد الرجل وتشهد امرأتان كما فى سورة البقرة؛ كما قرر الفقهاء أن شهادة النساء لا تقبل فى الحدود وفى القصاص ؟**

هذا التفاوت ليس لنقص فى إنسانية المرأة وكرامتها، بل لأنها – بفطرتها واختصاصها – لا تشتغل عادة بالأمور المالية والمعاملات المدنية .. إنما يشغلها ما يشغل النساء من شئون البيت إن كانت زوجة، والأولاد إن كانت أماً .. ومن ثم فإن ذاكرتها أضعف فى

شئون المعاملات .. ولذا فقد أمر الله تعالى أصحاب الدَّيْن إذا أرادوا الاستيثاق لديونهم أن يشهدوا عليها رجلين، أو رجلاً وامرأتين، وعلل القرآن ذلك بقوله: ﴿ **أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى**﴾ [البقرة: ٢٨٢].

مثل ذلك ما ذهب إليه كثير من الفقهاء الذين لم يعتبروا شهادة النساء فى الحدود والقصاص، بعداً بالمرأة عن مجالات الاحتكاك ومواطن الجرائم والعدوان على الأنفس والأعراض والأموال، فهى — إن شهدت هذه الجرائم — كثيراً ما تغمض عينيها.

وتهرب صائحة مولولة، ويصعب عليها وصف ما رأت بوضوح، لأن أعصابها لا تحتمل التدقيق فى مثل ذلك ... لهذا يرى هؤلاء الفقهاء أنفسهم الأخذ بشهادة المرأة — ولو منفردة — فيما هو من شأنها واختصاصها كشهادتها فى الرضاع والبكارة والثيوبة والحيض والولادة ... غير أن هذا الحكم غير مجمع عليه، فمذهب عطاء الأخذ بشهادة النساء .. وقد رأى شيخنا العلامة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق أن أمر شهادة المرأة هذا ليس وارداً فى مقام الشهادة التى يقضى بها القاضى ويحكم، وإنما هو وارد فى مقام الإرشاد إلى طرق الاستيثاق والاطمئنان على الحقوق بين المتعاملين ... ورأى الشيخ شلتوت: أن القرآن قد نص على أن المرأة كالرجل — سواء بسواء — فى شهادات اللعان.

## ما هى القوامة ؟

● **كيف ترون القوامة للرجال إذن ؟**

جعل الله القوامة للرجل: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾ [النساء: ٣٤]، لأمرين:

الأول: وهبى، وهو ما فضله الله به من التبصر فى العواقب، والنظر فى الأمور بعقلانية أكثر من المراة التى جهزها بجهاز عاطفى دفّاق من أجل الأمومة.

والثانى: كسبى، وهو إنفاق الرجل الكثير على تأسيس الأسرة.

● **فيما بين الزوجين من علاقة كيف ترى طبيعة السيادة أو أمر القيادة لأى منهم؟**

نحن نرى رجلاً يهمل امرأته تماماً ولا يعيرها اهتماماً، وآخر يسلم لها الزمام فتصبح هى سيدة البيت والمتصرفة فى كل شىء، والرجل لا يفعل ولا يقرر شيئاً، ولا أمر له ولا رأى، وهذا الرجل ليس رجلاً ... لماذا الإفراط والتفريط ؟! نريد الأمر الوسط، وهو

الاعتدال الذى جاء به الإسلام .. والمسلمة المعتدلة هى التى تؤدى واجباتها كما تطالب بحقوقها، بل تؤدى الواجبات قبل أن تطالب بالحقوق.

## الخلع حق للمرأة الكارهة

**● هل ترون حقًّا للمرأة فى طلب الطلاق أو ما يطلق عليه الخُلع، وقد صدر به قانون فى مصر مؤخراً ؟**

الأصل فى الحياة الزوجية أن تبقى وتدوم ما بقيت دعائمها الأساسية قائمة، وهى السكون والمودة والرحمة، فإن فُقدت فلا معنى لفرض الصحبة بالإكراه .. ولهذا أعطى للرجل حق إنهاء هذه الحياة بالطلاق، وأعطى فى مقابله للمرأة حق إنهائها بالخلع، وذلك عند تعذر الوفاق فى كلا الحالين، قال تعالى: **﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾** [البقرة: ٢٣١].

وقد ثبتت مشروعية الخلع بالقرآن والسنة والإجماع:

ففى القرآن: قال تعالى: **﴿ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾** [البقرة: ٢٢٩].

وفى السنة: جاء فيها عدة أحاديث صحاح فى قضية امرأة ثابت بن قيس.

وفى الإجماع: اتفقت المذاهب جميعها والفقهاء كلهم على مشروعية الخلع.

**● فى رأيكم، ما هى الحدود التى تنظم عملية الخلع ؟**

كما أمرت الشريعة الرجل أن يصبر ويحتمل ويضغط على عاطفته ولا يلجأ إلى أبغض الحلال إلا عند إلحاح الحاجة، حذرت المرأة هى الأخرى من التسرع بطلب الطلاق، وفى الحديث: " أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة " (رواه أبو داود) .. ورغم أن الإسلام ضيق على الرجال فى إيقاع الطلاق، وحدده بجملة حدود، وربطه بمجموعة من القيود فى وقته وكيفيته وعدده تضييقاً لدائرته، فإنه أوسع للمرأة فى الخلع، فالطلاق فى أثناء الحيض والطهر الذى مسها فيه بدعة أو باطل، ولكن الخلع فى هذه الحالة — كما قال ابن قدامة — لا بأس به فى الحيض والطهر الذى أصابها فيه.

وعلى هذا إذا ساءت العشرة بين الزوجين، وكانت المراة هى النافرة الكارهة، وأبى زوجها أن يطلقها، فلها أن تعرض عليه الخلع، وترد عليه ما أخذته منه، فإن قبَلِ فقد حلت العقدة ويغنى الله كلاً من سعته ... وإذا رفض الزوج وأصر على مضايقتها وإكراهها على الحياة فى كنفه، فللقاضى المسلم أن ينظر فى الأمر ويستوثق من حقيقة عاطفتها وصدق كراهيتها، ثم يجبر الزوج على قبول العوض ويحكم بينهما، غير أنه لا يحل للرجل أن يضار المرأة ويضيِّق عليها لتفتدى نفسها منه، مادام هو الذى يكرهها ... فهل تريد المرأة إنصافاً أكثر من هذا؟ وإذا رفضت المرأة أن تفدى نفسها من الزوج الذى لا تطيقه بغضاً، وأصرت على أن يفارقها دون تضحية منها، فهل يلام الرجل إذا دعاها باسم القانون وسلطان الشرع إلى بيت الزوجية أو (بيت الطاعة) ؟

## دور الحكمين فى التفريق

- **وكيف يتم الفراق إذا كانت الكراهية متبادلة بين الزوجين ؟**

إذا لم يطلّق الرجل فى هذه الحالة، فهناك مخلص آخر للمرأة عن طريق الحكمين، أو المجلس العائلى، قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا** ﴾ [النساء: ٣٥]. وهذا بناء على أنهما حاكمان يملكان التفريق والتجميع ... أقول: إن الشريعة لا تحابى رجلاً على امرأة، ولا امرأة على رجل، إن الشريعة لم تضعها لجنة من الرجال حتى تتميز ضد النساء، ولكن وضعها الذى ﴿ **خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى** ﴾ [النجم: ٤٥]؛ ﴿ **وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ** ﴾ [البقرة: ٢٢٠]؛ ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك: ١٤].

- **هل يجوز أن يطلب الزوج من المرأة الطالبة للخلع مبلغاً أكثر مما دفعه لها، تدفعه له افتداء لنفسها ؟**

الثابت من النصوص الواردة فى القرآن والسنة، وأقوال الفقهاء والشراح فهماً واستنباطاً، يكون الراجح بل الصحيح أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ من الزوجة أكثر مما أعطاها، فالقرآن الكريم يربط الافتداء بما آتاه الزوج لا بأكثر منه، حيث يقول: ﴿ **وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، أى فيما أفتدت به مما آتيتموهن.

وفى السنة فى حديث رواه الدارقطنى بإسناد صحيح أن النبى ﷺ قال لامرأة ثابت ابن قيس: " أتردين عليه حديقته التى أعطاك؟ " قالت: نعم وزيادة، فقال النبى ﷺ: " أما الزيادة فلا، ولكن حديقته " قالت: نعم، فأخذها له وخلّى سبيلها...

على أن الذين أجازوا الزيادة إنما ذكروا ذلك فيما بذلته المرأة عن طيب نفس منها، لتخلص نفسها من سوء عشرة الزوج.

## حق المرأة فى المجلس النيابى

**● أثبتَّ الحق السياسى للمرأة، ووقفتَ معها فى حق الترشيح للمجالس النيابية وهناك من أنكر ذلك إنكاراً مطلقاً .. فهل لنا ان تتحرر محل النزاع فى هذه القضية ولنبدأ بمفهوم ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] كيف تخرج المرأة للحياة النيابية وهى مأمورة بالبقاء فى بيتها ؟**

– هذه الآية خطاب لنساء النبى ﷺ، وهؤلاء لهن من الخصوصية ما ليس لغيرهن، وعليهن من التغليظ ما ليس على سائر النساء، قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ومع هذا لم تمنع الآية عائشة أم المؤمنين من الخروج فى معركة الجمل تطالب بما تعتقده حقاً فى شئون السياسة، ومعها من كبار الصحابة رجلان رشحا للخلافة، وهما من العشرة المبشرين بالجنة (وندما ليس على خروجها ولكن على رأيها السياسى الذى جانبه التوفيق).

وإذا أخذنا بأن الآية لعموم النساء، فإنها لا تعنى إمساكهن فى البيوت لا يخرجن منها، فإن هذا الإمساك ذكره القرآن كعقوبة لمن ترتكب الفاحشة، ويشهد عليها الشهود الأربعة، وذلك قبل استقرار التشريع على الحد المذكور فى القرآن الكريم.

وقوله تعالى: ﴿ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]. يدل على مشروعية الخروج المحتشم غير المتبرج، فالمرأة لا تنهى عن التبرج داخل بيتها؛ فإن لها أن تلبس وتتزين فيه ما شاءت، إنما تنهى عنه إذا خرجت.

**● إذن كيف تسرب مفهوم المنع للمرأة من الحياة السياسية، وما هى حيثيات التعامل مع النصوص فى هذا الموضوع ؟**

يجب ألا نلزم أنفسنا إلا بالنصوص الثابتة الصريحة الملزمة، وما لا يثبت من النصوص كالأحاديث الضعيفة، أو ما كان محتملاً فى فهمه لأكثر من وجه وأكثر من تفسير

مثل ما جاء من شأن نساء النبى ﷺ - ، فليس لأحد أن يلزم الأمة بفهم دون آخر ، خصوصاً من الأمور العامة التى تعم بها البلوى ، وتحتاج إلى التيسير ...

كما أن هناك أحكاماً وفتاوى لا نستطيع أن نفصلها عن عصرها وبيئتها ، ومثلها قابل للتغير بتغير موجباته ، ولهذا قرر المحققون أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال والعرف ، وكثير مما يتصل بالمرأة أصابه التشدد والتغليظ ، حتى حرِّم عليها الذهاب إلى المسجد !

وأضيف على ذلك أن العلمانيين اليوم يتاجرون بقضية المرأة ، ويحاولون أن يلصقوا بالإسلام ما هو براء منه ، وهو أنه جار على المرأة وعطل مواهبها وقدراتها ، ويحتجون لذلك بممارسات بعض العصور المتأخرة ، وبأقوال بعض المتشددين من المعاصرين.

## الحرام يؤدى للحرام

**• لكن المعارضين لمشاركتها يقولون : إن ترشيحها للمجالس النيابية يعرضها للاختلاط بالرجال وربما الخلوة ، وما أدى إلى الحرام فهو حرام ... كيف ترد عليهم ؟**

سد الذرائع أمر مطلوب ، لكن العلماء قرروا أن المبالغة فى سد الذرائع كالمبالغة فى فتحها ، وقد يترتب عليها ضياع مصالح كثيرة ، أكبر بكثير من المفاسد المخوفة .. إن المسلمة الملتزمة ناخبة أو مرشحة يجب أن تتحفظ فى ملاقاتها للرجل من كل ما يخالف أحكام الإسلام : من الخضوع بالقول ، أو التبرج فى الملبس ، أو الخلوة بغير محرم ، أو الاختلاط بغير قيود ، وهو أمر مفروغ منه من قبل المسلمات الملتزمات.

**• هل ولاية المرأة على الرجل ممنوعة بحكم قوامة الرجل ؟**

- إن عدد النساء اللائى يرشحن للمجلس النيابى عادة محدود ، وستظل الأغلبية للرجال ، وهى التى تملك القرار .. وهى التى تحل وتعقد ، فلا مجال للقول بأن ترشيح المرأة للمجلس سيجعل الولاية للنساء دون الرجال.

كما أن قوامية الرجال على النساء فى الحياة الزوجية ، فالقوامة على الأسرة ، ومع هذه القوامة ينبغى أن يكون للمرأة دورها ، وأن يؤخذ رأيها فيما يهم الأسرة ، ففى مسألة فطام الرضيع قال تعالى : **﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾** [البقرة : ٢٣٣].

● وما هى رؤيتكم للحديث الشريف " لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة"؟

الحديث الذى رواه البخارى عن أبى بكرة مرفوعاً، يعنى الولاية العامة على الأمة كلها، أى رئاسة الدولة كما تدل كلمة (أمرهم)، أما بعض الأمر فلا مانع أن يكون للمرأة ولاية فيه، مثل ولاية الفتوى أو الاجتهاد أو التعليم أو الرواية والتحديث أو الإدارة، مما لها ولاية فيه بالإجماع.

## المرأة قاضية

● هل لها تُولّى القضاء ؟

لقد أجازها الإمام أبو حنيفة فى تولى القضاء فيما تشهد فيه، أى فى غير الحدود والقصاص، مع أن من فقهاء السلف من أجاز شهادتها فى الحدود والقصاص، فقد أجاز الإمامان الطّبرى وابن حزم أن تتولى القضاء فى الأموال وفى الجنايات وفى غيرها، وجواز ذلك لا يعنى وجوبه ولزومه، بل ينظر للأمر فى ضوء مصلحة المرأة ومصلحة الأسرة ومصلحة المجتمع ومصلحة الإسلام، وقد يؤدى ذلك إلى اختيار بعض النساء المتميزات فى سن معينة للقضاء فى أمور معينة وفى ظروف معينة.

● لماذا إذن لا تولّى رئاسة الدولة ؟

طاقة المرأة غالباً لا تحتمل الصراع الذى تقتضيه تلك المسئولية الجسيمة، وقلنا (غالباً) لأنه قد يوجد من النساء من يكنَّ أقدر من الرجال (مثل ملكة سبأ)، وأما أن تكون مديرة، عميدة، رئيسة مؤسسة، عضواً فى المجلس النيابى، أو قاضية، وزيرة، أو نحو ذلك ... فلا حرج إذا اقتضته المصلحة.

على أن المجتمع المعاصر فى ظل النظم الديمقراطية حين يولى المرأة منصباً عاماً، كالوزارة أو الإدارة أو النيابة .. لا يعنى ولايتها للأمر بالفعل ومسئوليتها الكاملة عنه، فالواقع المشاهد أن المسئولية جماعية والولاية مشتركة تقوم بأعبائها المؤسسات والأجهزة، والمرأة إنما تحمل جزءاً منها مع من يحملها.

● ما هى رؤيتكم للنص المشهور (شاورهن وخالفهن) ؟

إنه قول من اختراع الرجال، وهو مخالف للقرآن وللسنة .. فقد قال تعالى: ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ فكيف يأتى فى حديث — كما يقال — ما يخالف القرآن الكريم؟!

وقد شاور النبى ﷺ زوجه أم سلمة فى أمر تحرج المسلمين من التحلل من الإحرام — بعد صلح الحديبية — من العمرة، فأشارت عليه: يا رسول الله، اخرج فلا تكلم أحداً، وأطلب الحلاق ليقصِّر لك شعرك ويحلقه أمامهم. وتحلَّل من الإحرام أمامهم، ولا تفعل غير ذلك ... ففعل.

## صوت المرأة ليس بعورة

**● هل صوت المرأة عورة كما يقولون بحكم نعومته ؟**

أجاز القرآن سؤال أزواج النبى ﷺ من وراء حجاب، والسؤال يقتضى جواباً، وهو ما كانت تفعله أمهات المؤمنين، حيث كن يفتين من استفتاهن، ويروين الأحاديث لمن يريد .. وكانت المرأة تسأل النبى فى حضرة الرجال، ولم تجد حرجاً فى ذلك، ولا منعها النبى ﷺ .. إن المنهى عنه هو الخضوع الذى يُطمع الذين أمرضت قلوبهم الشهوات.

## المسيار بين الرضا والقبول

**● أفتيت بحل زواج المسيار فأغضبت كثيراً من النساء، خاصة فى قطر؛ هل ترضى عن هذا الزواج وتدعو إليه فعلاً ؟**

إنَّ العالم إذا أصبح همه إرضاء طوائف الناس — وإن أسخط ربه — فقد ضل سعيه وخسر نفسه وأضاع دينه ... ولن يرضى الناس كلهم يوماً (فرضى الناس غاية لا تدرك).

إننى لست من دعاة زواج المسيار، ولا من المرغبين فيه، فلم أكتب فى تحبيذه مقالاً، ولم أخطب خطبة تدعو إليه، لكنى سئلت سؤالاً عنه فلم يسعنى أن أخالف ضميرى وأتاجر بدينى، أو أشترى رضا الناس بسخط ربى، فأحرم ما أعتقد أنه حلال لمتابعة أهواء العامة.

**● ما هى حقيقة هذا الزواج ؟**

إنه ليس جديداً، إنما عرفه الناس من قديم، وهو الزواج الذى يذهب فيه الرجل إلى بيت المرأة، ولا تنتقل المرأة إلى بيت الرجل، وفى الغالب تكون هذه زوجة ثانية وعنده زوجة أخرى هى التى تكون فى بيته وينفق عليها.

* * *

# (٢) إضاءات فى إشكاليات العصر

**العلامة القرضاوى:**

- زواج المسيار ليس الزواج الإسلامى المنشود، لكنه الزواج الممكن.
- لا أقر الزواج عبر الإنترنت، ولو توافرت فيه شروط العقد.
- رائد الوسطية يتشدد ويرفض أيضاً طلاق الإنترنت.
- لا أجد نصاً صحيحاً يحد من استمتاع الرجل والمرأة فى العلاقات الجنسية.
- موت الدماغ يعد موتاً شرعاً، ولا تجدى أجهزة الإنعاش ويجب توقفها.
- أفتى بجواز إجهاض الجنين إذا كان خطراً على حياة الأم.
- نعم: الغناء مباح لكن دون إثارة الغرائز، أو الاقتران بمحرم؛ كشرب الخمر، أو التبرج، أو الاختلاط الماجن.
- كلٌّ فقيهُ نفسِه: إذا طغى فى الغناء الجانب الحيوانى على الروحانى فتجنبه أولى.
- ما يحرم جواز حرية العلاقات الجنسية بين الزوجين هو أثر سخيف لامرأة مجهولة.
- الحرام فى الإسلام درجات، وتحريمنا للتدخين لا يساوى حرمة الخمر والزنى.

❖ ❖ ❖

## (٢) إضاءات فى إشكاليات العصر

- منذ ما يزيد على أربعين عاماً، كان يبزغ فى الأفق نجم شاب أزهرى يؤلف كتاباً على غير تقليد، يتعرض فيه لأخطر المسائل التى تشغل المسلم المعاصر، ويقدم فيها فتاوى تنم عن رؤية متميزة للنص الدينى وفهم متجدد لقضايا العصر، هذا الكتاب هو (الحلال والحرام) والذى فاز فيه بجائزة قيّمة، وأثنى عليه علماء الأزهر الشريف، وأبرزهم فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر، الذى رعى الشاب الفقيه وأُعجب به ... رغم رد أحد علماء السعودية عليه بكتاب آخر أسماه (الحلال والحلال)، معارضاً كل ما أفتى القرضاوى بأنه حلال فحرَّمه !!

من الحلال والحرام إلى فتاواه عبر الفضائيات، وشبكة الإنترنت، وحتى بعد صدور الجزء الثالث من (فتاوى معاصرة)؛ يظل د. يوسف القرضاوى هو الأقرب إلى جماهير الأمة ثقة فى الفتوى وتيسيراً فى الدين.

هنا نعرض للمسيرة الفقهية، تقريراً وحواراً، لنرى كيف استطاع ذلك (الأزهرى الإخوانى) أن يستقل بمنهج خاص له فى الفتوى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والطبية.

فى آخر فتوى له اختص بها الأهرام العربى، كان الحديث يدور فى بيته بمنطقة الخليج العربى (الدفنة) بالدوحة، حول أحدث صيحات الاختلاف بين الناس، حول شيوع ظاهرة اجتماعية بارزة، هى الزواج والطلاق عبر الإنترنت !

فرد قائلاً:

- لا أقر هذا الزواج: (الزواج عبر الإنترنت)، ولو توافرت فيه كل شروط العقد من توافر الشهود والولى .. وأرى التشدد فى هذا الأمر لتبقى للزواج قداسته وهيبته، فالفقهاء قالوا عن البيع والشراء والتجارة: إن أساسها الرضا، وقالوا: البيع المعاطاة، أما الزواج فالصيغة والشهود والولى أمور لم يشرعها الله عزَّ وجلّ من فراغ، فسوف تبنى عليها حقوق واجبات لله وللمجتمع وللأسرة وللأبناء .. كما أن هذا رأيى أيضاً بالنسبة للطلاق، فالفرضية لم تبقَ شيئاً سرياً، حيث يمكن للإنسان أن يعرف (الباص ورد) الخاص لكل متعامل مع الإنترنت، وأن يعرف توقيعه وموقع زوجته، أن يفعل ما يشاء وتقع المصائب..

**• نلمح تشدداً من رائد الوسطية : ألا ترى أن الوعى الحالى لدى الفتى والفتاة ومعرفة كل منهما بحقوقه وواجباته ؛ يمكن أن يجعلا التعامل مع وسيلة الخطاب العالمية أمراً واقعاً ؟**

نعم .. أنا متشدد، وهل معنى الوسطية لديك التساهل؟ هذا مفهوم غير صحيح، فالتشدد فى أحكام الزواج والطلاق يجعلان الزوج والزوجة يشعران بأهمية الرباط والميثاق الغليظ.

## حقيقة المسيار

**• لكن زواج المسيار - وكنت قد سألتَ عنه منذ بضع سنوات - هو الزواج الأشهر الذى أفتى القرضاوى بحله وعدم حرمته .. فكيف ذهب فيه هذا المذهب ؟**

قال: لا يهمنى الأسماء، فالعبرة فى الأحكام بالمسميات والمضامين.

وهذا الزواج تتحقق فيه أركان العقد وشروطه، وأول ذلك الإيجاب والقبول ممن هو أهل للإيجاب والقبول، وثانيه الإعلام والإعلان به، حتى يتميز عن الزنى (ويتحقق ذلك بوجود شاهدين، ووجود الولى)، وألا يكون مؤقتاً بوقت ثالثاً، ورابعاً دفع الرجل للمرأة مهراً، (وإن كان لها أن تتنازل عنه أو عن جزء منه)، ويصح العقد بغير مهر ... وتابع القرضاوى:

ولا يملك الفقيهُ أن يبطل هذا العقد المستوفى لأركانه وشروطه .. وكل ما فى الأمر فى هذا الزواج هو تنازل امرأة عن بعض حقوقها دون أن يؤثر ذلك على صحة العقد.

لكنه فضَّل ألا يذكر مثل هذا التنازل فى صلب العقد، وأن يكون أمراً متفاهماً عليه عرفاً، على أن ذكره فى صلب العقد لا يبطله.

## بين العرفى والمسيار

**• هل يفترق المسيار عن العرفى أم يلتقيان ؟**

- يجتمعان فى صورة، وينفرد كل منهما فى أخرى، فالزواج العرفى زواج شرعى غير مسجل، لكنه زواج عادى يتكلف فيه الزوج السكن والنفقة للمرأة، أما زواج المسيار فقد يكون غير مسجل فيكون عرفياً، وقد يكون مسجلاً وموثقاً كما هو واقع فى كثير من الأحيان فى المملكة العربية السعودية ودولة الأمارات، وأنا أرجح أن يسجل هذا الزواج ويوثق

بشروطه حفظاً للحقوق، وضماناً للمستقبل وحرصاً على سهولة ثبوت نسب الأولاد لأبيهم وميراثهم منه ... وأضاف: ثم إن طاعة أولى الأمر هنا واجبة شرعاً، لأنها طاعة فى معروف (يعنى توثيق العقد رسمياً).

**● لكن هل يبطل العقد إذا لم يسجل ؟**

لا أستطيع إبطاله، مادام مستوفياً أركانه وشروطه، فإبطال العقد أمر خطير يترتب عليه أن تكون العلاقة محرمة والولد بينهما ابن حرام، وكان المسلمون طوال القرون الماضية يتزوجون بلا توثيق .. وقوانين الأحوال الشخصية فى البلاد العربية التى ألزمت التوثيق أكتفت فى الزواج العرفى، بأن لا تسمع فيه الدعوى ولا تقول ببطلانه.

**● لكن زواج المسيار لا يحقق الأهداف المنشودة من الزواج الشرعى، فهو متعة وأنس فقط ؛ أليس فى هذه المتعة انحطاطٌ بكرامة المرأة ؟**

لا أنكر هذا ؛ إنه ليس الزواج الإسلامى المنشود، لكنه الزواج الممكن الذى أوجبته ضرورات الحياة وتطور المجتمعات وظروف العيش.

ثم إن هدف الإمتاع والإحصان ليس هدفاً هيناً ولا مهيناً، بل هو أول أهداف الزواج، ولا يجوز التنازل عنه فى العقد، فالعفة والإحصان قيمة كبيرة من قيمنا الإسلامية، وهى مما يميز مجتمعنا عن المجتمعات السائبة المتحللة.

## المسلمة والشيوعى

**● فى الإطار الاجتماعى نفسه أفتيتم منذ سنوات ببطلان زواج المرأة المسلمة من رجل شيوعى، رغم أنه رسمياً يدين بالإسلام ويتسمى به .. فما دخل الزواج بأفكار الرجل ؟**

الشيوعية مذهب مادى لا يعترف إلا بكل ما هو مادى وحسى، ويجحد كل ما وراء المادة، فلا يؤمن بالله ولا يؤمن بالروح ولا يؤمن بالوحى ولا يؤمن بالآخرة أو أى نوع من الغيبيات، وينكر الأديان جملةً وتفصيلاً، ويعتبرها خرافة من بقايا الجهل والانحطاط والاستغلال ... قال لينين: " الدين خرافة وجهل "، وقال ستالين: "نحن ملحدون ونؤمن أن فكرة الله خرافة، ونؤمن بأن الإيمان بالدين يعرقل تقدمنا...".

والشيوعية مذهب مترابط لا يمكن الفصل بين نظامه العملى وأساسه العقائدى والفلسفى، إذا قلت: إن جانب الشيوعى الاجتماعى والاقتصادى منفصل عن الفكرى والعقائدى.

وإذا كان الإسلام لم يجز للمسلمة بأن تتزوج بأحد من أهل الكتاب (النصارى واليهود)، مع أن الكتابى مؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر فى الجملة، فكيف يجيز أن تتزوج رجلاً لا يدين بألوهية ولا نبوة ولا قيامة ولا حساب ؟!.

## آفاق العلاقة الزوجية

**• تُرى ما هى الحدود الفاصلة فى حرية العلاقة الجنسية بين الزوجين، خاصة بعد أن تعرضت لشىء من ذلك، ورأى بعضهم أنك كسرت حياء الناس؟!**

أولاً: لا حياء فى الدين، وقد أثنت أم المؤمنين عائشة على نساء الأنصار فقالت: لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين.

ثانياً: إن العلاقة الجنسية بين الزوجين أمر له خطره وأثره فى الحياة الزوجية، يؤدى عدم الاهتمام بها أو وضعها فى غير موضعها إلى تكدير الحياة وإصابتها بالإضطراب والتعاسة، وإذا تراكمت قد يؤدى إلى تدمير الحياة الزوجية والإتيان عليها من القواعد.

## ما بين الزوجين

**• لكن ماذا عن حدود هذه العلاقة؛ مثل التجرد من الثياب ... إلى غير ذلك. هل هناك فهم فقهى محدد لبعض النصوص التى تحرم ذلك ؟**

ذكر فى متن (تنوير الأبصار) وشرحه (الدر المختار) من كتب الحنفية؛ جواز أن ينظر الرجل من امرأته إلى ما ظهر منها وما بطن، ولو إلى فرجها بشهوة وبغير شهوة .. قال فى الدر: والأولى تركه لأنه يورث النسيان، وأضاف آخرون بأنه يضعف البصر، فعللها بتعليلات غير شرعية، إذ لم يجئ بها نص من كتاب ولا من سنة، وهى مردودة من الناحية العلمية، فليس هناك أى ارتباط منطقى ولا واقعى بين السبب والنتيجة .. وأؤكد لك أنه لا ينبغى أن يقال فى شىء حرام إلا أن يوجد فى القرآن والسنة الصحيحة النص الصريح على حرمته، وإلا فالأصل الإباحة.

• **كيف ترى فهم الآية الكريمة: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾** [المؤمنون: ٥-٦] ؟

أمر الله عزَّ وجلّ بحفظ الفرج إلا على الزوجة، وملك اليمين، فلا ملامة فى ذلك، وهذا عموم فى رؤيته ولمسه ومخالطته ..

• **لكن نصاً ربما يحرم، ذلك هو القائل: "ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط"؟**

هذا أثر سخيف عن امرأة مجهولة.

## موت الدماغ والأجهزة

• **أفتيتم من قبل فى شأن موت الدماغ، وقلتم: إنه ميت شرعاً، كيف يموت الرجل ومازال قلبه ينبض، وما هى مسوغات هذه الفتوى؟**

تعطل الأجهزة الدماغية تعطلاً لا رجعة فيه فى نظر الأطباء والثقات المتخصصين، وإصرار أهله وذويه على أن يظل تحت أجهزة الإنعاش التى توفر له الغذاء والتنفس واستمرار عمل الدورة الدموية !! هل هم بذلك يراعون مريضهم؟

الحق أن ذلك الراقد على سريره لم يعد فى عالم المرضى، بل هو فى عالم الأموات منذ تحقق موت دماغه بالكلية، ويصبح الاستمرار فى علاجه بأجهزة الإنعاش ضرباً من العبث وإضاعة الجهد والمال والوقت بغير عائد، وهو ينافى ما جاء به الإسلام، وعلى ذلك أفتيت بجواز رفع أجهزة الإنعاش والتنفس عن المريض الميؤوس من شفائه لعدم جدوى بقائها، بل يجب رفعها لأن إبقاءها يخالف الشريعة فى تأخير تجهيز الميت ودفنه بلا ضرورة، وتقسيم تركته، ودخول زوجته العدة .. وإضاعة المال، والإضرار بالآخرين بحرمانهم من الانتفاع بالأجهزة.

• **هل يعد ذلك من قبيل قتل الرحمة ؟**

لا يعد ذلك قتل رحمة، لأن المريض لم يقتل، بل وقفت مداواته عن طريق الأجهزة، ولأن دماغه مات أصلاً، ولا يستطيع فقيه واحد أن يقول: إن المعالجة عن طريق تلك الأجهزة واجب شرعاً ولا يجوز الإخلال به، وحتى إذا أوقفت نكون خالفنا حكم الشرع، بل إن التداوى لدى المذاهب الأربعة وجمهور الفقهاء حكمه الإباحة وليس الوجوب اللازم.

## الإجهاض للضرورة

**• هل الرؤية الفقهية نفسها ترونها مع التشخيص بمرض الجنين؟ هل ترون وجوب الإجهاض ؟**

حياة الجنين فى نظر الشريعة الإسلامية حياة محترمة ، باعتباره كائناً حياً يجب المحافظة عليها ، حتى إن الشريعة تجيز للحامل أن تفطر فى رمضان ، وقد توجب ذلك عليها إذا خافت على حملها من الصيام ، ومن هنا حرمت الشريعة الاعتداء عليها ولو كان الاعتداء من أبويه .. ولقد أجمع فقهاء المسلمين على حرمة إجهاض الجنين بعد نفخ الروح فيه ، لم يخالف فى ذلك أحد من السلف أو الخلف ، أما مرحلة ما قبل نفخ الروح فمن الفقهاء من أجاز الإجهاض إذا دعت إليه الحاجة ، على اعتبار أن الحياة لم تدب فيه بعد.

وقد اختلف علماء الأجنة والتشريح ، كما اختلف الفقهاء فى تقييم حياة الجنين فى مراحله الأولى: قبل (٤٢) يوماً وقبل (١٢٠) يوماً ، وكان اختلافهم هذا مؤيداً قويًّا لاختلاف الفقهاء فى جنين ما قبل الأربعين وما قبل الأربعينيات الثلاثة.

وأقول: الأصل فى الإجهاض هو الحرمة ، وإن كانت الحرمة تكبر وتعظم كلما استقرت حياة الجنين ، فهو فى الأربعين الأولى أخف حرمة ، وبعد الأربعين تكون الحرمة أقوى ، وتتأكد الحرمة وتتضاعف بعد مئة وعشرين يوماً ، حيث يدخل فى المرحلة التى سماها الحديث النفخ في الروح ... وأرى أنه لا يجوز الإجهاض إلا للضرورة ، والضرورة هى إذا كان بقاء الجنين خطراً على حياة الأم ، فالأم هى الأصل فى حياة الجنين ، والجنين فرع ، فلا يضحى بالأصل من أجل الفرع ، وهذا منطق يوافق الخلق والطب والقانون والشرع.

## بنوك الحليب: حلال

**• هل تؤيد بنوك اللبن التى يتجمع فيها حليب أكثر من امرأة ليغذى المواليد المبتسرين .. هل تتم إخوة من الرضاعة شرعاً بين كل من يتغذى على حليب تلك البنوك؟**

هدف بنوك الحليب ولا شك هدف نبيل ، وكل من تساهم فيه لتغذية هؤلاء الأطفال مأجورة ، بل يجوز أن يشترى منها إذا لم تطب نفسها بالتبرع.

لكن التحريم بين الراضعين ياتى بغير هذا الطريق ، حيث قالوا عن الرضاعة :

❖ عند جمهور الفقهاء أنه كل ما يصل إلى جوف الصبى عن طريق الحلق أو غيره بالامتصاص أو غيره .. وأرى أن الشارع جعل أساس التحريم هو ﴿ **الأمومة المرضعة** ﴾ قال تعالى: ﴿ **وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ** ﴾، وهذه الأمومة التى صرح بها القرآن لا تتكون من مجرد أخذ اللبن، بل من الأمتصاص والالتصاق الذى يتجلى فيه حنان الأمومة وتعلق البنوة، وعن هذه الأمومة تتفرع الأخوة من الرضاع .. قال ابن حزم: - وأبدى د. القرضاوى إعجابه به هنا -- وأما صفة الرضاع المحرم فإنما هو ما امتصه الراضع من ثدى المرضعة بفيه فقط، فأما من سُقىَ لبن امرأة فشربه من إناء، أو حُلب فى فمه فبلعه، أو أطعمه بخبز، أو فى طعام صُب فى فمه أو فى أنفه أو فى أذنه أو حقن به، فكل ذلك لا يحرم شيئاً، ولو كان ذلك غذاءه دهره كله.

ومعلوم أن الرضاع فى بنوك الحليب غير موجود، إنما هو الوجود الذى ذكره الفقهاء ومع عدم معرفتنا لمن كان اللبن، وهل أخذ من لبنها خمس رضعات مشبعات؛ وهل اختلط بلبن امرأة أخرى، فإن الشك فى الرضاع لا يترتب عليه التحريم.

ولا أرى مانعاً من إقامة بنوك الحليب ما دام يحقق مصلحة شرعية معتبرة.

## الغناء بين الحل والحرمة

**• منذ أكثر من أربعين عاماً أفتيت الناس بعدم حرمة الغناء، وأثار كتابك (الحلال والحرام) القضية وخالفك بعض العلماء .. كيف ترى القضية اليوم ؟**

من حرَّم الغناء فإن نصوصه جاءت إما صحيحة غير صريحة، أو صريحة غير صحيحة، ولم يسلم حديث واحد مرفوع إلى الرسول ﷺ يصلح دليلاً للتحريم، وكل أحاديثهم ضعفها جماعة من الظاهرية والمالكية والحنابلة والشافعية، وقال كل من القاضى أبو بكر بن العربى والغزالى والنحوى وابن طاهر بعدم صحة شئ منها، وقال ابن حزم: كل ما روى فيها باطل وموضوع.

وإذا انتفت أدلة التحريم بقى حكم الغناء على أصل الإباحة، ولو لم يكن معنا نص ودليل واحد على ذلك غير سقوط أدلة التحريم .. غير أن هناك قيوداً لابد من مراعاتها؛ وهى أنه ليس كل غناء مباحاً، فلابد أن يكون موضوعه متفقاً مع أدب الإسلام وتعاليمه، كما أن طريقة المغنى أو المغنية يمكن أن تنقل الأغنية من دائرة الإباحة إلى دائرة الحرمة؛ إذا تعمد الإثارة والقصد إلى إيقاظ الغرائز .. كما يجب ألا يقترن الغناء بشىء محرم كشرب الخمر أو

التبرج أو الاختلاط الماجن بين الرجال والنساء بلا قيود أو حدود .. وكل مستمع فقيه نفسه أو مفتيها، فإذا كان الغناء يستثير غريزته ويغريه بالفتنة، ويطغى فيه الجانب الحيوانى على الجانب الروحانى، فعليه تجنبه وسد باب الفتنة على قلبه ودينه.

## التدخين حرام

**• لم يشع التدخين إلا فى أواخر القرن العاشر الميلادى؛ ترى هل تقفون مع من يحرمه أم أنه مكروه؛ خاصة بعد أن أفتى د. نصر فريد واصل مفتى مصر بحق الزوجة فى طلب الطلاق من زوجها المدخن ؟!**

إن اختلاف علماء الفتوى فى التحريم والإباحة فى الدخان؛ إنما هو بناء على ما ثبت لدى كل منهم من الإضرار أو عدمه.

**• لكن نصاً واحداً للشارع لم يحرم الدخان ؟**

ليس من الضرورى أن ينص الشارع على كل فرد من المحرمات، ويكفى الشارع أن يحرم الخبيث أو الضار ليدخل تحته ما لا يحصى من المطعومات والمشروبات الخبيثة أو الضارة، ولهذا أجمع العلماء على تحريم الحشيش مع عدم وجود نص معين بذلك التحريم.

**• لكن التدخين قد يسبب شيئاً من الراحة النفسية للمدخن ؟**

إنه ليس لمنفعة ذاتيه فيه، إنما ذلك لاعتياده عليه وإدمانه له .. شأن كل ما يعتاد الإنسان تعاطيه مهما كان مؤذياً أو ضاراً .. ثم إن التدخين — إضافة إلى ضرره المادى — له ضرر نفسى؛ إذ أن الاعتياد على التدخين يستعبد إرادة الإنسان، ويجعلها أسيرة هذه العادة السخيفة.

إن إطلاق القول بإباحة التدخين لا وجه له، بل هو غلط صريح وغفلة عن جوانب الموضوع كله.

**• هل يتساوى تحريم التدخين بحرمة الخمر والزنى ؟**

ميلنا إلى تحريم التدخين لا يعنى أنه مثل شرب الخمر أو الزنى أو السرقة، فإن الحرام فى الإسلام درجات، بعضها صغائر وبعضها كبائر، ولكل حكمه ودرجته ... فالكبائر لا يكفّرها إلا التوبة النصوح، أما الصغائر فتكفرها الصلوات الخمس والجمعة وصيام رمضان

وقيامه .. بل يكفرها مجرد اجتناب الكبائر .. كما ان المحرم المختلف عليه ليس مثل المحرم المتفق عليه.

● **غير أن فتوى القرضاوى حول زرع الأعضاء، حيث تنطلق القاعدة الفكرية من عدم تملك الإنسان لجسمه، فهو وديعة من الله عنده، فهل يجوز له التصرف فيه إلا بإذنه ؟**

ورد الشيخ على ذلك بقوله :

إن الجسم وإن كان وديعة، فقد مكّن الله الإنسان من الإنتفاع به والتصرف فيه، كما هو الحال فى المال، فهو مال الله حقيقة، لكنه كما أشار القرآن — قال تعالى: ﴿ **وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ** ﴾ [النور: ٣٣].

● **لكن هناك فرقاً بين الاثنين، ففى المال يجوز التبرع به كاملاً، لكن فى الجسم قد لا يجوز ذلك ؟**

إذا كان يُشرع للمسلم أن يلقى بنفسه فى البحر لإنقاذ غريق، أو يدخل النار لإطفاء حريق، فلماذا لا يجوز له أن يخاطر بجزء من كيانه لمصلحة من يحتاج إليه؟ وق رأينا التبرع بالدم وهو جزء من الإنسان ... لذا أقرر أن السعى لإزالة ضرر يعانيه مسلم من فشل الكلية، بأن يتبرع له متبرع بإحدى كليتيه السليمتين؛ أمر مشروع، بل محمود يؤجر عليه، لأنه رحم من فى الأرض فاستحق رحمة السماء.

● **هل يجوز له التبرع بالأعضاء الظاهرة كالعين واليد والرجل ؟**

لا يجوز له ذلك، لأنه يزيل الضرر عن غيره، بإضرار مؤكد لنفسه.

● **هل التبرع يكون بين مسلم ومسلم، أم يجوز التبرع لغير المسلم ؟**

يجوز التصدق بالمال كما يجوز التبرع بالبدن للمسلم ولغير المسلم، لكنه لا يجوز للذى يقاتل المسلمين بالسلاح، ومثله عندى الذى يقاتلهم فى ميدان الفكر والتشويش على الإسلام، كما لا يجوز التبرع لمرتد مارق من الإسلام مجاهر بردَّتِه، لأنه فى نظر الإسلام خائن لدينه وأمته يستحق القتل، فكيف نساعده على الحياة ؟!

وكان فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى- رحمه الله — قد أفتى منذ سنوات بعدم جواز التبرع بالأعضاء، وقامت حول رأيه معارضات عدة .. وقد اعتبر القرضاوى فتوى

الشعراوى إجابة عن سؤال عارض، بغير اعتماد على محرر مكتوب، وقال: كل يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا النبى ﷺ والمجتهد إذا أصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر ومغفرة له.

- **سألته هل يجوز بيع الأعضاء ؟**

قال: " لا يجوز؛ فالبيع مبادلة مال بمال بالتراضى، وبدن الإنسان ليس بمال، ونأسف كثيراً لقيام سوق النخاسين فى البلدان الفقيرة لبيع أعضاء الناس لصالح الاغنياء "، لكنه رأى أنه لو بذل المنتفع للشخص المتبرع مبلغاً من المال غير مشروط ولا مسمى على سبيل الهبة أو الهدية أو المساعدة فهو أمر جائز ومحمود.

أما آخر فتاوى القرضاوى – فى الشأن الاجتماعى –، وأثار حوله كثيراً من الخلاف، فهو موقفه من إباحة شراء بيوت للسكن للأقليات الإسلامية فى الغرب بقرض من البنوك الربوية .. فمن المعروف أن القرضاوى يحرم الربا، ومن ثم يُحرِّم التعامل مع البنوك العادية التى تقرض الناس نظير فائدة محددة، وله فى المجال الاقتصادى بحوث عدة، ويعد من منظرى الاقتصاد الإسلامى الذى يقوم على بيع المرابحة وعقود الاستثمار دون القروض بالفائدة، وقد اختلف كثيراً مع علماء العصر؛ ومنهم الإمام الأكبر شيخ الأزهر، وتبادلا الحوار حول القضية عبر كتب مشهورة.

لكن د. القرضاوى، فى الفتوى الأخيرة وكان فى دورة لما يطلق عليه المجلس الأوروبى للبحوث والإفتاء حيث يترأسه، ذهب إلى جواز التعامل مع البنوك العادية بقروض نظير فائدة، وعلل هذا الجواز بأن البنوك الإسلامية غير موجودة، ولا سبيل للمسلم سوى التعامل مع غيرها، واعتبر شراء المغترب من الأقليات الإسلامية لبيت يسكنه ضرورة، فكانت فتواه التى أيده فيها علماء بالمجلس نفسه.



# (٣) تجليات الظهور

د. القرضاوى

- المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل وامريكة تربية للأمة على التحرر من العبودية.
- إرباح الأعداء خيانة لمن يقدمون الشهداء كل يوم، وكل مسلم مجند لتحرير الأقصى.
- لا عصبية ولا تقليد، واليسر لا العسر، والخطاب بلغة العصر، والإعراض عما لا ينفع، والاعتدال: منهجى فى الإفتاء.
- الإجتهاد له منطقتان: ما لا نص فيه، النصوص الظنية.
- يجب النظر إلى النصوص الجزئية فى ضوء المقاصد الكلية.
- المجدد الحقيقى هو من يجدد الدين بالدين، وبعض المجددين تلاميذ للاستعمار الغربى.
- الإسلام لا يكون إلا سياسياً، و(الإسلام السياسى) يقوم على تجزئة الإسلام.
- تزوير الانتخابات، وتملق الحكام، والاحتكار، والاعتقال بغير جريمة، والتعذيب، والرشوة ... منكر.
- من تنازل عن الأرض أو قَبِلَ التعويض من اللاجئين الفلسطينيين خائن لله ولرسوله.
- أقف مع الديمقراطية رغم أن الإسلام نسيج وحده.
- السياحة إلى دولة العدو الصهيونى- لغير الفلسطينى- حرام شرعاً.
- لا خطوط حمراء لدىَّ فى الفتوى، ولا يتدخل أحد فى قطر فى فتاواى.

# (٣) تجليات الظهور

منذ انتشار ظاهرة الغلو فى التكفير، وبروز جماعات تحمل هذا الفكر فى أوائل السبعينيات، برز نجم العلامة د. يوسف القرضاوى مُنَظِّراً للفقه الوسطى الرافض لهذا النوع من التفكير، حيث شارك بالبحث والخطبة فى التصدى للظاهرة، وتوجيه مسار الحماس الدينى إلى الاعتدال بعيداً عن التطرف.

لكن ذلك لم يكن البروز الأولى للرجل فى عالم الفتوى المعاصرة، فقد فاز كتابه (الحلال والحرام) منذ ما يزيد على أربعين عاماً باحتضان الأزهر الشريف، حيث اعتبر القرضاوى نفسه - مع استقلاليته فى العالم والفكر - الشيخ محمود شلتوت أحد الشيوخ الذى تأثر بهم، وأعتزَّ بالقرب منهم إبَّان تخرجه فى الأزهر الشريف فى كلية أصول الدين ١٩٥٣م، وفوزه بالمركز الأول.

كما لم يكن ذلك الكتاب - الذى تُرجم إلى كل لغات العالم التى يتحدث بها مسلمون تقريباً - هو أول طريق الشيخ فى دنيا الفقه وعالم الفتوى، فقد شيَّخه الناس منذ الصغر:

## منذ الصبا

ألقيتُ أول درس علمى فى حياتى فى جامع المتولى فى قريتنا (صفط تراب)، فقد تخلف الشيخ عبد المطلب البتة — أستاذه الأول — عن درس العصر، فحمله الناس إلى الدرس فى جامع كبير، وجلست على كرسى الشيخ .. وانتهى الدرس — رغم الأسئلة التى وجهت إلىَّ من محترفى الأسئلة — على خير، وظللت فى كل إجازة صيفية ألقى الدروس، خاصة فى رمضان .. من جامع المتولى إلى القرضاوى على الإنترنت؛ كانت رحلة طويلة فى عالم الفتوى ودنيا الفقه الإسلامى والفتاوى الساخنة، خاصة فى الشأن السياسى .. وذلك كله موضوع هذه الحلقة مع القرضاوى:

فى آخر فتوى له كانت انتفاضة الأقصى هى المحركة للمطلب الشعبى بشأن التعبير عن التضامن مع الفلسطينيين ضد الاعتداء الصهيونى على الشعب والأرض؛ قال:

ما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة أن الجهاد لتحرير أرض الإسلام ممن يغزوها ويحتلها من أعداء الإسلام واجب محتم، وفريضة مقدسة، على أهل البلاد المغزوة أولاً، ثم على المسلمين من حولهم إذا عجزوا عن مقاومتهم، حتى يشمل المسلمين كافة، فكيف إذا كانت هذه الأرض المغزوة هى القبلة الأولى للمسلمين وأرض الإسراء والمعراج، وبلد المسجد

الأقصى الذى بارك الله حوله؟ وكيف إذا كان غزاتها هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا؟ وكيف إذا كانت تساندها أقوى دول الأرض اليوم الولايات المتحدة الأمريكية، كما يساندها اليهود فى أنحاء العالم؟

**● كأنكم ترون الجهاد هنا فريضة على المسلمين؟ هل تحددون موجبات الرأى هنا؟**

نعم الجهاد اليوم فريضة الفرائض لهؤلاء الذين اغتصبوا أرضنا المقدسة، وشرّدوا أهلها من ديارهم، وسفكوا الدماء، وانتهكوا الحرمات، ودمروا البيوت، وأحرقوا المزارع، وعاثوا فى الأرض فساداً إنه أول الواجبات على الأمة المسلمة فى المشرق والمغرب.

## مفهوم الجهاد اليوم

**● لكن الجهاد أصلاً هو بذل الجهد، فإذا استطاع المسلم بذل أقصى الجهد من أجل القيام بالفريضة فهو محقق لها .. هل يمكن إعانة الفلسطينيين وتحقيق الجهاد دون حمل السلاح الذى لا تناسبه الظروف السياسية الآن فى الدول الإسلامية؟**

أجاب: الفلسطينيون فى القدس وفى فلسطين يبذلون الدماء بسخاء، ويقدمون الأرواح بأنفس طيبة، ولا ينالون بما أصابهم فى سبيل الله، فعلينا — نحن المسلمين فى كل مكان — أن نعاونهم بكل ما نستطيع من قوة؛ قال تعالى: ﴿ **وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ** ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢]، ومن وسائل هذه المعاونة مقاطعة البضائع الاسرائيلية والأمريكية مقاطعة تامة، فإن كل ريال أو درهم أو قرش أو فلس نشترى به سلعهم، يتحول إلى رصاص تطلق فى صدور إخواننا وأبنائنا فى فلسطين.

**● لكن إلى أى درجة تصل حرمة شراء البضائع الأمريكية إذ سويتها بالبضائع الإسرائيلية؟**

البضائع الأمريكية مثل البضائع الإسرائيلية فى حرمة شرائها والترويج لها، فأمريكة اليوم هى إسرائيل الثانية، ولولا التأييد المطلق والانحياز الكامل للكيان الصهيونى الغاصب ما استمرت تمارس عدوانها على أهل المنطقة، ولكنها تصول وتعربد ما شاءت بالمال الأمريكى والسلاح الأمريكى والفيتو الأمريكى! فكل من اشترى البضائع الإسرائيلية والأمريكية من المسلمين فقد ارتكب حراماً، واقترف إثماً مبيناً، وباء بالوزر عند الله، والخزى عند الناس.

## لا لمصطلح الإسلام السياسى

لكن رفض الفقيه المعاصر القرضاوى لمصطلح شائع هو الإسلام السياسى سوف يكشف لنا عن الفهم الشامل للإسلام لديه ؛ قال لى :

أنا أرفض هذا التعبير، إذ معنى قبوله هو أننا بصدد إسلامات متعددة، حسب العصور: إسلام نبوى وراشدى وأموى وعباسى ، ، ، وحسب الأجناس: إسلام عربى وهندى وتركى .. وحسب المذهب: إسلام سنى وشيعى و.. وحسب هذا التعبير: إسلام سياسى وإسلام روحى وإسلام لاهوتى.

والإسلام لا يكون إلا سياسياً، وإذا جردت الإسلام من السياسة فقد جعلته ديناً آخر .. فالإسلام منهاج شامل للحياة بما وضع من مبادىء وما أصَّل من قواعد، وما سنَّ من تشريعات وما بيَّن من توجيهات، تتصل بحياة الفرد وشئون الأسرة، وأوضاع المجتمع وأسس الدولة وعلاقات العالم .. كما أن شخصية المسلم لا يمكن إلا أن تكون سياسية .. فالإسلام يضع فى عنق كل مسلم فريضة هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ... كما يحرض الرسول ﷺ على مقاومة الفساد، ويعتبره أفضل من مقاومة الغزو من الخارج : " أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ". ففساد الداخل هو الذى يمهد السبيل لعدوان الخارج.

## تزوير الانتخابات منكر

**● ألا ترى إمكانية حصر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبة فى محيط الأعمال التعبدية والأخلاقيات العامة؟ فإذا تعدى إلى السياسة صار للأمر منحى آخر ؟!**

كيف ذلك ؟! الاستهانة بكرامة الشعب منكر، وتزوير الانتخابات منكر أى منكر! والقعود عن الإدلاء بالشهادة فى الانتخابات منكر، وتوسيد الأمر إلى غير أهله منكر، وسرقة المال العام منكر، وأحتكار السلع التى يحتاج إليها الناس لصالح فئة أو فرد منكر واعتقال الناس بغير جريمة حكم بها القضاء العادل منكر، وتعذيب الناس داخل السجون والمعتقلات منكر، ودفع الرشوة وقبولها والتوسيط فيها منكر، وتملق الحكام بالباطل وإحراق البخور بين أيديهم منكر، وموالاة أعداء الله وأعداء الأمة من دون المؤمنين منكر .. واجب تغييره.

## لا دين فى السياسة: كذب

**• ما تعليقك على مقولة: " لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين " إذن ؟!**

أول من يكذب تلك المقولة هم مطلقوها أنفسهم، إذ لجأ هؤلاء إلى الدين ليتخذوا منه أداة فى خدمة سياستهم والتنكل بخصومهم، واستخدموا بعض الضعفاء والمهازيل المنسوبين إلى علم الدين، ليستصدروا منهم فتاوى ضد من يعارض سياستهم الباطلة ديناً والعاطلة دنيا .. وأذكر كيف طلب من أهل الفتوى أن يفتوا بمشروعية الصلح مع إسرائيل، تأييداً لسياستهم، بعد أن أصدرتُ الفتوى بتحريم الصلح، واعتبار ذلك خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ..

**• وقفت موقفاً معارضاً للسلام مع إسرائيل، لكن مفتى السعودية الأسبق الشيخ عبد العزيز بن باز قد رأى جواز الصلح والسلام مع إسرائيل، ولقد فصلتُ هذه القضية فى كتابى (أوراق فى الفقه السياسى)، وأسأل الآن: كيف تنظرون للأمر بعد سنوات مرت عليه ؟!**

فتوى العلامة ابن باز — رحمه الله — يخالف فيها الكثير من علماء المسلمين وأنا منهم، وموضوع الخطأ فى فتواه ليست فى الحكم الشرعى والاستدلال له، فالحكم صحيح، لكن الخطأ فى تنزيل الحكم على الواقع، فهو تنزيل غير صحيح، وهو ما يسميه الأصوليون (تحقيق المناط)، فالمناط الذى بنى عليه الحكم لم يتحقق .. قال ابن باز فى مسألة الصلح مستنداً للآية الكريمة — قال تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ [الأنفال: ٦١]، ولا مشاحة فى ذلك، لكن اليهود لم يجنحوا يوماً للسلم، اغتصبوا الأرض وسفكوا الدماء وشردوا الأهل وما زالوا يفعلون ! كما أن الواقع يقول: إن الذى حدث بين اليهود والفلسطينيين من اتفاقات ليس مجرد هدنة، بل هو اعتراف لليهود بأن الأرض التى اغتصبوها وشردوا أهلها أصبحت ملكاً لهم، والسيادة الشرعية على حيفا ويافا وعكا واللد والرملة وبير السبع والقدس ... جعل من هذه المدن مدناً إسرائيلية .. مع أن فلسطين ملك للأمة أرض إسلامية كلها.

## رفض التنازل عن القدس

**• رفض الرئيس ياسر عرفات التنازل عن القدس فى المفاوضات الأخيرة، هل يمكن لأحد أن يملك هذا الحق: التنازل، حتى لو كان الرئيس الفلسطينى نفسه، إذا زادت الضغوط السياسية عليه؟!**

لا يجوز للرئيس الفلسطينى ولا غيره أن يتنازل عن أى جزء من أرض الإسلام، فأرض الإسلام ليست ملكاً لرئيس أو لأمير .. حتى يتنازل عنها تحت أى ضغط ! والواجب على الأفراد والجماعات: الجهاد والمقاومة لتحرير أى أرض احتلها الأعداء، والأمة كلها مسئولة بالتضامن عن ذلك، وإذا عجز جيل من أجيال الأمة أو تقاعس فلا يجوز له أن يفرض عجزه أو تقاعسه على كل أجيال الأمة القادمة إلى يوم القيامة، فيتنازل عما لا يجوز له التنازل عنه .. ولقد أصدرت فتوى بتحريم بيع الأرض للأعداء.

## تعويض اللاجئين

**• لكن إذا حرمتم بيع الأرض للأعداء؛ هل تتساهلون فى إمكانية قبول لاجئى الشتات من الفلسطينيين للتعويض عن أرضهم فى فلسطين كما هو مطروح الآن ؟**

أفتيت بتحريم قبول التعويض عن أرض فلسطين للاجئين المشردين فى أنحاء العالم ولو بلغ المليارات، فأوطان الإسلام لا تقبل البيع ولا التنازل ولا التعويض عنها، ومن فعل ذلك فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين .. وإذا كان ذلك الحكم لأى أرض إسلامية؛ فكيف بالقدس الشريف أولى القبلتين وبلد الأقصى وثالث المدن المعظمة بعد مكة والمدينة ؟! وإن السيادة على القدس يجب أن تكون إسلامية عربية فلسطينية، ولا يمنع هذا المسيحى واليهودى من إقامة شعائر دينه بكل سماحة إسلامية.

## حنين إلى الأقصى

**• كيف ترون حلة أو حرمة السفر إلى إسرائيل للسياحة، خاصة زيارة المسجد الأقصى ؟**

أفتيت بالمقاطعة واعتبرتها فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، وقد اعتبرت سلاح المقاطعة هو السلاح المتاح للمسلمين اليوم، والقدر الممكن من الجهاد، فتعاملنا مع الأعداء شراء وبيعاً وسفراً يشد من أزرهم، ويقوى دعائم اقتصادهم، ويمنحهم القدرة

على استمرار العدوان علينا .. وقد رأينا أن عدوانهم لا يرحم أحداً من الصغار والكبار والمدنيين، كما حدث مؤخراً ومازال فى القدس والمدن الفلسطينية، وتقويتهم والسياحة لديهم تعاون معهم، وهو تعاون محرم يقيناً قال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢]، كما أن التعامل معهم يكسر الحاجز النفسى، بيننا وبينهم، مما يردم الفجوة التى حفرها الاغتصاب والعدوان التى من شأنها أن تبقى جذوة الجهاد مشتعلة فى نفوس الأمة؛ قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [الممتحنة: ١] ... ولقد أشدت مرات عدة برفض الشعب المصرى لأشكال التطبيع مع العدو الصهيونى، الذى يبدأ اقتصادياً ويسعى إلى أن يكون اجتماعياً وثقافياً، واختلاط الأعداء بنا يحمل أضراراً خطيرة وتهديداً لمجتمعاتنا بنشر الفساد والرذيلة والإباحية .. لهذا كله وسداً للذرائع إلى هذا الفساد المتوقع أرى أن السفر أو السياحة إلى دول العدو الصهيونى لغير أبناء فلسطين حرام شرعاً، حتى ولو كان بقصد ما يسمونه بالسياحة الدينية، أو زيارة المسجد الأقصى الأسير تحت نير دولة يهود وفى حراسة بنى صهيون .. إننا جميعاً نحنُّ إلى المسجد الأقصى، ونشتاق إلى الصلاة فيه بعد تحريره وما حوله إن شاء الله، وعودته إلى أهله الطبيعيين، وهم أمة العرب والإسلام.

## أقف ضد الديكتاتورية

**● فى أغلب طروحات د. القرضاوى لا يغيب عنه الطرح السياسى: كيف ترون الديمقراطية؟ وهل يمكن أن يقبل بها الإسلاميون حقيقة؛ إنهم يتحفظون عليها بل قد يتخوفون منها ؟!**

أنا أقف ضد الحكم الفردى الديكتاتورى، وضد الاستبداد السياسى والطغيان على حقوق الشعوب ... وأقف دائماً فى صف الحرية السياسية المتمثلة فى الديمقراطية الصحيحة غير الزائفة ... وإن الصحوة الإسلامية لا تتفتح أزهارها، ولا تنبت بذورها إلا فى جو من الحرية، ومناخ الديمقراطية.

الإسلام ليس هو الديمقراطية، ولا الديمقراطية هى الإسلام، وما أحب أن ينسب الإسلام إلى أى مبدأ أو نظام آخر، فهو نسيج وحده فى غاياته وفى مناهجه ووسائله، وما أحب أن ننقل الديمقراطية الغربية بعجزها دون أن نضفى عليها من قيمنا وفكرنا ما يجعلها جزءاً من نظامنا، ولكن الأدوات والضمانات التى وصلت إليها الديمقراطية هى أقرب ما تكون إلى تحقيق المبادئ والأصول السياسية التى جاء بها الإسلام لكبح جماح الحكام؛ وهى

الشورى والنصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ورفض الطاعة عند الأمر بمعصية، ومقاومة الكفر البواح، وتغيير المنكر بالقوة عند الاستطاعة، هنا تبرز قوة السلطة النيابية القادرة على سحب الثقة من أية حكومة تخالف الدستور، كما أن قوة الصحافة الحرية وقوى المعارضة يمكن أن يقاوما مخالفة الحكومة للدستور.

## تخوف الإسلاميين

**• لكن تخوف الإسلاميين من الديمقراطية يأتى من أنها تجعل الشعب مصدراً للسلطات حتى السلطات التشريعية، ويقولون: إن التشريع لله وحده ؟**

هذا التخوف الذى تتحدث عنه يمكن إزالته بمادة واحدة؛ تنص على أن أى تشريع يخالف الأصول القطعية للإسلام يعتبر باطلاً، فالإسلام هو دين الدولة ومصدر المشروعية العليا لكل مؤسساتها.

**• هل يعنى ذلك سلب السلطة التشريعية حق التقنين والاجتهاد أو تضييق مجاله؟**

التشريع أو الحاكمية لله تعالى لا يسلب الأمة حقها وسلطانها فى الاجتهاد لنفسها، فى التقنين لحياتها وشئونها الدنيوية المتطورة مطلقاً، لكن المقصود هو كون التشريع أو التقنين فى إطار النصوص المعصومة والمقاصد الكلية للشريعة وللرسالة الإسلامية.

**• لكن الأمر على هذا النحو يجعل النصوص مقيدة لحرية الاجتهاد ؟**

أبداً .. فالنصوص الملزمة قليلة جداً، ومنطقة (العفو) أو الفراغ التشريعى جد واسعة والنصوص نفسها من السعة والمرونة بحيث تتسع لأكثر من فهم، وأكثر من تفسير، ومن ثم تتعدد المشارب والمذاهب والآراء داخل إطار الإسلام الرحب.

## منهجى فى الفتوى

**• نتوقف الآن عند منهجكم فى الفتوى، خاصة فى القضايا المعاصرة حول قضايا الاجتهاد الكبرى .. كيف تحددون مسار الفتوى ؟**

لدى عدد من القواعد فى هذا الشأن، منها أنه لا عصبية ولا تقليد، حيث أننى أتحرر أصلاً من العصبية المذهبية والتقليد الأعمى، مع توقيرى الكامل لأئمتنا وفقهائنا، فعدم تقليدهم ليس حطّاً من شأنهم، بل سيراً على نهجهم، وحسْب العالم المستقل ألا يلتزم رأياً فى قضية دون دليل قوى، وأن يكون قادراً على الترجيح بين الأقوال المختلفة والآراء المتعارضة؛ بالموازنة بين أدلتها، والنظر فى مستنداتها من النقل والعقل.

● **هل يمثل ذلك منطقة عسرة لدى بعض أهل العلم الشرعى ؟**

أبداً .. الأمر ليس بالعسير على من ملك وسائله من دراسة العربية وعلومها وفهم المقاصد الكلية للشريعة، والإطلاع على كتب التفسير والحديث والمقارنة، كما يجب أن يكون هذا العالم المستقل أهلاً للاجتهاد الجزئى، أى الاجتهاد فى مسألة معينة وإن لم يكن فيها حكم للمتقدمين.

● **ما هو موقفكم من اختيار اليسر على العسر فى أمر الفتوى ؟**

أنا أُغَلِّب روح التيسير والتخفيف على التشديد والتعسير وذلك لأمرين:

الأول: لأن الشريعة مبنية على التيسير ورفع الحرج عن العباد.

والثانى: طبيعة العصر الذى طغت فيه المادية على الروحية والأنانية على الغيرية والنفعية على الأخلاق.

والفرد المسلم يعيش فى محنة قاسية ... لهذا ينبغى على اهل الفتوى أن ييسروا عليه ما استطاعوا، وأن يعرضوا عليه جانب الرخصة إلى جانب العزيمة ترغيباً فى الدين.

● **ماذا تعنى بالتيسير، وما رأيك فى الأخذ بالأحوط دون الأيسر حفظاً للدين ؟**

التيسير هو عدم الصدام مع نص ثابت محكم ولا قاعدة شريعة قاطعة، بل يسير فى ضوء النصوص والقواعد والروح العامة للإسلام، وإذا كان هناك رأيان متكافئان: أحوط وأيسر، فإنى أوثر الإفتاء بالأيسر، اقتداءً بالنبى ﷺ الذى ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً .. أما الأحوط فيمكن أن يأخذ به المفتى فى خاصة نفسه، أو يفتى به أهل العزائم.

## الجماهير ولغة العصر

● **يلاحظ فى لغة خطابك الجماهير مخاطبة العقول بلغة العصر .. ماهى آفاق ذلك الخطاب ؟**

التزمت بالفعل مخاطبة الناس بلغة العصر التى يفهمونها، متجنباً وعورة المصطلحات الصعبة، وخشونة الألفاظ الغريبة، متوخياً السهولة والدقة، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ [إبراهيم: ٤]، فلكل عصر لسان أو لغة، ولا أعنى باللغة مجرد ألفاظ يعبر بها قوم عن أغراضهم، بل ما هو أعمق من ذلك مما يتصل بخصائص

التفكير وطرائق الفهم والإفهام، ومن هنا فإن لغة عصرنا تعتمد على مخاطبة العقول بالمنطق، لا على إثارة العواطف بالمبالغات، وذكر الحكم مقروناً بحكمته وعلته، مربوطاً بالفلسفة العامة للإسلام، وقد التزمت ذلك فى فتاواى، لأنه طريقة القرآن والسنة، ولأنه أغلب الناس لا يقبلون الحكم دون معرفة مغزاه وهدفه فى عصر كثر فيه الشكاكون والمشككون ! كما أنى أعرض عما لا ينفع الناس ولا يحتاجون إليه من أسئلة أصحاب المراء والجدل والتعالم والتفاصح وامتحان المفتى وتعجيزه، وإثارة الأحقاد والفتن بين الناس .. وذلك كله أبتعد عنه ولا ألقى له بالاً، فهو يضر ولا ينفع، ويهدم ولا يبنى، ويفرق ولا يجمع.

**● كيف تنظر إلى الاعتدال أو الوسطية التى اعتبرتك الأوساط العلمية رائداً لها فى مجال الاجتهاد المعاصر ؟**

إننى ألتزم روح التوسط دائماً، والاعتدال بين التفريط والإفراط، بين الذين يريدون التحلل من عُرى الأحكام الثابتة بدعوى مسايرة التطور من المتعبدين بكل جديد، وبين الذين يريدون أن يظل كل ما كان على ما كان من الفتاوى والأقاويل والاعتبارات، تقديساً منهم لكل قديم.

**● ما بين التعصب للقديم والانطلاق إلى التحديث تبرز قيمة الاجتهاد، ولعلكم تقفون اليوم على رأس عملية الاجتهاد، ما هو الاجتهاد فى نظركم اليوم ؟**

الاجتهاد: هو إعادة النظر فى تراثنا الفقهى العظيم، بمختلف مدارسه ومذاهبه وأقواله المعتبرة فى شتى العصور، لاختيار أرجح الأقوال فيه، وأليقها بتحقيق مقاصد الشريعة، وإقامة مصالح الأمة فى عصرنا، فى ضوء ما جدّ من ظروف وأوضاع، والعودة إلى المنابع: النصوص الثابتة، والتفقه فيها على ضوء المقاصد العامة للشريعة، والاجتهاد فى المسائل والأوضاع الجديدة التى لم يعرفها فقهاؤنا الماضون، ولم يصدروا فى مثلها حكماً، وذلك لاستنباط حكم مناسب لها فى ضوء الأدلة الشرعية.

## تجديد الدين

**● كيف ترون تجديد الدين إذاً ؟ ومن هو المجدد الحقيقى للدين ؟**

التجديد للدين له مفتاح هو الوعى والفهم، فلا يعنى تجديد الدين إظهار طبعة جديدة منه، بل يعنى العودة به إلى حيث كان فى عهد الرسول وصحابته والتابعين، وهى

عودة إلى التيسير لا التعسير، وإلى التبشير لا التنفير، ومن يقرأ فقه الصحابة والتابعين يجد أنهم أفقه الناس لروح الإسلام ومقاصده.

والمجدد الحقيقى هو من يجدد الدين بالدين، ويكون قادراً على عرض الإسلام بلغة العصر، مخاطباً كل قوم بلسانهم، واعياً لخصائص العصر وخصائص الإسلام والأقوام.

وكان تجديد عمر بن عبد العزيز — مجدد المئة الأولى — فى ميدان العمل والحكم لا ميدان الفكر والعلم كتجديد الشافعى فى رأس المئة الثانية، لكن بعض المجددين فى العصر الحديث هم تلاميذ للاستعمار الغربى !

**● لكن كيفية عمل المجدد تحتاج إلى وقفة: أى مناطق العلم الشرعى يمكنه النظر والاجتهاد ؟ هل يجوز الاجتهاد مع وجود نص فى المسألة ؟**

الأولى: منطقة ما لا نص فيه، مما تركه الشارع رحمةً لا نسياناً، ليملأ المجتهدون الفراغ بما يحقق مقصد الشارع، وفق مسالك الاجتهاد التى يتبعها المجتهدون؛ من القياس أم المصلحة المرسلة أو الاستحسان أو استصحاب الحال.

والثانية: هى منطقة النصوص الظنية؛ سواء أكانت ظنية الثبوت، ومعظم الأحاديث النبوية كذلك، أو ظنية الدلالة، ومعظم نصوص القرآن والسنة كذلك .. ووجود النص لا يمنع الاجتهاد، فتسعة أعشار النصوص قابلة للاجتهاد وتعدد وجهات النظر.

## الخطوط الحمراء وفقهاء السلطة

**● ما هى الخطوط الحمراء لديك فى الفتوى، خاصةً الفتوى السياسية ؟**

- لا يتحكم فى فتواى أحد، ولم يتدخل أحد من قبل فى أى فتوى أصدرتها، وعلى القائم بهذا العمل أن يحذر خطران: الأول: اتباع أهواء السلاطين، والثانى: اتباع أهواء العامة، وارى الثانى أخطر من الأول، فقد يرضى عالمٌ الناس ويزايد فى هذا الجانب، ويتشدّد فيما لا ينبغى التشدد فيه، إنما العالم الحق هو الذى يحاول ويجتهد أن يتحرر من كل سلطان غير سلطان الشرع، ومن كل سلطان غير سلطان الحجة والدليل، ولا يخضع لا لهوى السلاطين، ولا لهوى الجماهير، إنما يخضع لأمر الشريعة.

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو: هل يمكن اعتبار القرضاوى من فقهاء السلطة، اللافت للنظر أن منهج القرضاوى لم يتغير منذ أن كتب (الحلال والحرام) منذ أكثر من أربعين

عاماً، وحتى اليوم، فقد جاء إلى الخليج فى هجرة اختيارية إبان حكم عبد الناصر، وهو يرى الحجاب لا النقاب، وأهل الخليج يميلون إلى النقاب، لكنه لم يغير رأيه، وأفتى بإباحة الغناء والاختلاط والموسيقا، والتشدد هو السائد فى هذه المسائل، لكنه لم يغير رأيه، وأفتى بحرمة الصلح مع إسرائيل مغضباً كثيراً من الحكام العرب، ووجوب مقاطعتها فى الوقت الذى تقيم فيه دولة قطر علاقاتها التجارية مع إسرائيل ولم يغير رأيه، بل طالب مؤخراً بوجوب إغلاق مكتب التمثيل الصهيونى فى الدوحة، ووصفه بوكر الجواسيس، وذلك فى معرض مطالبته للأمة بمقاطعة إسرائيل وأمريكة، رداً على عدوانها الأخير، وتأييداً لانتفاضة الأقصى، بادئاً بمطالبة دولة قطر نفسها .. ولعل موقفه المشهور لا يخفى بعد أن صافح أمير دولة قطر بيريز رئيس إسرائيل الأسبق، حيث خطب خطبة جمعة ينقلها التليفزيون القطرى على الهواء مطالباً من صافح بيريز بأن يغسل يديه سبع مرات، إحداهن بالتراب، كما هو واجب على من يمس لعاب الكلب ويصيبه النجس ... كما أكد على ذلك حين صافح أمير قطر نفسه باراك فقال: إن موقفه ثابت من المطالبة بالمقاطعة لإسرائيل وأمريكة، حتى وإن صافح من صافح وقابل من قابل!

هل يمكن اعتبار ابن (صفط التراب) فى رحلة الفتوى مجدداً حقيقياً للدين عبر الفضائيات والإنترنت ؟

❖ ❖ ❖

# (٤) إبحار فى الجذور

**العلامة القرضاوية :**

- نعم أنا إنسان عاطفى، فالإنسان من عقل وقلب.
- بناتى أربع، وأولادى ثلاثة، وأحفادى أحد عشر حفيداً.
- أضحك وأمزح وأنكت، ولابد للإنسان من ساعة وساعة.
- الإحساس بالمؤلم أشد عندى من الإحساس بالمفرح.
- أرادنى عمى خيّاطاً أو تاجراً، وتركز طموحى أن أكون عالماً بالأزهر.
- لم يؤثر اليتم على نشأتى كثيراً، وعوضنى عمى وخوالى عنه.
- لا أعرف شيئاً يسمى إجازة، فمن يعمل بالعلم والدعوة لا يملك وقت فراغ.
- لماذا كان القرضاوى يفطر خارج بيته فى (صفط تراب) فى رمضان ؟

❖ ❖ ❖

# (٤) إبحار فى الجذور

يعد الجانب الشخصى لدى الفقيه المعاصر د. يوسف القرضاوى غائباً عن الجماهير التى تتابعه عبر الفضائيات، ومن خلال كتبه التى تعدت المئة، وخطبه ومحاضراته.

الطفولة والنشأة، الأولاد والأسرة، البيت والزوجة، محاور لابد من تناولها فى سياق الجانب الإنسانى لدى القرضاوى. أما ما يؤثر فيه، ويقف ضعيفاً أمامه، فقد حكى للأهرام العربى ما يتحدث به لأول مرة لصحيفة عربية.

إضافة إلى ثنايا ومواقف سوف تكون عبر هذه الأوراق من خلال الحوار مع القرضاوى:

نشأت فى جو أُسرى محاطاً بحب الجميع، خاصةً أننى كنت وحيداً لدى والدتى، فى قرية مصرية كأى شاب مصرى ريفى من أسرة متدينة بسيطة، وفى مجتمع يعتبر الدين أهم شئ فى وجوده، وفى الخامسة ذهبت إلى احد كُتّاب القرية (صفط تراب) الأربعة، وهى قرية عتيقة تعود إلى موت آخر الصحابة فى مصر بها، هو عبد الله بن الحارث بن معد كرب الزبيدى .. (الصفط فى اللغة: السلة أو السَّبَت، ولعلها منقولة من اللغات القديمة).

حفظت القرآن وأنا ابن تسع سنين وعدة أشهر، وقدمنى الناس للصلاة خاصة فى رمضان، فكنت إماماً لهم أرتل القرآن بصوت خاشع فيبكون ورائى متأثرين .. شيَّخنى الناس منذ الصغر، فضاعت طفولتى، وهل يلهو الشيخ يوسف ويلعب ؟!

## رمضان فى قريتى

**● كيف كان الطفل يوسف يقضى شهر رمضان فى القرية المصرية ؟**

قبل معرفتى وأطفال القرية بمعنى الصوم؛ كنا نهلل ونكبر عند المغرب وسماع انطلاق المدفع .. وأول صوم رمضان كان عمرى فيه سبع سنين، وكان رمضان يقع فى الشتاء حيث اليوم القصير والجو بارد.

وكنا – كأولاد – نفطر فى مكان خارج البيت، فما إن يقترب المغرب حتى يأتى كل واحد منا بطبق من طعام بيته لنفطر معاً، فإذا قدم غريب أو عابر سبيل يفطر معنا دون أن يطرق الأبواب على أحد .. وفى رمضان شهر القرآن تقوم العائلات الغنية بإحضار حفظة

القرآن ، فيتلون القرآن الكريم بعد صلاة التراويح ، وقد يحضرون من يفسر ما تمت تلاوته من آيات استمع إليها الناس ، كم حضرت مثل هذه الدروس واستمعتُ إليها ووعيتها جيداً.

**● هل أنت نادم على شئ ضاع فى طفولة الشيخ ؟**

– أندم على خمس سنين ضاعت من عمرى ، لم يوجهنى أحد للاستفادة من هذا السنوات .. وما حدث هو أننى حفظت القرآن الكريم دون العاشرة ، ولم أدخل معهد طنطا الدينى الأزهرى إلا فى الرابعة عشرة ... لم يكن أحد يقدر قيمة الوقت .. ولو تعلمت اللغات لكنت أتقنت لغة أو أكثر .. أو حفظت كتب الحديث أو دواوين الشعر .. لكنى لا أملك إلا أن أقول : الحمدُ لله على كل حال.

## عالم بالأزهر

**● كيف التحقتم بالأزهر : هل كان الخيار الأوحد ؟ أم تملكتم دوافع محددة للسير فى هذا الطريق ؟**

لم يكن الطريق سهلاً : فقد توفى والدى وأنا ابن الثانية ، وكفلنى عمى وكان مزارعاً مستوراً ، وإن لم يكن من أهل الغنى ، وكان يرى التعليم غيرُ مُجْدٍ ، وكنت فى غاية الشوق للتعليم بالأزهر ، وكان يشغلنى ويمثل أمنياتى وطموحاتى أن أكون عالماً من علماء الأزهر ، بينما يرى عمى أن علماء الأزهر الذين تخرجوا فى قريتنا ، وحصلوا على الشهادة العالمية ، كانوا يجلسون فى القرية ولا عمل لهم ، وكانت هناك بطالة فى هذا الوقت ، خاصة خريج الأزهر ، فكان عمى يقول : تظل خمس عشرة سنة تتعلم ، ثم تأتى لتقعد على المصطبة مثل الشيخ فلان والشيخ فلان ؟!

ولم تكن وزارة المعارف تقبل خريجى الأزهر للعمل بها معلمين ، ومن قُبل منهم معلماً ، لا يقبل إلا إذا كان من الأوائل ، ويعين بثلاثة جنيهات فى الشهر ، وكانت فكرة عمى أن أتعلم شيئاً آخر : صنعة خيَّاط مثلاً ، قال لى : أو نفتح لك دكاناً ، عندنا (مندرة) — حجرة فى المنزل مطلة على الشارع بالدور الأرضى — نعمل لك باباً بها على الشارع ، ونأتى لك بالبضائع وتشتغل فى التجارة ، وحينما تكبر تشتغل كاتباً فى مصالح الحكومة ، أو فى الدوائر الزراعية (كانت هناك طريقة قديمة فى الحساب تُسمَّى الذبية) كان التفكير يدورفى أشياء سريعة الجدوى ، أما التعليم الطويل الذى يُخشى ألا يكون وراءه مستقبل مضمون ، فإن عمى — الذى كفلنى رحمه الله — لم يكن مقتنعاً به.

● **إذاً كيف تغير الموقف، وتغلبت على فهم العم لأمر التعليم الطويل؟**

إصرارى من ناحية، واشتياقى الشديد، وإلحاحى فى أن الأمور بيد الله، وأن المستقبل له، ولا يعلم أحد الغيب، وأنه ما بين سنى والخامسة عشرة موعد دخول الأزهر لا يعلم أحد ماذا سيجرى فيها، وإذا أراد الله شيئاً هيأ له الأسباب .. كان ذلك وراء اجتياز العقبة.

أما الأسباب المباشرة فهى أننا كنا فى الحقل مرة، ومرَّ علينا أحد العلماء من قرية مجاورة لقريتنا فى طريقه لبلد اسمها (الهيَّات) ... قال الرجل: هل عندكم ماء بارد، قالوا له: تفضل يا سيدنا الشيخ، فجلس وجاءوا له بالقُلّة (من الفخار) وشرب وجلس، فقال عمى له: يا سيدنا اختبر لنا الشيخ (بتاعنا) ابننا هذا، هل هو حافظ للقرآن ؟ فسألنى الشيخ: أأنت حافظ القرآن. قلت: نعم حافظ، فسألنى فيه ... وكلما سألنى أجبت، وأقرأ قراءة جيدة بحسن ترتيل، فأعجب الرجل وقال لعمى: لماذا لا يذهب ابنك هذا إلى الأزهر ليتعلم فى المعهد ؟ فقال له عمى: إن الأزهريين يتخرجون ولا يجدون عملاً، فقال له: يا شيخ أنت مغسل وضامن جنة وهو مثل يُضرب لمن يتحدث عن نتائج الأعمال قبل عملها، وأضاف: انت تعلمه وتترك الأمر لله ؟ وهل تضمن العيش له حتى يتخرج ؟ وقال أيضاً لعمى: حرام عليك إذا لم تعلّمْه .. قوَّى هذا من عزيمة عمى، وكان أبناء عمى متحمسيْن لذلك رغم أنهما من الفلاحيين.

● **كأن اليتم لم يؤثر فى الطفل يوسف رغم موت الأب، إذ كنت أبناً لعمك؟**

بالفعل كان عمى هذا خيراً لى من كثير من الآباء، وكان أبناء عمى أكثر من إخوة، كان منه العطف والحنو، وكانت الإخوة منهما، لذلك فإنى حقيقة لم أشعر باليتم فى مثل حالتى، فقد عوضنى الله بحب الأقارب سواء من ناحية الأب أو من جهة الأم، فخالى وخالاتى وأبناء خالاتى وأقاربى كانوا يحيطوننى بدرجة عالية من الحب والود.

## الوقت مشكلة

● **إذا كانت سنوات الانتظار فى الأزهر قد ضاعت سدًى، هل مثَّل الوقت مشكلة لك بعد ذلك عبر مسيرة الحياة ؟**

الوقت عندى مشكلة .. قد تستغرب إذا قلت لك: إننى أكاد لا أعرف شيئاً يسمى الإجازة، ربما أعمل فى الإجازات أكثر من أيام العمل الرسمية ! فمن يعمل بالعلم والدعوة

لا يملك وقت فراغ، ومشكلتى الكبرى أن الواجبات أكثر من الأوقات، ولا أجد وقتاً لكل ما يطلب منى .. فلا أجد وقتاً لقراءة الرسائل التى تأتينى فضلاً عن الرد عليها، وهى رسائل تحمل مطالب شتى من المشارق والمغارب، والشهرة لها ضريبتها، وأنا فى تحرج وتأثم أمام هؤلاء، فالقراءة وحدها لتلك الرسائل تحتاج تفرغ .. وإذا فرغت منها فمتى أؤدى عملى، وعندى عمل رسمى، وعملان آخران أراد الله لى أن أجمع بينهما: العلم والدعوى، وهذه تحتاج إلى نوع من الرهبنة، فلكى تؤلف وتكتب علماً أصيلاً، فإنك تحتاج إلى نوع من التفرغ كتفرغ الراهب فى صومعته، والدعوة تحتاج إلى النقيض: الحركة والاتصال بالناس واللقاءات، كل هذا يكاد لا يترك لى وقتاً أقضيه فى إجازة.

## الواجب الاجتماعى ضرورة

● **كيف تقضى الواجب الاجتماعى بينك وبين الآخرين ؟**

مهمة الداعية أن يكون وثيق الصلة بالناس، لأنه صاحب رسالة لا يستطيع الانعزال، فبينى وبين الأصدقاء والجيران والأقارب زيارات؛ وإن كنت لا أجد الوقت الكافى، على الأقل فى المناسبات، وفى مثل هذه الحالة نمضى الوقت كما يمضيه كل الناس: نضحك ونمزح وننكت.

● **لكن بعضهم يربط بين عملية التدين وهجر المزاح، لعلهم يقصدون الوقار ؟**

أنا لست ضد الحياة المرحة اللطيفة الباسمة، فبعض الناس يظن أن التدين تجهم ووجه عبوس وحياة نكِدة، والضحك أصلاً من خصائص الإنسان، لا الحيوان، ووصف الصحابة رسول الله ﷺ بأنه كان من أفكه الناس؛ وقال رسول الله ﷺ: " يا حنظلة ساعة وساعة "، لكن ما أدعو إليه هو ألا يجعل الإنسان ساعة القلب تطغى على ساعة الرب.

● **لو أرتددنا إلى الداخل: بأى ساعة تعرفك أسرتك داخل بيتك؛ وهل يغلب على وجه الأب انشغالُ الفقيه ؟**

أعاننى الله على أمرى العلم والدعوة بأسرة هادئة، زوجة صالحة اقترنت بها فى ديسمبر (١٩٥٨م)، من أصول طيبة، هاشمية حسينية، رزقنى الله منها بنين وبنات .. إنها أم محمد الجندى المجهول فى مسيرتى، نعم العون على مهمتى العلمية والدعوية والتربوية .. قدرت ظروفى ورسالتى العالمية .. فصبرت على انشغالى بهموم الدعوة والأمة .. إنها ربة منزل من الطراز الأول، تمتلئ وفاء، هى فوق ذلك أم لا مثيل لها.

وقد وفقنى الله عز وجل فى أبنائى وبناتى وأحفادى، فلم أفرض على احد منهم تخصصاً معيناً، بل تركت لكل منهم أن يختار اتجاهه بمحض إرادته، وقد كنت اتمنى أن تدرس بناتى فى الاتجاه الأدبى، لكنهن جميعاً اخترن التخصص العلمى، فلم أجد إلا الاستجابة لرغباتهن، وشجعتهن، وتفوقن فى المجال الذى أحببنه .. كما اتجه أولادى الرجال إلى القسم العلمى إلا واحد.

## بناتى وأولادى وأحفادى

**• من هم أولاد وبنات الشيخ ؟ وأى دراسة حصَّلوا وإلى أين وصلوا فى هذه الدراسة التى ربما تكن قريبة من الفقه والدراسات الشرعية ؟**

عندى بنات أربع ؛ تخرجت الأبنة الكبرى (إلهام) بامتياز فى الفيزياء، حصلت على درجة الدكتوراه فى الفيزياء النووية من جامعة لندن، وهى تدرِّس بجامعة قطر، وتخرجت الثانية (سهام) بامتياز أيضاً فى قسم الكيمياء، وحصلت على الدكتوراه من جامعة (ريدنج) بانجلترة فى الكمياء العضوية، وتدرِّس أيضاً فى كلية العلوم أيضاً فى جامعة قطر.

وتخرجت الثالثة (علا) بامتياز فى قسم الحيوان، وحصلت على الماجستير من جامعة تكساس بأمريكة فى الهندسة الوراثية، وعملت بمركز البحوث العلمية بالجامعة، ثم اضطرت إلى الاستقالة لتلحق بزوجها فى القاهرة، رغم أنها كانت الثانية فى دفعتها على جامعة قطر، أما الرابعة (أسماء) فقد حصلت على الماجستير من جامعة الخليج بالبحرين قسم النبات، وتستعد الآن لمناقشة رسالة الدكتوراه فى جامعة نوتنجهام بإنجلترة مع زوجها إن شاء الله.

ومن الأولاد (محمد) فهو الأبن الأكبر، تخرّج فى كلية الهندسة بجامعة قطر قسم الميكانيك، وحصل على الماجستير من جامعة (نفر) فى كلورادوا، وقد حصل منذ عدة أسابيع فقط على درجة الدكتوراه من جامعة أولاندو فى فلوريدا، أما الأبن الأوسط (عبد الرحمن) فقد اختار خطاً آخر، فقد التحق بإرادته بالمعهد الدينى فى قطر، وواصل دراسته فى كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وهو يستعد لمناقشة الماجستير فى كلية دار العلوم بمصر خلال أسابيع قليلة، وهو معيد بكلية الشريعة بجامعة قطر، ومبعوث منها إلى دار العلوم.

والأبن الأصغر (أسامة) تخرَّج من كلية الهندسة قسم الكهرباء، عيّن بوزارة الكهرباء، ويمارس عملاً حراً، ومازال يأمل فى الدراسات العليا حين إتاحة الفرصة له.

● **ماذا عن الأحفاد الذين حمل أحدهم اسم يوسف ؟**

تزوج البنات كلهن ، ورزقنى الله منهن أحد عشر حفيداً من ذكور وإناث ، ومازلت أنتظر زواج الأبناء من زوجات صالحات.

## الحب: نعمة

● **كيف تعلل — فى إطار الجانب الإنسانى — علاقة الحب بينك وبين الناس ؟**

أنا أنظر إلى ما بينى وبين الناس من حب فى إطار العدالة الإلهية ، فقد يحرم الإنسان من شئ كحنان الأبوين — مات والدى وأنا فى السنة الأولى من الابتدائية الأزهرية — ويرزق حب الأقارب ، رجالاً ونساء ، أعماماً وعمات ، وأخوالاً وخالات ، ويرزق حب الناس ، وأنا ممن حبَّب الله تبارك وتعالى فىَّ الناس ، وقد كانت والدتى تدعو " ربنا يحبب فيك خلقه" ، وكانت جدتى تقول : " يحبب فيك الرب فى عرشه والجند فى فرشه ، ويحبب فيك الحصى فى الأراضى ، ويجعل فى وشَّك (وجهك) جوهرة ، وفى حنكك (فمك) سكرة " ، وأنا أحس وكأن الله تبارك وتعالى قد استجاب لدعوات أمى وجدتى.

## أرق للمآسى دوماً

● **وأنت تجوب العالم الإسلامى كيف تقابل المشكلات وتعالج مآسى الأمة المستمرة فى كل مكان ؟**

أرق كثيراً لما يصيب المسلمين من مآسى وهموم ، وتذرف عينى بالدموع حين أسمع إنساناً يشكو حاله أو رأيت منظراً مؤثراً ، فمآسى الناس تؤثر فىّ .. ودعنى أقول لك: إن جانب الحزن لدى أشد من جانب الفرح ، وربما كان هذا طابعاً عند المصريين عامة ، حتى إن الناس فى حين يضحكون يقولون : يارب اجعله خيراً ، فهم لا يتوقعون استمرار الضحك .. فالإحساس بالمؤلم أشد عندى من الإحساس بالمفرح.

## عاطفى: نعم

● **الفقيه المعاصر يعمل العقل والفكر فى مجال الدعوة .. لكن هذه الكلمات يبدو منها أنك إنسان عاطفى ... هل تصح هذه المقولة ؟**

نعم أنا إنسان عاطفى ، فالإنسان عقل وقلب ، فأنا أبغض الظلم جداً كما ذكرت لك ، فأنا لا أحب أن أظلم ، ولا أحب أن أُظلم ، ولا أن أرى احداً يُظلم ، وأقاوم الظلم بكل

ما أستطيع، وهذا من القيم الإسلامية التى أورثها لنا الإسلام: " قل يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا ".

كما يغلبنى الحياء .. وأحياناً يشتد حتى يصل إلى درجة الخجل، خاصةً من هؤلاء الذين يملكون وجهاً جامداً، لذلك أنا لا أحب الإلحاح، وإذا اضطررت لطلب شىء أطلبه مرة واحدة، لا أستطيع أن ألح، وعلى العكس: أنا أضعف أمام الإلحاح، وأحياناً أضعف حتى أُلام: لماذا وافقت على هذا الأمر ؟

ولم أكن موافقاً من الناحية المنطقية على الأمر، لكننى أضعف أمام ضغط الإلحاح.

## عاطفة المرأة

● **المرأة ذات عاطفة أطغى، هل يمكن أن تؤثر فيك هذه العاطفة الخاصة بالمرأة ؟**

هى تؤثر فىّ فى حالة ضعفها، تشكو حالها، تستغيث بى، طبعاً أضعف أمام هذه المرأة .. وأنا أضعف أمام الضعفاء عامة.

● **هل لأنك تعرضت لظلم من قبل ؟ أم لأنك نشأت يتيماً ؟**

لعل هذا صحيح، أو لعل نشأتى يتيماً أثرت فى ذلك، وكانت قوة الجانب العاطفى لدىّ.

## مع ابن باز

● **إذا انتقلنا إلى محور علاقاتك بعلماء العصر، نذكر صورة هذه العلاقة مع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مفتى السعودية الأسبق، حيث أعلم خصوصيتها رغم اختلافكما فى منهج الإفتاء، وقد رثيته رثاءً حاراً حين وفاته منذ مايو — أيار ١٩٩٩م .. هل تضىء لنا شيئاً من هذا الجانب ؟**

## سماحة مع ابن باز

منذ أكثر من ربع قرن أرسل إلىَّ الشيخ ابن باز — رحمه الله — كتاباً، يخبرنى فيه أن وزارة الإعلام قد عرضت عليه كتابى المعروف (الحلال والحرام)؛ هل يفسح له لدخول السعودية أو لا يفسح، وأنه يود ألا يحرم القراء فى السعودية من كتبى التى (لها ثقلها فى

العالم الإسلامى) كما ذكر الشيخ، وأن المشايخ لهم ملاحظات على الكتاب تتحدد فى ثمان نقاط ذكرها، وأنه يرجونى أن أعيد النظر فيها، فإن اجتهاد الإنسان قد يتغير من وقت لآخر.

وقد رددت يومها على الشيخ برسالة رقيقة قلت له فيها: إن أحب علماء الأمة علىَّ ألا أخالفه فى رأى هو الشيخ ابن باز، ولكن قضت سنة الله ألا يتفق العلماء على رأى واحد فى كل المسائل، وقد اختلف الصحابة بعضهم مع بعض، واختلف الأئمة بعضهم مع بعض، فما ضرهم ذلك شيئاً، اختلفت آراؤهم ولم تختلف قلوبهم، وبعض هذه المسائل الثمانى اختلف الناس فيها من قديم، مثل قضية وجه المرأة أهو عورة أم ليس عورة ؟ وقضية الغناء بآلة وبغير آلة، ما حكمه ؟ وسيظل الناس يختلفون فيها إلى ما شاء الله، ويرد بعضهم على بعض، ولا حرج فى ذلك، ولا إنكار فى مسائل الخلاف، وهذا من سعة هذا الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان .. وهناك قضايا فهمت عنى خطأ، فقد قيل: إنى أبحتُ التدخين، أو ترددت فى الحكم عليه، مع أنى معروف بالتشدد فى هذا الأمر، ومن قرأ كتابى أو غيره تبين له ذلك بجلاء، ومثل بذلك قضية جواز المودة مع الكافر، وأنا لم أجز المودة مع كل كافر، ولو كان محاداً محارباً لله ولرسوله وللمؤمنين، إنما المودة مع المسالم الذى له حق على المسلمين، ولهذا أجاز الشرع للمسلم أن يتزوج كتابية مع ما افترض أن يكون بين المرء وزوجه من مودة ورحمة.

**• كيف سمح الشيخ ابن باز بدخول الكتاب إلى السعودية مع اختلافه معك وإصرارك على رأيك الفقهى فى هذه المسائل ؟**

قلت له: أرجو ألا يكون خلافى فى بعض المسائل سبباً فى منع كتابى من دخول السعودية، وقد استجاب الشيخ رحمه الله — فيما ظهر لى — إلى رغبتى، وسمح لكتابى وغيره بدخول سوق السعودية، واتصل حبل الود بينى وبينه فى مناسبات كثيرة.

❖ ❖ ❖

# (٥) بين الأزهر والإخوان

**العلامة القرضاوى:**

- ليس فى قلبى متسع للضغائن والأحقاد، ولا أشغل نفسى بمعاداة مسلم.
- تعلمت من مشايخى فى الأزهر علوم الدين واللغة، ولم يضيقوا بنقاشى وأسئلتى.
- نقلنى مشايخ جماعة الإخوان المسلمين من تدين القرية الفردى إلى دعوة الإسلام العالمية.
- ما قدمت لدينى ولأمتى حتى الآن إلا القليل.
- القرضاوى يدشّن مشروع المؤسسة العالمية الإسلامية لرعاية الموهوبين.
- هذه هى معالم تيار الوسطية الإسلامية الذى أتبناه فى الفكر والدعوة.
- مسيرتى كانت صعبة مليئة بالمعاناة، لكنها معاناة بغير جرح.

❖ ❖ ❖

# (٥) بين الأزهر والإخوان

حين وقف د. يوسف القرضاوى يتسلم جائزته من الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ؛ كان هو الشخصية الإسلامية العالمية التى أجمع على اختيارها أمناء الجائزة ، ويمنح مليون درهم إماراتى بعد أن نقلته وعائلته (الزوجة والأولاد والأحفاد).. طائرة خاصة ، يصحبه فيها رئيس اللجنة المنظمة لجائزة دبى.. لكن القرضاوى يتذكر أن الجائزة الأولى التى حصل عليها كانت جائزة أحفظ صبى للقرآن فى محافظة الغربية ، وكان مقدارها جنيهاً مصرياً وربع جنيه أخذ محفظه للقرآن الربع وكان الجنيه من نصيبه.. أما المليون فقد تبرع بربعه إلى مشروع (الإسلام على الإنترنت) الذى يترأس مجلس إدارته ، وثلاثة أرباع المليون تبقى وقفاً لمشروع كبير يحلم به الداعية المعاصر ؛ هو مشروع المؤسسة العالمية الإسلامية لرعاية الموهوبين من أبناء المسلمين.

وما بين الاحتفال التكريمى فى كُتَّاب الشيخ حامد حين ختم القرآن الكريم دون العاشرة ، إذ كان الحضور الأقارب ومشايخ (صفط تراب) وأكواب الشربات وزغاريد النساء المصريات ، والاحتفال فى دبى على فضائيتها وعرضها البانورامى لبعض حياة الشيخ ، هناك (٦٤) عاماً من الزمن يفرق بين الاحتفالين.

تحدث القرضاوى فى الاحتفال الأخير فقال :

أول ما أذكر والدتى — رحمها الله — التى كانت أول من دفعنى وصحبنى إلى الكتّاب وأنا فى الخامسة من عمرى ، وعمى أحمد الذى كفلنى بعد موت أبى وأنا رضيع فى الثانية من عمرى فكان لى خيراً من كثير من الآباء لأبنائهم ، وكان يعاملنى كما يعامل أولاده ، بل أفضل ، وكنت أناديه دائماً : يا أبى.. ثم أبناء عمي الذين كانوا لى أفضل من كثير من الإخوة لإخوانهم ، وكانوا لا يدخرون وسعاً لمساعدتي حتى أكمل مشوارى فى الأزهر ، وأذكر خالى عبد الحميد الذى كان يعتز بى ويملأ نفسى بالأمل والطموح ، وخالتى وجدتى اللاتى كن أمهات لى بعد أمى التى لقيت ربها وأنا فى الخامسة عشرة من عمرى ، وأقاربى جميعاً ، الشيخ حامد أبو زويل معلمى فى الكتّاب.

# مشايخى فى الأزهر والإخوان

## واستطرد:

أذكر مشايخى فى الأزهر، الذين تعلمت على أيديهم علوم الدين واللغة، والذين لم يضيقوا ذرعاً بالفتى الذى يكثر النقاش ولا يمل السؤال.

وأذكر مشايخي فى جماعة الإخوان المسلمين الذين وسعوا آفاقى، وعمقوا أهدافى، ونقلونى من تدين القرية الفردى إلى دعوة الإسلام العالمية، فحددت غايتى، وعرفت طريقى، وعرفت أمتى الكبرى، واهتممت بقضاياها، وعشت همومها.

## كيف تلاقى الحجارة ؟

سألته قبل أن يسافر من الدوحة إلى دبى: ما هو منهجك فى التعامل مع من يترصدون لك بالحجارة فى الفترة الأخيرة خاصة: الأحباش ثم حزب التحرير ؟

قال : رضا الناس غايةٌ لا تدرك، قال الشاعر :

وَمَنْ فى النَّاسِ يُرْضى كُلَّ نَفْسٍ      وَبَيْنَ هَوَى النُّفُوسِ مَدًى بَعِيدُ؟

وقد أوذى الإمام أحمد وأدخل السجن، وأصابه ما أصابه فى فتنة (خلق القرآن)، فلما ذهبت محنته سألوه عمن آذوه، فسامح فيما كان من حقه هو، لا ما كان من حق الله، وقال: ماذا ينفعك أن يدخل أخوك النار ؟.. وقد نشأت فى رحاب دعوة كان مؤسسها حسن البنار رحمه الله ؛ يدعو إلى الحب ويقول : سنقاتل الناس بالحب.

**• لكن هل تتأثر نفسك بما يبثه آخرون — فى الخط الإسلامى خاصة — من تجريح لك ؟**

— أؤكد لك أنه ليس فى حياتى ولا فى قلبى متسع للضغائن والأحقاد على المسلمين، ولا أشغل نفسى بمعاداة مسلم، وإن خالفنى فى الاتجاه أو فى الرأى ، فأنا مشغول القلب والفكر والجهد والوقت بأعداء الدين، وأعداء الأمة.. أما قومى فهم منى وأنا منهم، وأنا

أعفو إن شاء الله وأصفح، كما أنزل الله فى شأن أبى بكر حين آلى ألا يعطى بعض أقاربه الذين خاضوا فى حديث الإفك ومسوا بألسنة السوء ابنته عائشة أم المؤمنين، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، وأنا متصدق بعرضى على من آذانى من المسلمين، يغفر الله لى ولهم.. لكنه توقف قائلاً:

إلا من كان من حق الله تعالى، وحق الإسلام، فليس من شأنى أن أسامح فيه، فمن كان يعمل لحساب خصوم الإسلام فإنى أستعدى عليه سهام القدر ودعاء السَّحَر.

## ماذا قدمت طوال ثلاثة أرباع قرن ؟

**● هل ترى عبر رحلة ثلاثة أرباع القرن أنك قدمت الكثير الذى تريد للإسلام ؟**

على العكس؛ فإنى أنظر إلى ما قدمت لدينى ولأمتى فأجده شيئاً قليلاً أو أقل من القليل.

**● لكن أكثر من مئة كتاب، ومحاضرات، وبرامج؛ قد مثَّلت فكراً إسلامياً معاصراً، هل ترى كل ذلك قليلاً؟ وما هو مقياسك لذلك ؟**

أرى ما قدمت قليلاً لمستوى الدين الذى أكرمنا الله به، وأتم به النعمة علينا وما يتطلب منا من بذل وعطاء، وأراه قليلاً بالنسبة لما قدمه أسلافنا العظام لدينهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومن الأئمة المتبوعين، ومن رجال أعلام نذروا حياتهم لدينهم، أمثال الغزالى وابن عبد السلام وابن تيمية وابن القيِّم، وبالنسبة لما قدمه رجال مسلمون فى عصرنا صدقوا ما عاهدوا الله عليه منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، منهم من قدَّم عنقه فى سبيل الله إلى حبل المشنقة، ومنهم من اغتيل فى الطريق ومنهم من عاش حياته معافىً صابراً مرابطاً فى أيام سماها الحديث الشريف: (أيام الصبر القابض على دينه كالقابض على الجمر)، وأخيراً أرى ما قدمت قليلاً بالنسبة لما يقدمه الآخرون لدينهم فلقد رأينا اليهود يبذلون لدينهم حتى أقاموا له دولة فى قلب ديارنا تتحدى أمتنا الكبرى.. ورأينا النصارى

يبذلون لدينهم حتى كانت لهم جيوش من المنصرين والمنصرات فى أنحاء العالم، بلغت نحو أربعة ملايين وثلاثة أرباع المليون.

## تكريم لتيار الوسطية

**• كيف تنظر إلى هذا التكريم الذى منحك جائزة الشخصية الإسلامية العالمية لعام ٢٠٠٠م ؟**

أرى هذا التكريم ليس مجرد تكريم لشخصى، بل هو تكريم لتيار أمثّله وأتبنّاه وأدعو إليه تيار نذرت فكرى وجهدى ولسانى وقلمى للتعريف به، والدعوة إليه، والدفاع عنه.. وهو تيار الوسطية الإسلامية الذى يعبر عن وسطية هذا الدين، الذى سماه الله فى كتابه (الصراط المستقيم)، ويعبر عن وسطية هذه الأمة التى زكّاها الله تعالى بقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

**• هل يمكننا التوقف عند معالم أساسية متميزة لتيار الوسطية الإسلامية الذى تتبنّاه فى الفكر والدعوة ؟**

أهم معالم هذا التيار هى: التيسير فى الفتوى والتبشير فى الدعوة، والجمع بين السلفية والتجديد، أو بين الأصالة والمعاصرة، والموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر، والمزاوجة بين الواجب والوقع (فقه الواقع)، والحوار والتعايش مع الآخرين، والتسامح مع المخالفين، وتبنى الشورى والعدالة وحرية الشعوب وحقوق الإنسان، وإنصاف المرأة وتحريرها من جور التقاليد الموروثة من عصور التخلف، ومن جور التقاليد الدخيلة الوافدة من حضارة التحلل، وتقديم الإسلام رسالة حضارية متكاملة متوازنة لبعث الأمة وتحريرها وتوحيدها.

## ما هى الوسطية الإسلامية ؟

**• ما هى طبيعة هذه الوسطية؛ هلى تعنى عدم اتخاذ موقف محدد ؟ أم تعنى التوسط بين تيارين بتيار واضح ؟ هل تمثل الأمثلة وضوحاً أمام القارئ ؟**

وسطية هذا التيار تقوم على موقفه المعتدل من قضايا مهمة، جنح فيها الكثيرون إلى الإفراط أو التفريط، ولكنه حرص دائما أن يكون كما أمرر الله تعالى فى كتابه:

﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن: ٧ — ٩]، فهذا هو موقفه الثابت فى قضايا الفكر والعمل: لا طغيان ولا إخسار فى الميزان، فهو وسط بين دعاة المذهبية الضيقة ودعاة اللامذهبية المنفرطة، وسط بين أتباع التصوف وإن انحرف وابتدع، وأعداء التصوف وإن التزم واتبع.

وسط بين المحكمين للعقل وإن خالف النص القاطع، والمغيبين للعقل ولو فى فهم النص، وسط بين الناس يأخذون الحضارة الغربية بخيرها وشرها، وبين الذين يرفضونها بالكلية، وسط بين دعاة التشدد ولو فى الفروع والجزئيات، ودعاة التساهل ولو فى الأصول والكليات، وسط بين المقدسين للتراث وإن بدا فيه قصور البشر والملغين للتراث وإن تجلّت فيه روائع الهداية.

وسط بين فلسفة المثاليين الذين لا يكادون يهتمون بالواقع، وفلسفة الواقعيين الذين لا يؤمنون بالمثل العليا، وسط بين دعاة الفلسفة (الليبرالية)، التى تعطى الفرد وتضخمه على حساب المجتمع، ودعاة الفلسفة الجماعية (الماركسية) التى تعطى المجتمع وتضخمه على حساب الفرد، وسط بين دعاة الثبات ولو فى الوسائل والآلات.. ودعاة التطور ولو فى المبادئ والغايات.

وسط بين داعاة التجديد والاجتهاد وإن كان فى أصول الدين وقطعياته، ودعاة التقليد وخصوم الاجتهاد وإن كان فى قضايا العصر التى لم تخطر ببال السابقين، وسط بين الذين يهملون النصوص الثابتة بدعوى مراعاة مقاصد الشريعة، والذين يغفلون المقاصد الكلية باسم مراعاة النصوص.

وسط بين دعاة الانفتاح على العالم بلا ضوابط، ودعاة الانغلاق على النفس بلا مبرر وسط بين دعاة الغلو فى التفكير حتى كَفَّروا عامة المسلمين المتدينين، والمتساهلين فيه ولو مع صرحاء المرتدين، وسط بين المستغرقين فى السياسة على حساب التربية، والمهلمين كلية للسياسة بدعوى التربية، وسط بين المستغرقين فى الحاضر غائبين عن المستقبل، المبالغين فى التنبؤ بالمستقبل كأنه كتاب يقرؤونه، وسط بين المقدسين للأشكال التنظيمية كأنها أوثان تعبد، والمتحللين من أى عمل منظَّم كأنهم حبات عقد مفرط، وسط بين الدعاة إلى العالمية، دون

مراعاة للظروف والملابسات المحلية ، والدعاة إلى الإقليمية الضيقة دون أدنى ارتباط بالحركة العالمية.

وسط بين المسرفين فى التفاؤل متجاهلين العوائق والمخاطر ، والمسرفين فى التشاؤم فلا يرون إلا الظلام ، ولا يرقبون للظلام فجراً ، وسط بين المغالين فى التحريم كأنه لا يوجد فى الدنيا شيء حلال ، والمبالغين فى التحليل كأنه لا يوجد فى الدين شيء يسمى حراماً.

## جوائز فى حياة القرضاوى

لكن الذى ينبغى تذكره هو أن جائزة الشخصية الإسلامية العالمية ، التى حصل عليها القرضاوى ، ليست هى الجائزة الأولى العالمية التى يحصل عليها ، وإن كانت هى الأكبر قيمة ، ففى عام ١٤١١هـ حصل على جائزة البنك الإسلامى للتنمية فى الاقتصاد الإسلامى ، وفى عام ١٤١٣هـ حصل على جائزة الملك فيصل العالمية فى الدراسات الإسلامية (بالاشتراك) ، ومن ماليزية على جائزة العطاء العلمى المتميز من رئيس الجامعة الإسلامية العالمية ، وكان ذلك عام ١٩٩٦م ، وفى عام ١٩٩٧م حصل على جائزة السلطان حسن البلقيه (سلطان بروناوى) فى الفقه الإسلامى ، وفى العام الماضى حصل على جائزة سلطان العويس فى الإنجاز الثقافى والعلمى ١٩٩٩م ، وكان ذلك فى دولة الإمارات العربية المتحدة أيضاً.

## شرعية الجوائز

- **سألته عن التأصيل الشرعى لفكرة الجوائز فأجاب :**

إعطاء الجائزة للمتسابق أمر مشروع : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦]، ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد : ٢١]، فهذه المسابقة مشروعة وقال تعالى أيضا : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة : ١٤٨]، والتسابق والتنافس فى الخير مطلوب ، والنبى ﷺ سابق بين الخيل وأعطى السابق جائزته ، وكان يكافئ ﷺ أصحابه إذا قدموا خدمة جليلة للإسلام.. وإذا كان غير المسلمين ينظمون جوائز عالمية مثل جائزة نوبل وغيرها ، فلا مانع أن تكون للمسلمين جوائزهم لتكريم العلماء الذين يبذلون جهداً مميزاً ، وأعتقد أنها عمل إيجابى فى حد ذاته إذا وضعت فى موضعها وروعيت ظروفها وضوابضها ، ولم تدخل فيها الأهواء ، وهذه الجوائز

تكون كما قال الله عنها بحق أم موسى : ترضع ولدها وتأخذ أجرها ؛ فأم موسى أرضعت ابنها وهو واجب عليها ، ومع ذلك أخذت أجراً على ذلك.

## مؤسسة الموهوبين المسلمين

**● ثم سألته : تبنى الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم مشروعكم المؤسسة العالمية الإسلامية لرعاية الموهوبين من أبناء المسلمين.. ما هى ملامح هذا المشروع ؟ وكيف تكون بدايته القادمة بعد أن أوقفتم له ثلاثة أرباع الجائزة ؟**

منذ سنوات وأنا أحلم بمشروع (مؤسسة إسلامية عالمية) لرعاية الموهوبين من أبناء المسلمين ، فهؤلاء النوابغ والمتفوقون هم أعظم ثروة تمتلكها الأمة ، وهم الذى يستطيعون أن ينهضوا بها فى مضمار الرقى المادى والمعنوى ، إذا أحسنت الأمة توجيههم وتوظيفهم ، ولم تدعهم يضيعون وتضيع مواهبهم وقدراتهم فى أعمال روتينية يستطيع أقل الناس حظاً من الذكاء أن يقوم بها ، وتأتينى رسائل من أنحاء العالم الإسلامى ، ومن الأقليات الإسلامية فى الغرب والشرق من شباب نابغين ، ولا يجدون فرصة للدراسة الجامعية ، فضلاً عن الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه.

وأنا أعلم أن الكنيسة لديها جمعيات ومؤسسات تحتضن النوابغ والموهوبين من أبناء دينها ، وتنفق عليهم بمنح كاملة أو جزئية أو بقرض يسدونه بعد تخرجهم بالتدريج ، ولا يوجد لدينا نحن أمة الإسلام على المستوى العالمى مؤسسة تسد هذه الثغرة وتلبى هذه الحاجة ، كما تتابعهم حتى لا تلتقطهم القوى الأخرى فى أوروبة وأمريكة فتخسرهم بلادهم خسارة كبيرة ، وهى من أشد الحاجة إليهم.. والحمد لله فقد وافق سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم على بدء الإجراءات التنفيذية لهذا المشروع ، والذى يبدأ باختيار أرض فى موقع مناسب ليقام عليها مبنى إدارى تجارى يوقف على المشروع ، كما أذِنَ بإنشاء لجنة تحضيرية لإعداد تصور كامل للمشروع ، واختيار مقرّ مناسب لها لممارسة عملها.

## حكاية الفرافيت

**● حين بدأ مشروعكم الحلم لرعاية الموهوبين يتحقق أو يرى خطواته الأولى ، هل ما زال النجم المعاصر وصاحب جائزة المليون درهم يتذكر الشيخ يوسف الأزهرى الطالب فى معهد طنطا الدينى ؟**

حقاً ما زلت أذكره ، أذكر أن المسيرة فى عقودها الأولى كانت صعبة ، لكن الله عزَّ وجلّ ذللها ، كانت عسيرة ، لكن الله يسَّرها ؛ أذكر أننا ونحن طلاب فى المعهد الدينى بمدينة

طنطا، كثيراً ما كانت تنفد منا النقود قبل أوانها المحدود، فنعيش على الخبز والملح أياماً، وفى مرة من المرات نفد الخبز نفسه، ولم يبقَ من (الزوادة) إلا (الفرافيت)؛ فظللنا نأكل منها أياماً، وكنا مجموعة نسكن متجاورين، وكلنا عاش على هذه الفرافيت.. وكثيراً ما كنا نقطع الطريق من طنطا إلى قريتنا (صفط تراب) مشاة على أقدامنا، إذ لا نجد قرشين نركب بهما فى القطار أو (الأتوبيس)، وكانت المسافة أكثر من عشرين كيلو متراً، وكنا نحمل سلة فيها ملابسنا، ولكن لم نكن نحسُّ بأى تعب، وخصوصاً أننا عائدون إلى أهلنا.

## معاناة بغير جرح

● **كيف تنظر الآن إلى هذه الفترة المليئة بالمعاناة ؟**

لم تكن الطريق مفروشة بالأزهار والرياحين، بل كانت مفروشة بالأشواك، وكانت فعلاً مليئة بالمعاناة ، لكن معاناة هذه الأشواك لم تكن تجرح، وإن جرحت كان جرحها غير مؤلم، فقد كانت محببة إلى النفس، ولا أضق بها صدراً، ووجدت فى هذه المعاناة لذة، وفى مرارة الابتلاء حلاوة، وعرفت من قراءاتى الأدبية أن هذا هو الطريق إلى العلا، وكان مما نحفظه فى عهد الصبا :

بقدرِ الجدِّ تُكسب المعالي ومَنْ طَلَبَ العُلا سَهِرَ اللَّيالى
ومَنْ طلب العُلا من غير كدٍّ أضاعَ العمرَ فى طلبِ المُحالِ

ولقد يسر الله علينا كثيراً مما كان عسيراً من قبلنا، فقد كان أحدهم يسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد، ويرحل من بلد إلى بلد، ليطلب العلم من أهله وشيوخه، والآن وفرت لنا المطابع هذه المتاعب، وستجد الأجيال القادمة العلم أيسر سبيلاً من جيلنا، بما توفره الآليات الحديثة :

الكمبيوتر والإنترنت وغيرهما، فبلمسة من جهاز يجد ما ينشده أمامه مسطوراً، ولا أخفى عليك معاناة أخرى، لم تكن فى طلب العلم، ولكنها كانت فى سبيل الدعوة إلى الإسلام، فى زمن غربة الإسلام، الذى يشكو إلى الله أبناء عقُوه، وأنصاراً خذلوه، حتى أصبح هذا الدين غريباً فى كثير من أوطانه، وأصبح دعاته غرباء، ولا غرو أن يصطدموا فى أحيان كثيرة بأصحاب السلطان، الذين اتخذوا (العلمانية) منهاجاً لهم، وجعلوا (الغرب) قبلة لهم، ورفضوا شريعة الله حاكمة لهم ، قال تعالى: ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة : ٥٠]. لقد كانت ثمرة هذا الصدام ألواناً من الأذى فى المعتقلات والسجون نحتسبها عند الله، ولا نَمُنُّ بها على الله تعالى، ولا على أحد من عباده، قال تعالى: ﴿ **بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [الحجرات: ١٧].

❖ ❖ ❖

# (٦) وصال مع الإخوان

**د. القرضاوى :**

- عرفنى الإخوان المسلمون شاعراً وانضممت إليهم فى (١٩٤٤)م.
- أول تخشيبة دخلتها فى حياتى فى مركز زفتى، وكاد حذائى يدل القلم السياسى على وجودى !.
- نقلنى الاتصال بالإخوان إلى النظرة الشاملة للإسلام وليس مجرد التدين الفردى.
- لا أتنكر لدعوة الإخوان ولا أجحد نشأتى فى ظلها، لكننى مستقل الآن فى العلم والفكر.
- من الأزهر إلى الإخوان إلى الاستقلال : رحلة مسيرتى ملك للأمة الإسلامية.
- مرشحة الإخوان بالإسكندرية توزع فتواى بحق المرآة فى الانتخاب والترشيح على الناخبين.
- شاركت فى المظاهرات، من أجل المطالب الوطنية والقضايا الإسلامية.

❖ ❖ ❖

# (٦) وصال مع الإخوان

من الأزهر خرج الفقيه المعاصر د. يوسف القرضاوى ، وإلى أكبر جماعة إسلامية فى العصر الحديث انضم الفتى الأزهر أول الأمر شاعراً ثم داعية إلى الإسلام.. وعبر وقفات عدة فى تاريخ الرجل — فى هذه الحلقات — كانت وقفة مع تجربة الاعتقال الأولى ، وماذا حملت له أو أضافت إليه ثم كيف يرى القرضاوى الآن الجماعة التى نشأ فيها ، هل مازال مرتبطاً بها ؟ أم صار ملكاً للأمة الإسلامية ؟ فى هذه الحلقة يلقى الضوء على جانب من جوانب هذه العلاقة التى بدأت من الأربعينيات حتى اليوم ، وإلى أين صارت وأصبحت ؟.

● **بعد دخول الأزهر ؛ وفى مرحلة تعليمية مبكرة نبت الوصال مع أكبر جماعة إسلامية فاعلة فى التاريخ الحديث : كيف بدأ الإعجاب ، ثم الارتباط؟**

بدأ اتصالى بالإخوان إعجاباً أول الأمر بشباب الإخوان ، خاصة الجوالة الذين كانوا يحملون المصاحف ويجوبون الشوارع وهم يهتفون : "الله أكبر ، ولله الحمد ، لا إله الله محمد رسول الله عليها نحيا ، وعليها نموت ، وفى سبيلها نجاهد حتى نلقى الله.."

● **لكننى أسأل عن بدء معرفتك بحسن البنا ؟**

استمعت إلى الإمام الشهيد حسن البنا وأنا فى السنة الأولى الابتدائية فى الأزهر بمعهد طنطا الدينى ، كان يأتى إلى طنطا لإحياء ذكرى الهجرة ، وأقام الإخوان حفلاً لهذه المناسبة ، ودعوا الإمام البنا له ، وكان ابن عمتى الذى أسكن معه قد أراد أن يذهب لهذا الحفل ويتركنى ، وقال لى : أنت صغير ، لكننى أردت أن أسمع الشيخ البنا ، وسمعته : كان يتحدث حديثا جديداً ، فطالما سمعنا الناس يتحدثون عن الهجرة ، وقصتها والغار والعنكبوت ، لكنه قال : "إن قصة الهجرة ذكرها الله فى آية فى القرآن الكريم : ﴿ **إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ** ﴾ [ التوبة : ٤٠ ] ، إنما المهم العبرة من الهجرة ، فالهجرة كانت حداً فاصلاً بين عهدين : عهد تربية الفرد فى مكة ، وعهد إقامة الدولة فى المدينة ، وكان الفرد فى بمكة يقوم على دعائم.. والدولة فى المدينة تقوم على دعائم كذا..". وظل الشيخ البنا يشرح القضية شرحاً شدنى ، وملأ قلبى وعقلى فى ذلك الوقت ، وظللت أحاول أن أتتبع الشيخ كلما جاء إلى طنطا لأستمع إليه ، ولكنى لم أكن أعرف : وماذا بعد ذلك ؟ إلى أن اتصلت بشعبة الإخوان فى طنطا ، حيث دعونى لأشارك فى

ندوة شعرية، وذلك من خلال معرفتى بى فى المعهد الأحمدى، فقد دعيت كشاعر وألقيت قصيدة كان مطلعها:

**قلبى يحسُّ برحمةٍ تتدفق    ويرى الملائكةَ حولَنا قد أحدَقُوا**

وقد ضاعت كما ضاع غيرها وقت المحن المختلفة، ومنذ ذلك الوقت بدأ اتصالى بدعوة الإخوان وحضور جلساتهم وندواتهم.

**● كيف تمت الوصلة الأولى الفعلية فى الانضمام إلى الجماعة؟ هل تطلّب ذلك بيعة محددة؟**

أبدأ، بدأ الاتصال الأدبى هذا وأنا فى السنة الرابعة من الابتدائية الأزهرية، والسنة الأولى من الثانوية، وبدأ الإخوان يوثقون صلتهم بى أكثر، ويكلفوننى بالدعوة، لا فى المعهد الأحمدى فقط بل خارجه أيضاً، فى المدن والقرى حول طنطا، أذهب كل يوم جمعة إلى بلد وأخطب وألقى درساً بعد الصلاة، وأدعو بدعوة الإخوان، وأدعو الناس إلى الانضمام لها.

ولم يتطلب الأمر بيعة، بل حسبنا أن نملأ ورقة ونسجلها ونقول: إننا أصبحنا من الإخوان، وقد بدأ كهذا الأمر بالنسبة لى فى السنة الرابعة من الابتدائية الأزهرية، وأصبحت أعتبر نفسى عضواً فى جماعة الإخوان المسلمين، وفى الثانوية أصبحت عضواً مهماً فى نشر الدعوة، سواء فى داخل النطاق الطلابى أو خارج نطاق المعهد.

## الانضمام إلى الإخوان

**● ماذا أضاف الانضمام إلى الإخوان المسلمين للشاب الأزهرى يوسف القرضاوى الذى يمارس الدعوة إلى الله قبل الانضمام إلى الإخوان؟**

الواقع أن اتصالى بالإخوان نقلنى نقلة جديدة، غير النقلة من (صفط تراب) إلى المعهد الدينى، أصبحت أنظر إلى الإسلام نظرة شاملة، إنه ليس مجرد تدين فردى، بل مصحف وسيف وعبادة وقيادة وصلاة وجهاد، أصبح من هذا المفهوم الشامل هو أنه لا يكفى الإنسان أن يكون متديناً فى نفسه، ويدع المجتمع من حوله يعج بالفساد أو يحكم بغير ما أنزل الله، وإنما يجب أن يقاوم المنكر، ومن هذه المنكرات الحكم بغير ما انزل الله، وأنه يجب أن تقام حدود الله، وأن تحكم شريعة الإسلام.. كما أن النظرة خارج الوطن كانت من مظاهر النقلة

الجديدة، فإن المسلمين ليسوا هم أهل مصر فقط. ولكن المسلمين فى أنحاء العالم لهم حقوق، فيجب أن نهتم بقضية فلسطين، وبقضايا المسلمين فى العالم، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

**● هل قمت بممارسة هذه المفاهيم فى فترة النشأة المبكرة ؟**

نعم. كنت أعمل داعية ومنتدباً إلى بلاد كثيرة خارج طنطا: إلى المحلة الكبرى، وإلى بسيون وإلى زفتى، وكفر الزيات، وكفر الشيخ، وطلخا، وبلقاس، ونبروه.. كان عندى مدى واسع لنشر الدعوة فى هذه المنطقة.

**● كيف تأهلت للقيام بالدعوة الإسلامية فى هذه السن المبكرة ؟**

آتانى الله القدرة على أن أُقنع الخاصة وأُفهم العامة، ولى طريقة فى إقناع العوام أو إفهامهم لضرب الأمثلة، وكنت أحفظ كثيراً من الأمثال الشعبية، وكنت فى وقت من الأوقات أسجل هذه الأمثال فى (نوتة) عندى فيها آلاف الأمثال التى يتداولها الناس، وكان ذلك كله يساعدنى على نشر الدعوة.. كما كنت أساهم بالشعر، وكنت مشهوراً به، وإذا ذكر القرضاوى يقولون الشاعر، فكنت ألقى الشعر فى المحافل الكبيرة.

## هذه مشاركتى فى قضايا الوطن

**● ما هو موقفك من قضايا الوطن فى هذه الفترة ؟ هل شاركت فى مظاهرات ؟ وما هى رؤيتك لمشاكل مصر فى هذه الحقبة الهامة من النضال ؟**

فى هذه الفترة كانت المطالب الوطنية فى مصر على أشدها، بعد الحرب العالمية الثانية، وبدأ الإخوان يقيمون مؤتمرات وطنية لتوعية الناس بتلك المطالب، ومازلت أذكر المؤتمر الكبير الذى عقد فى ساحة البلدية فى مدينة طنطا، وحضره جمع كبير، ونكلم فيه الإمام البنا وشرح فيه هذه المطالب، تحدث لأول مرة من قضيتنا ووسيلتنا ودعوتنا، وتحدث عن قضية الوطن : الوطن الصغير والوطن الكبير، والوطن الأكبر. الوطن الصغير هو وادى النيل : لم يقل : مصر بل وادى النيل، لأن وحدة وادى النيل أمر مقرر، وكان يقول : إن مصر هى السودان الشمالى، والسودان هى مصر الجنوبية، والوطن الكبير هو الوطن العربى من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى ( كانت كلمة الخليج العربى غير منتشرة فى ذلك الوقت)، والوطن الأكبر هو الوطن الإسلامى من المحيط الهادى إلى المحيط الأطلسى، وقضايا العرب وفلسطين، وقضايا المسلمين، ووسائلنا فى الحصول على هذه القضايا.

وقد شاركت بمجهودى بالشعر والنثر، وقيادة المظاهرات من أجل المطلب الوطنية ومن أجل القضايا العربية والإسلامية مثل قضية فلسطين، وكنا كل عام فى الثانى من نوفمبر وبمناسبة وعد بلفور نخرج فى مظاهرات للتذكير بقضية فلسطين، والقضايا الإسلامية مثل قضية كشمير وقضايا المغرب العربى: تونس والجزائر ومراكش، أحيانا نصطدم بالشرطة ونؤخذ إلى أقسامها ونضرب.

**● ما هو موقفك والإخوان من مشروع وطنى مثل مشروع صدقى — بيفن ؟**

أيد الإخوان صدقى، وظنوا أنه يستطيع أن يأتى بالخير، ثم وقفوا ضده وقاوموه، وقاموا مشروعه مع بيفن وزير خارجية بريطانيا، وخرجنا بالمظاهرات، وفى الليل اصطدمنا بالبوليس وأخذنا إلى أقسام الشرطة.. كانت هذه الفترة فترة نشاط مكثف باستمرار، وكنت فى هذا الوقت مسؤولاً عن طلاب الإخوان فى معهد طنطا الدينى، كنت مندوب الإخوان، كان الإخوان يقيمون مندوباً لهم فى الجامعات والمعاهد، فكنت مندوباً لهم منذ الثالثة الثانوية، فى المعهد الابتدائى والمعهد الثانوى، وكان عندنا معهد آخر اسمه معهد المنشاوى، وهو معهد حر لطلاب المعاهد الدينية فى طنطا فى ذلك الوقت فى المرحلة الثانوية.

## أول تخشيبة فى حياتى

**● ما هو الحديث الأهم الذى يمكن اعتباره أول تعامل بينك وبين السلطة فى هذا الوقت ؟**

كنا فى السنة الخامسة ووقع وعد بلفور، وفى ٨ ديسمبر ١٩٤٨ م فى عهد حكومة النقراشى وقع الحل الأول لجماعة الإخوان، وأصبح الإخوان مطاردين فى ذلك الوقت، وصرنا مطلوبين للاعتقال، وبعد مدة قريبة اغتيل النقراشى، وازداد الأمر صعوبة وتعقيداً، وكنت مطلوباً للاعتقال، ولما أحسست بذلك انقطعت عن الذهاب للمعهد، وذهبت أنا وأخ من الإخوة صديق لى ورفيق فى الدراسة وفى السكن وفى الدعوة، هو الأخ محمد الدمرداش رحمه الله، ذهبت أنا وهو لنختفى فى قريته، أما فى قريتنا فقد ذهبوا إلى بيتنا وفتشوا، ولم يجدوا شيئاً، ولكن بقليل من الذكاء عرفوا أننى طالما اختفيت أنا ومحمد صديقى، فمن المعقول أن نذهب إلى بلده، قريته واسمها (السلاوية) مركز زفتى، ذهبنا إلى هناك وبقينا أياماً.

وفى أحد الأيام أحسسنا أن هناك حصاراً على القرية، وهناك من يدق الباب بشدة، فعرفنا أنه بوليس المباحث، فقفزنا من فوق السطوح — كنا فى الدور الثانى — وذهبنا

إلى بيت الجيران، وأنت تعرف أن بيوت الفلاحين مُسْلمةٌ بعضها إلى بعض، فدخلنا، وهناك جاءت صاحبة البيت فأدخلتنا فى حجرة، وأغلقت علينا، وخرجت إلى الحقل، ودخلوا هم بيت الأخ محمد، ووجدوا والدته هناك، سألوها أين ابنك وأين الضيف الذى معه؟ فقالت: ابنى فى طنطا، قالوا: ليس فى طنطا وإنما هنا قالت: لا؛ إنما أخذ الزوادة وذهب إلى طنطا (الزوادة: قطعة من القماش يوضع فيها أنواع مختلفة من الطعام يتزود به المسافر أو المنتقل إلى مكان ليقيم فيه..) صعد البوليس إلى أعلى فوجدوا أحذيتنا موجودة، قالوا لصاحبة المنزل أم أخى محمد، دلينا عليهما، قالت: هذه أحذية من زمان، فراحوا يفتشون فى بيت الجيران، ودخلوا الحجرة التى كنا مختبئين فيها، وسألوا عن مفتاحها، فقيل لهم: إن صاحبة البيت ليست هنا، خرجت، فقاموا بأخذ والدة الأخ محمد إلى نقطة البوليس، وبعد مدة تركوا بعض المخبرين حول البلد وغادروها.. ولما هدأت العملية عرفنا الأمر، وأخذنا نفكر، فالأمُّ امرأة كبيرة وسيتعبونها، فلم نجد بداً من أن نسلم أنفسنا وتم الأمر، ونقلنا إلى مركز زفتى يوم الخميس ليلة الجمعة وذهبنا إلى التخشيبة.

- **هل تذكر شيئاً عن تلك الليلة فى أول تخشيبة ؟**

وجدنا جماعة من المسجونين بمخالفات، قلنا لهم: تعالوا صلوا العشاء معنا، وصلينا العشاء والفجر، ودعوناهم لقراءة القرآن ثم المأثورات، فقالوا: لا نعرف المأثورات (يقصد بها أدعية نبوية مأثورة انتقاها البنا وجعلها ورداً يومياً للإخوان المسلمين). قلنا: اسمعوا.. ورددنا.. وعندما نأتى إلى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يردد معنا أكثر من خمسين رجلاً من الموجودين التسبيح، جاء الشاويش وقال: أنتم قلبتوها جامع! يومها نقلنا فى المساء إلى طنطا، وكان فيها رئيس القلم السياسيى أو القسم المخصوص، كما كان يسمى فى ذلك الوقت، وكان هذا الرجل معروفاً بأنه شرير، وهو (سعد الدين السنباطى)، تكلم معنا: كيف أنتم أيها الإخوان، هؤلاء يعنى بناقص مئة ألف، نصف مليون، البلد فيها عشرون مليوناً، فلتكن تسعة عشر ونصفاً، ماذا يجرى؟ نقلنا وبقينا محجوزين مدة من الزمن إلى الثانى عشر من فبراير، وهو اليوم الذى استشهد فيه الإمام حسن البنا، حيث جاءنا الخبر وقرأناه فى الصحف (مصرع الشيخ البنا)، ونقلنا إلى الهايكستب (المعتقل) وهو فى ضواحى القاهرة، ثم إلى الطور الذى أفرج عنا منه بعد سقوط وزارة إبراهيم عبد الهادى، وبعد اعتقال ٩ أشهر.

## هل أعدت النظر ؟

• **إذا كان هذا الاعتقال هو الأول فى تاريخك، فمن المنطقى أن يدفعك إلى إعادة النظر فى الطريق الذى اخترته.. هل فكرت فى الابتعاد عن طريق يفضى بك إلى الاعتقال، وما هى ذكرياتك داخل هذا المعتقل ؟**

عمَّق اعتقالى ٩ أشهر انتمائى لجماعة الإخوان المسلمين، وعمق انتماء الآخرين من زملائى، فالمعتقل فرصة هائلة للتوعية والتثقيف والتعميق والتثبيت، وفى معتقل الطور الذى مكثت فيه أغلب فترة الاعتقال هذه كان معنا فضيلة الشيخ محمد الغزالى رحمه الله، وكنا نستيقظ قبل الفجر بساعتين حيث تبدأ الحركة فى عنابر المعتقل، الذى كان منقسماً إلى سلسلة من الممرات، وكان أحد الأخوة يمر على النائمين ليوقظهم بصوت جميل منادياً :

| | |
|---|---|
| يا نائماً مستغرقاً فى المنام | قمْ فاذكُر الحىَّ الذى لا يَنام |
| مولاك يدعوكَ إلى ذِكرِهِ | وأنتَ مشغولُ بطيبِ المَنام |

وكان صوت قراءة القرآن يدوى فى العنابر، فإذا أذَّن الفجر توجهنا إلى المسجد للصلاة، وبعد الصلاة ننتظم فى حلقات علمية مع الشيوخ الذين نرافقهم فى المعتقل، مثل الشيخ محمد الغزالى والشيخ سيد سابق رحمهما الله، والشيخ عبد المعز عبد الستار وهم جميعاً من شيوخ الجماعة، كنا نستمع إليهم حتى قبيل طلوع الشمس، فنبدأ فى أداء التمرينات الرياضية، ثم نتناول الإفطار، فعمليات التنظيف للعنابر والأسرَّة والقيام بمهام المطبخ، وكانت توزع دورياً على كل عنبر، ثم يبدأ الشيوخ فى إلقاء المحاضرات الدينية والفكرية، وكانت محاضرات الشيخ الغزالى بعد ذلك هى كتابه (الإسلام والاستبداد السياسى)، وهناك المناقشات والأناشيد أيضاً.

• **هل ترى تلك الصورة معتقلاً أم معسكراً إخوانياً ؟**

نعم لقد كان معسكراً إخوانياً، لذلك فقد أطلقت عبارة فى حينها، هى أن معتقل الطور هو المعسكر الدائم للإخوان المسلمين لسنة ١٩٤٩م، السفر والمصاريف والتكاليف على حساب الحكومة المصرية !.

● **كيف واصلتم الدراسة بعد الإفراج عنكم ؟**

كنا ضمن أول دفعة يتقرر الإفراج عنها، وكان ذلك قبل امتحان الدور الثانى من الشهادة الثانوية الأزهرية بحوالى (١٧) يوماً، وقد فاتنى الدور الأول، رغم إننى قدمت طلباً للتقدم له أنا ومن كانوا معى، لكن لم يستجب إليه، وقمت فى هذه الأيام المتبقية على الدور الثانى بالتفرغ بالبيت، ومراجعة الدروس، حتى أكرمنى الله تعالى بنجاحى بتفوق، وكنت صاحب الترتيب الأول، واقتسمت الجائزة مع صاحب الترتيب الأول، وحصلت على ستة عشر جنيهاً مصرياً ونصف جنيه.

● **أعجبت بالشيخ حسن البنا: كيف استقبلت خبر مصرعه قبل خروجك من معتقل الطور ؟**

كان الإمام حسن البنا أملاً للمسلمين، وذلك بما منحه الله من مواهب وقدرات فى فهم الحياة والسياسة، وبما تميز به فى القدرة على السعى إلى الناس بمختلف ألوانهم واتجاهاتهم، وقد اتسم بالمرونة والانفتاح على الناس.. لقد كنت حزيناً عليه، وأعتبر حزنى على وفاته أعمق من أى حزن مرَّ بى.

## لو عاش البنا

● **اختلفت طبائع وقدرات من تولوا مسؤولية قيادة جماعة الإخوان المسلمين، لكنى أسأل عن رؤيتك إذا كان البنا لم يقتل واستمر فى قيادتها: كيف ترى مستقبل الجماعة ومسيرتها إذا كان موجوداً ؟**

لو أطال الله عمره فلا شك أنه سيكون له تأثير فى سير الحياة غير ما حدث فيما بعد، وأنا أذكر لك ما كتبه روبير جاكسون من مقال عن الإمام البنا بعنوان: (الرجل القرآنى) قال فيه قبل وفاته: "لا ندرى ماذا تفعل به الأحداث، فقد يغير وجه التاريخ"، وبعد وفاته قال الكاتب نفسه: "إن الشيخ البنا كان فلتة من فلتات ذلك الزمان"، رغم صغر سنه فقد استشهد ولديه (٤٢) عاماً، فى حين بدأ حركته فى الدعوة فى سن العشرين عاماً، أى أنه أمضى عشرين عاماً فى تأسيس الجماعة وتطويرها وهو فى مقتبل الشباب.

● **إذا كنت قد نشأت أزهرياً، والتحقت بجماعة الإخوان وصرت عضواً بها، فإنك الآن ملك للأمة الإسلامية، تثق فيك وتجعل الفتوى التى تفتى بها رأياً عاماً لها: كيف صارت التحولات لديك فى هذا الشأن؟**

أنا بالفعل ملك أمتى الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها، لكنى لا أتنكر لدعوة الإخوان المسلمين، ولا أجحد أنى نشأت فى ظلها، وتعلمت من إمامها وإخوانه وتلاميذه، وصهرت فى بوتقتها حتى نضجت واستقللت فى العلم والفكر.

● **إذاً أنت على غير صلة تنظيمية الآن بها ؟**

نعم.. ليس لى أى وضع تنظيمى داخل جماعة الإخوان المسلمين.

● **أو لست على صلة بما يُسمى التنظيم العالمى للإخوان المسلمين ؟**

كان لى مشاركة من قبل ، ثم استعفيت منها منذ عدة سنين لأتفرغ لخدمة الإسلام بالعلم والفكر والدعوة ، وأعتبر نفسى كما ذكرت أنت من قبل ملكاً للمسلمين جميعاً ، لكن هذا لا يعنى مرة أخرى تنكرى لفكر الإخوان ودعوتهم ، وهم قد يعتبروننى منظرهم أو مفتيهم ، كما أن كتبى تعد من مراجعهم الأولية وهم أول الناس قراءة لها.

## موقف الإخوان الآن

● **لكن ما هو موقفهم هم منك ومن فكرك ؟**

تبنى الإخوان مقولاتى فى السنوات الأخيرة ، خاصة حول التعددية وكانت مرفوضة أول الأمر ، خاصة من خلال كلام الأستاذ البنا بأن الإسلام لا يقر الحزبية ، لقد كان يتحدث عن أحزاب زمنه ، وكيف فرقت الأمة واستفاد الاستعمار من هذا التمزق ، لكنهم أقروا التعددية وصدر منهم بيان بذلك ، كما تبنوا رأيى فى إعطاء المرأة حقها فى الانتخاب والترشيح ، ولى فتوى بذلك ، وهذا تطور استفاد الإخوان من هذا التيار وما يتصل به من أفكار .

● **لكن هذا الإيمان النظرى للإخوان بأفكارك ونظرياتك وفتاواك هل تحول إلى سلوك وممارسة لديهم ؟**

ليس أدلّ على ذلك من أن مرشحتهم فى الإسكندرية د. جيهان الحلفاوى ؛ قد صورت الفتوى التى أصدرتها بحق ترشيح وانتخاب المرأة ، ووزعتها على الناخبين ، واستشهدت بها فى كل جولاتها الانتخابية.

الحقيقة أن الإخوان المسلمين الآن أصبحوا يقتربون من فكرى ، وعناصر الشباب أكثر التصاقاً بهذا الفكر ، أكثر من تغلب النزعة التقليدية عليهم ، فهى أكثر ما تكون متغلبة على الكبار.. وقد أعلنوا مؤخراً استعدادهم لخوض التجربة الديمقراطية تامة وتداول السلطة.. لقد طلقوا العنف تماماً منذ زمن بعيد.

❖ ❖ ❖

# (٧) الإخوان والثورة نظرة أخرى

## القرضاوى شاهداً وقارئاً للتاريخ القريب:

- – دعواتي ليلة القدر؛ هل أسقطت وزارة إبراهيم عبد الهادى ؟
- – عدم استلطاف عبد الناصر للهضيبى أثّر فى حدوث الصدام بين الثورة والإخوان.
- – أنكر على ثورة يوليو استعمال البطش والتعذيب للإخوان المسلمين.
- – فقه الإخوان المسلمين فى التغيير يختلف عن فقه الجماعات الإسلامية الأخرى.
- – صرف لي حمزة البسيونى ٥٠ كرباجاً، لكن الشاويس أمين تعاطف معى وضرب الأرض بدلاً من قدمى.
- – كل التيارات السياسية فى مصر كان لها ميليشيات عسكرية ! فلماذا يرتبط العنف بالإخوان ؟!

❖ ❖ ❖

# (٧) الإخوان والثورة نظرة أخرى

إذا كان المؤثران الأساسيان فى حياة الفقيه المعاصر د. يوسف القرضاوى هما النشأة الأزهرية والنشأة الإخوانية، وإذا كان الحاضر يطرح علينا دائماً أحداث الماضى، " فإن الحالة الإسلامية التى تحياها الأمة الآن تتجذر فى تربة الماضى القريب، الذى شهد مولد ونشأة أطراف عدة فى هذه الحالة، رؤية هذا الماضى خاصة من مشارك فى صناعته تأتى ضرورية، خاصة إذا كان مع علم من أعلام الأمة الإسلامية، فإن كانت النشأة قد ازدوجت لديه بين الأزهر والإخوان، فإن استقلاليته المعاصرة تجعل من رؤيته صورة قريبة يجب أن نتوقف عندها.

الإخوان المسلمون والحركة الوطنية والثورة والدولة والعنف.. جوانب عدة نتوقف عندها هنا :

## مع ثورة يوليو

● **كيف بدأت علاقتك بثورة ٢٣ يوليو وكيف رأيت انطلاقها ؟**

حين التحقت بالجامعة كانت جماعة الإخوان المسلمين منحلة، وكانت بداية لفترة من الهدوء النسبى والفتور الأمنى لملاحقة أعضائها، خاصة بعد أن اشتد الصراع من قبل بين الإخوان والحكومة، أدى إلى حماس بعض شباب الإخوان إلى قتل النقراشى، ورد السلطة فى هذا الوقت بقتل حسن البنا.. وأذكر أننا كنا فى معتقل الطور واحتفلنا بليلة السابع والعشرين من رمضان- ليلة القدر -، وألقيت قصيدة وأتبعتها بمناجاة لله ودعوات مؤثرة، وفى ليلة التاسع والعشرين سقطت وزارة إبراهيم عبد الهادى فقال الإخوان: إن هذا استجابة لدعواتك ليلة القدر.. بعد سقوط هذه الوزارة حدث الهدوء الذى أتاح لنا شيئاً من حرية الحركة والدعوة عقب الإفراج عنا، وأدى هذا النشاط الإسلامى الذى قام به الإخوان إلى انتشار هائل للجماعة داخل مصر، خاصة داخل الأزهر الذى قارب أن يصبح كله من الإخوان المسلمين، وكأنه منتخب منهم، سواء كان ذلك على مستوى الطلاب أو الشيوخ أو كبار العلماء وعمداء الكليات وشيخ الأزهر الشيخ محمد الخضرى رحمه الله... وقد دفع هذا الانتشار الهائل للجماعة فى مصر إلى الدرجة التى ظننا معها أن ثورة ٢٣ يوليو هى ثورتنا. وقيل : إن ضباط الثورة إسلاميون.

● **ما الذى رشّح التصور لديكم فى هذه الفترة ؟**

قال رجال الثورة- فى أول الأمر - : إنهم من أتباع الشيخ محمد الأودن وتربوا على يديه، وأنهم حملوا المصاحف وعاهدوا الله على حماية دينه.. لقد كان وجه الثورة الإسلامى واضحاً لنا كجماعة، وانتشر القول بصلة ضباط الثورة بالإخوان، ولذا فإن عناصر الإخوان قد ساهمت فى حراسة المنشآت الهامة فى مصر خشية تعرضها للتخريب، وكانت الحراسة للمنشآت الوطنية والأجنبية.

● **هل تعتبر خطوة الإخوان بمساندة الثورة مقدمة لاستيعابها ؟**

كانت الثورة فى حاجة إلى من يسندها شعبياً، ولم يكن لديها تنظيم شعبى يقوم بذلك، فاعتمدت أول أمرها على جماعة الإخوان المسلمين، باعتبارها حركة منظمة ولها امتدادها الشعبى فى كل مكان، وكان ذاك قبل أن تقوم الثورة بإنشاء تنظيماتها الخاصة بها ؛ كهيئة التحرير ثم الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى.

## شراكة الإخوان والثورة

● **كيف تقدر اليوم ما كان من صراع بين الإخوان والثورة : هل كان الإخوان شركاء فى الثورة، أم أنهم حاولوا استيعابها، أم حاولوا فرض وصايتهم عليها ؟**

أرى أن الإخوان قد فهموا أنهم والثورة شركاء، ومن الشراكة ألا يتخذ الشريك أمراً إلا بمشاورة الشريك الآخر، ويبدو أن رجال الثورة لم يتقبلوا رؤية الإخوان فى هذا الفهم، بل إنهم أذاعوا أن الثورة لا تقبل وصاية من أحد.. وأحسب أن تلك المسألة خاصة هى نقطة الخلاف بين كثيرين من قيادات الجماعة والمرشد العام للجماعة الأستاذ حسن الهضيبي.. فقد كانت تلك القيادات ترى أن ثورة يوليو تعبر عن الإخوان المسلمين، بينما رفض الهضيبى ذلك وقال : إنها ليست ثورة الإخوان، وقد كشفت الأحداث بعد ذلك الحقيقة، ووقع الصدام بين الثورة والإخوان.

● **هل ترى أن الصدام بين الإخوان والثورة كان ضرورياً ؟**

لا ؛ أعتقد أن هذا الصدام لم يكن ضرورياً مع الإخوان، بهذا العنف الذى تم به.

● **هل ترى أن شخصية الهضيبى كقاضٍ، لا يدرك الطبيعة الثورية لرجال الثورة كضباط عسكريين، خاصة شخصية عبد الناصر.. هل كان ذلك سبباً فى الصدام ؟**

أرى أن تلك الرؤية فيها ظلم لشخصية الهضيبى.

**• لكنه كان صاحب الرؤية الخاصة بأن الثورة ليست ثورة الإخوان وأنه كان مسارعاً للصدام معها ؟**

لقد تبين أن نظرة الهضيبى تجاه الثورة كانت أبعد وأعمق من هؤلاء الذين ظنوا أن الثورة للإخوان، وأن رجالها ينتمون إليهم.. لقد نفت الثورة ضباط الشرطة من المنتمين إلى جماعة الإخوان إلى الصعيد بأوامر من جمال عبد الناصر، وقد قابلتهم فى رحلة دعوية قمت بها إلى الفيوم وبنى سويف والمنيا وأسيوط وسوهاج والأقصر، وإسنا وكوم إمبو وأسوان.. لقد حدث الصدام مبكراً بين الإخوان والثورة، وإن لم يكن الهضيبى موجوداً لحدث أيضاً.. غير أننى أرى أن هذا الصدام الدامى لم يكن ضرورياً.

## عبد الناصر يزور قبر البنا

**• هل يمكن اعتبار الإخوان سبباً فى هذا الصدام، خاصة أن الثورة حين قررت حل جميع الأحزاب التى كانت قائمة فى عهد الملكية أبقت جماعة الإخوان، ولم تقم بحلها كما أن عبد الناصر نفسه زار قبر الشيخ حسن البنا تعبيراً عن ود تجاه الإخوان وليس رغبة فى الصدام ؟**

لقد اطمأن الإخوان إلى الثورة ورجالها أول الأمر، بل ووصفوها ووصفوا ضباطها بأنهم جماعتنا، ولقد عزز ذلك بالفعل زيارة عبد الناصر إلى قبر حسن البنا، ولقد كنا فى هذا الوقت فى المعتقل، لكننا اطمأننا إلى الثورة أيضاً أول الأمر.

لكنه ولا شك كان للعنصر الشخصى بين الأستاذ الهضيبى وعبد الناصر، وعدم الاستلطاف بين الرجلين تأثير فى حدوث الصدام بين الثورة والإخوان، هذا الصدام الذى وصل إلى حد العنف، فما وقع على الإخوان من هذا العنف لم يكن هيِّناً، ففى يناير ١٩٥٤م حدثت اعتقالات موسعة ضد الإخوان.

**• لكن الإفراج عنهم حدث بعد ذلك بوقت قصير ؟**

أفرج عن الإخوان فى أواخر مارس فعلاً، وذلك عقب أزمة مارس بين محمد نجيب ومجلس قيادة الثورة بزعامة عبد الناصر، فقد زار عبد الناصر الأستاذ حسن الهضيبى بعد

الإفراج عن الإخوان، فى منزله، واعتُبرت هذه الزيارة مصالحة واعتذار، وبدءاً لصفحة جديدة فى العلاقة بين الإخوان والثورة.

**• إذاً كيف تفسر عودة عبد الناصر لاعتقال الإخوان مرة أخرى ؟**

## تكتيك عبد الناصر

كانت زيارة عبد الناصر إلى الهضيبى من قبيل التكتيك وليست مصالحة واعتذاراً فما كادت أزمة مارس تمر، ما إن تمكن عبد الناصر من التخلص من محمد نجيب وفرض سيطرته، حتى بدأت اعتقالات الإخوان مرة أخرى.

**• أنت بذلك تلقى بالمسؤولية — فى احتدام الصراع — على الثورة وزعيمها عبد الناصر، ألا ترى الإخوان قد أخطؤوا فى التعامل مع الثورة، مما ساهم فى تأجيج الصراع، وكان على الإخوان تقديم بعض التصرفات التى تخفف من التوتر مع الثورة ؟**

أجل، كان يمكن أن يحدث ذلك لو اتخذت أساليب أكثر ليونة، وكان هناك تجاوب من الطرفين، فإذا أقدم طرف على خطوة إلى الأمام، تعين أن يقابل الطرف الآخر بخطوة مماثلة.

**• ألا تعتقد أن ثمة قوى خارجية أججت هذا الصدام وأذكته، ودفعت إلى تعميقه بين الإخوان والثورة ؟**

لا أستبعد ذلك، ومع أنى عادةً لا أركز على التفسير التآمرى للأحداث ولكن قطعاً ثمة جهات يهمها إذكاء هذا الصراع، حتى ولو كان عن طريق إيحاءات معينة.

**• لكن الهضيبى قابل مسؤولاً إنكليزياً هو إيفانز فى حادثة معروفة ؟**

واقعة اللقاء بين الهضيبى وإيفانز ذات دلالة، فقد كلفت الثورة الأستاذ حسن الهضيبى باللقاء مع إيفانز، وطلبت منه أن يتشدد فى المطالب الوطنية حتى يمكن توظيف هذا التشدد فى مفاوضات الجلاء، ولكن هذا اللقاء اعتبرته الثورة بعد ذلك خيانة، وأنه اتصل بالإنكليز من وراء الثورة !.

## يد من حديد

**• ماذا تنكر على ثورة يوليو فى علاقتها مع جماعة الإخوان المسلمين إذاً؟**

— ما أنكره على الثورة هو ضربها بعنف وبيد من حديد للإخوان المسلمين، واستعمال البطش والتعذيب والتنكيل إلى الحد الذى رأيناه فى السجون الحربية.

● **ألا تعتقد أن هناك بعض المبالغة من قبل الإخوان فى مسألة التعذيب؟**

- لا ؛ لأننى أعتقد أن كل ما قيل عن هذه العمليات من التعذيب لا يمكن أن يصور الحقيقة كما شاهدناه.. إن القلم يعجز عن تصوير الحقيقة التى تمت بها عمليات التعذيب.

● **ترى ما الذى يمكن أن يوثق هذا الكلام ؟**

- ما شهدناه وسمعناه، وقد تعرضت شخصياً للتعذيب على يد حمزة البسيونى فى الاعتقال الثانى لى، الذى كان ضمن مجموعات الإخوان الذين اعتقلوا بعد حادثة المنشية فى ١٩٥٤م.

## تجربة شخصية

● **كيف تم ذلك ؟**

وقعت حملة اعتقالات لعناصر الإخوان المسلمين فى أول نوفمبر ١٩٥٤م، لكنى تمكنت من الهروب والاختفاء فترة من الزمن، وأخذت أتنقل من مكان إلى آخر، وانتهى به الأمر إلى بيت خالتى، واستطاعت أجهزة الأمن من أن تتعرف على مخبئى، وقبضت علىَّ بالفعل، كما قبضت على خالتى وسُجنَت بتهمة التستر علىَّ، وظلت قضيتها مؤجلة فى القضاء حتى هدأت الأمور بعد ثلاث سنوات، وحكم عليها بالبراءة.. ويوم محاكمتى أنكرتُ بالطبع كل التهم التى نسبت إلىَّ كما فعل غيرى من الإخوان.. لكن حمزة البسيونى كان يواجه هذا الإنكار من أى شخص فى المحكمة بعقاب شديد، وكنا مجموعة من المحلة وبسيون وطنطا، نحاكم معاً، وفى منتصف الليل فوجئنا بمن ينادى علينا ثم أوقفونا فى طابور، وأمرونا بالجرى والركض، والسياط تلهبنا على مدى ساعتين، ثم جاءنى حمزة البسيونى وطلب منى أن ألقى خطبة فقلت له : إن المجال لا يناسب ذلك، فطلب منى أن أغنى فقلت له : إننى لست مغنياً، فطلب منى إما أن ألقى خطبة أو أُغنى (غنيوة) على حد قوله، وكان قد حدد ثلاث فئات للعقاب : (١٠- ٢٠- ٥٠) كرباجاً، وكنت مصنفاً ضمن فئة الـ (٥٠) كرباجاً (فلكة)، ومازالت تؤلمنى فى ساقى حتى الآن إذا تعرضت لشيء فيها، وذات مرة سمعت من ينادى باسمى، فخرجت من زنزانتى فسألنى الشاويش المسؤول عن التعذيب (أمين) عما فعلت، فقلت : لا شيء، فقال لى : أنت مصروف لك (٥٠) كرباجاً، فسألته على أى أساس، ويبدو أن الرجل تعاطف معى لأننى لم أرتكب ما أستحق عليه الضرب بالكرباج، فأبلغنى أنه سيقوم بتوجيه الضربات على الأرض وعلىَّ أن أصرخ مُدعياً شعورى

بالألم، وهذا الشاويش من أقسى مسؤولى السجن، لكنه على ما يبدو لم يجد مبرراً حقيقياً لمعاقبتى، وحدث ما اتفقنا عليه، وطلب منى أن أركض حافياً حتى يشعر من يتابعنى أننى غير قادر على ارتداء الحذاء من شدة الألم.

وأحسب أن تلك المعاملة القاسية تركت بصماتها فى نفوس الإخوان.. ومهما تحاول أن تداوى جراحاتنا، فإن المرارة لا تغادرنا، وهو ما أكدته بعد ذلك محنة ١٩٦٥م التى أخذت الحابل بالنابل، وهى المحنة المرتبطة بقضية سيد قطب، رغم أن تنظيمه كان محدوداً، مجرد مجموعة صغيرة من الإخوان! لكن السلطة اعتقلت الآلاف المؤلفة من عناصر الإخوان، والذين اعتقلوا من قبل واستخدمت معهم أدوات التعذيب التى لم تستخدم من قبل، ومعنى ذلك أن العنف لم يكن رد فعل لحادثة معينة كحادثة المنشية، لكنه استخدم باستمرار حتى مع محدودية التنظيم فى ١٩٦٥م.

● **دعنى أسأل فضيلتكم: ألا يعد استخدام العنف من التيار الإسلامى مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بمؤسس الجماعة الشيخ حسن البنا؛ خاصةً من خلال ماأطلق عليه التنظيم السرى ؟**

## صلاح عيسى يرد

سوف أرد عليك من خلال ما كتبه كاتب يسارى معروف؛ هو الأستاذ صلاح عيسى فى صحيفة الشرق القطرية فى ٧ /١٩٩٩/٣م، حيث قال: "ما يتجاهله الذين يحمِّلون الشيخ حسن البنا المسؤولية عن نشأة تيار العنف؛ هو أن تشكيل المنظمات شبه العسكرية كان موضة لدى كل التيارات السياسية فى الثلاثينيات، فى إطار النتائج الإيجابية التى حققتها نظم الحكم فى ألمانيا النازية وإيطالية الفاشية، التى نجحت استناداً إلى عسكرة المجتمع فى استعادة ما أضاعته الحرب العالمية الأولى من حقوق البلدين، وأن فرق الجوالة التى أنشأها البنا وعرفت بفرق القمصان الكاكية لم تكن الوحيدة فى الساحة، فقد كانت هناك (فرق القمصان الخضراء) التى شكلتها جماعة (مصر الفتاة)، وكان من أعضائها جمال عبد الناصر بل إن الوفد وهو الحزب الديمقراطى العتيد قد شكل هو الآخر (فوق القمصان الزرقاء)، وكل الشواهد التاريخية تؤكد أن جوالة الإخوان كانت أكثر هذه الفرق انضباطاً، سواء من الناحية الأخلاقية أو من ناحية الالتزام بالقانون.. هل اقتنعت بكلمات كاتب غير إسلامى بل يسارى؟

## لماذا الرصاص إلى الداخل

**• لكن عدداً من الحوادث توجه فيها الرصاص إلى الداخل، وليس إلى المحتل، ولعل حادثة قتل الخازندار (القاضى) لا تغيب عنكم.. هل العنف هنا بعيد عن الإخوان أيضاً ؟**

لم يكن قتل الخازندار بأمر من البنا، ولم يأذن به أو يعلمه، وقد استنكر وقوع الحادث، ومن الإنصاف أن يوضع الحادث فى ظرفه الزمنى، مقروناً بالباعث عليه، حتى لا يأخذ أكبر من حجمه، ولم يتكرر هذه من الإخوان، فلم يفكروا فى الأخذ بثأرهم حتى من القضاة العسكريين الذين حكموا عليهم أحكاماً لا يشك إنسان موضوعى أنها كانت أحكاماً قاسية ظالمة.

**• وكيف تفسر قتل النقراشى رئيس وزراء مصر ؟**

يحمل النقراشى وزر حل الإخوان واقتيادهم إلى المعتقلات بالآلاف، وتعريضهم للتعذيب والفصل والتشريد والتجويع، حتى الذين كانوا يقاتلون الصهاينة فى فلسطين نقلوا من الميدان إلى الاعتقال، وما حدث هو أن شاباً من شباب الإخوان وبمساعدة بعض زملائه فى النظام الخاص قام بقتله، وهو ما حاول الأستاذ حسن البنا الحيلولة دون وقوعه، ولقى بعض المسؤولين وحذّرهم من تهور بعض شباب الإخوان وحدوث مالا تحمد عُقباه.. وقد استدعى البنا بعد مقتل النقراشى وحقق معه، ثم أفرج عنه، إذ لم تثبت عليه أية صلة بالحادث.

## ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين

**• لكن شباب الجماعة هو الذى قام بمثل هذه الحوادث، فكيف تبرئ الجماعة من العنف ؟**

عقب محاولة نسف محكمة الاستئناف التى كانت تضم أوراق قضايا الإخوان، غضب الأستاذ البنا كثيراً وأصدر بيانه الشهير الذى نشر فى حينها قائلاً: " هؤلاء ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين". وأرى أن الجماعة بعد حلّها ليست مسؤولة عن مثل هذه الحوادث التى تتحدث عنها، لأنها ليست موجودة حتى تساءل، ولم يحدث بعد ذلك أى حادث عنف إلا ما كان من محاولة اغتيال عبد الناصر فى ميدان المنشية فى أكتوبر ١٩٥٤م، وهو حادث تكتنفه

الشبهات، وقد شكك فيه بعض رجال الثورة مثل حسن التهامى، وليست الجماعة مسؤولة عنه.

**• لكنه متصل بالجماعة فى أى جانب منه أليس كذلك ؟**

لم يثبت فى التحقيق أن جماعة الإخوان المسلمين هى التى دبرت حادثة المنشية، وإنما هو تدبير هنداوى دوير ومجموعته.. لقد وقع على الإخوان بعد ذلك عسف وظلم وقتل علنى لقادتهم بحكم القضاء العسكرى، والتعليق على أعواد المشانق؛ مثل الشهداء: عبد القادر عودة ومحمد فرغلى ويوسف طلعت وإبراهيم الطيب، أو لشبابهم بحكم التجرش المثير داخل السجن، كما حدث فى حادث سجن طرة الشهير الذى قتل فيه السجانون مسجونيهم علانية، وسقط ثلاثة وعشرون شاباً من خير الشباب شهداء فى سبيل الله، لم يصنعوا جرماً إلا أنهم كانوا قد طالبوا بتحسين أحوالهم والسماح لذويهم بزيارتهم! وقد أعدم سيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش، ولم يريقوا قطرة دم واحدة، إلا ما قيل: إنهم كانوا ينوون كذا وكذا، واقتيد الإخوان بعشرات الألوف إلى السجون والمعتقلات، وعذبوا تعذيباً لم يسبق له مثيل، ورغم توسط الكثيرين واحتجاجهم على إعدام سيد قطب لم يستجب عبد الناصر لهم وأصرَّ على قتله.

**• ألا تعتقد بمسؤولية الإخوان عن مولد جماعات العنف التى ظهرت فى مصر بعد بذلك؛ مثل جماعات : الجهاد — الجماعة الإسلامية — التكفير ؟**

لقد بدأت بذور جماعة مثل جماعة التكفير فى السجن الحربى، وانتهى بهم الأمر إلى تكفير الناس جملةً! ابتداءً من الذين يتولون تعذيبهم بلا رحمة، ثم من يأمرهم بالتعذيب من الحكام، ثم من يسكت على هؤلاء الحكام من الشعوب.. وقد اعتزلت هذه الفئة الإخوان فى السجون، وكانوا لا يصلون معهم، وقام بينهم وبين الإخوان جدل طويل، ورد عليهم مرشد الجماعة الثانى الأستاذ حسن الهضيبى رحمه الله فى مقولات سجلها ونشرها بعد ذلك فى كتابه (دعاة لا قضاة). وقد اتهم شكرى مصطفى أمير جماعة التكفير والهجرة ومؤسسها قادة الإخوان بالخيانة العظمى، لأنهم لم يقاوموا رجال الأمن والشرطة، وسلموا جلود إخوانهم للسياط ورقابهم للمشانق!

فهل يُحمَّل الإخوان مسؤولية هؤلاء المنشقين عنهم والمتهمين لهم بأبشع التهم؟!

إن من يحمل الإخوان مسؤوليتهم أشبه بمن يحّمل أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ وزر جماعة الخوارج الذين - كانوا جنوداً فى جيشه، ثم انشقوا عنه وخرجوا عليه ورموه بالكفر وتحكيم الرجال فى دين الله، ثم تآمروا عليه وقتلوه غيلةً.

وإذا جئنا إلى جماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية فإن هذه الجماعات قد قامت من أول يوم احتجاجاً على الإخوان وليست انشقاقاً منهم، بل إنكاراً عليهم أنهم خانوا (مبدأ الجهاد) الذى أعلنوه طريقاً لهم (الجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا)، وهم هذه الجماعات- يفسرون الجهاد باستخدام العنف فى مقاومة الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله باعتبار أن هذا كفر بواح عندهم فيه من الله برهان!

## قتل الأطفال بالإسلام

**● لكن جماعات الجهاد فى مصر والجزائر ترى مقاومة المنكر بالقتال فيقتلون كثيراً من الأطفال والشيوخ، وترفع شعارات إسلامية ؟**

جماعات الجهاد فى مصر والجزائر وغيرهما ترى أن تقاتل القوات المسلحة، وتنسى الفارق الهائل فى القدرة المادية بين الطرفين، كما تنسى أن الجندى فى القوات المسلحة إنما هو ترس فى آلة، لا يملك فعلام أن يعصى أمراً لمن فوقه، فعلام يقتلونه؟

إنهم لا يبالون بمن يقتل من الأبرياء من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة، وقد نهى الرسول ﷺ عن قتل النساء والصبيان فى الحرب الرسمية بين المسلمين وأعدائهم حين تلتقى الجيوش وجهاً لوجه، فلا يقتل إلا من يقاتل.. لكن فقه الإخوان المسلمين يخالف فقه هذه الجماعات الجديدة، كما أن فقه الإخوان فى التغيير يخالف فقه هذه الجماعات، فالإخوان يرون التغيير لابد أن يتم أولاً داخل النفس الإنسانية، فالإنسان يقاد من داخله لا من خارجه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١]، وهذا طريق طويل، لكن لا طريق غيره يوصل إلى الغاية.

## العنف والإخوان: طلاق بائن

**• إذا كنت مستقلاً الآن وغير متصل تنظيماً بجماعة الإخوان المسلمين — مع عدم تنكرك لها — كيف تدلل على وقوع الطلاق بين الإخوان واستخدام العنف ؟**

فى السنوات الأخيرة أوضح الإخوان موقفهم من العنف بكل صراحة ووضوح، وأصدروا بيانات رسمية معلنة ومنشورة يدينون فيها العنف ويستنكرونه ويرفضونه بكل أشكاله وصوره، وذلك على أساس فهمهم لقيم الإسلام ومبادئه وتعاليمه، كما أكد الإخوان مراراً على ضرورة إيقاف العنف والعنف المضاد من منطلق وقاية البلاد من نزيف الدم الذى حرمه الله والحفاظ على المجتمع من الانهيار الاجتماعى والخراب الاقتصادى، والذى لن يستفيد من ورائه إلا أعداء الإسلام وخصوم المسلمين.

❖ ❖ ❖

## (٨) مفجّرات الصراع

### د. القرضاوى يفسر أخطر أحداث التاريخ :

- ثورة ٢٣ يوليو تؤيد الإسلام عقيدةً لكنها رفضته شريعةً ومنهاجاً.
- مازالت الثورة تحكم مصر حتى الآن بأيديولوجيتها العلمانية، لكنها علمانية غير متطرفة كتونس وتركية.
- أيد الإخوان إنجازات الثورة الاجتماعية لكنهم تحفظوا على تطبيقاتها.
- تبنّى الثورة للقومية العربية بمحتواها الاشتراكى العلمانى عجّل بصدامها مع الإخوان.
- نعم تعاطفت الجماهير مع عبد الناصر، وهبَّة ٩ يونيو كانت تأثراً عاطفياً.
- الثقة المطلقة والمال السايب سبب استبداد جمال عبد الناصر.
- تعدد الأحزاب ضرورة فى هذا العصر وهى المذاهب فى السياسة.
- معارضة البنا للأحزاب اجتهاد منه فى زمنه، ولا أرى بأساً من مخالفة اجتهاده اليوم.
- لا مانع من قيام حزب للأقباط، وعلى الأحزاب الإسلامية أن تتسع لغير المسلمين.
- تبنّى الحركات الإسلامية للعمل السياسى دليل على الحيوية والتجدد، ووجودهم الرسمى أمر مطلوب بدلاً من العمل السرى.

❖ ❖ ❖

# (٨) مفجّرات الصراع

الإخوان والثورة قصة مثيرة فيها من الغموض، كما فيها من الوضوح؛ فبينما يرى الثوار أن الثورة لم تكن ملكاً لأحد، وكانت ثورة شعب كامل بكل طوائفه واتجاهاته؛ يصر الإخوان المسلمون أن لهم يداً فى هذه الثورة كانت تؤهلهم للشراكة فيها .. الماضى بكل جراحه ينفصل عن الحاضر، الذى يضئ المستقبل، ورغم النشأة الإخوانية للعلامة القرضاوى، إلا أن استقلاليته المعاصرة تشجعنا على التعامل والتحاور معه شاهداً ومفسراً لأحداث أحسبها هامة فى تاريخ مصر.

**● هل لثورة ٢٣ يوليو فى رأيك عداء للإسلام يدفع الإسلاميين إلى اعتبارها ثورة علمانية ؟ ويوجب خلافها مع الإخوان كل هذا الاختلاف؟**

الإسلام عقيدة وشريعة، وثورة يوليو لم يكن لها موقف عدائى من الإسلام كعقيدة، لكنها اتخذت موقفاً من الإسلام كشريعة، والإسلام كما نعلم جميعاً عقيدةً وشريعةً، دين ودولة، وقد رفضت الثورة الإسلام كمنهاج يصبغ الحياة العامة ... واختارت القومية العربية كأساس أيديولوجى للحياة.

**● هل يمكن اعتبار الأمر مجرد تاريخ، وهل ترون أن الثورة قد انتهت بموت عبد الناصر، أم مازالت بفكرها وطرحها حاكمة لمصر؟**

مازلت أرى أن ثورة ٢٣ يوليو هى التى تحكم مصر حتى الآن.

**● هذا أمر تقديرى .. هل هناك دليل على ذلك ؟**

نعم .. هذا هو الأمر الواقع من خلال المبادئ، ومن خلال الامتداد، فالعسكر هو الذين يحكمون مصر، كما أن الأيدلوجية العلمانية هى القائمة.

## علمانية قريبة

**● لكن العلمانية التى ترونها لا تنفى اهتماماً من الثورة بالشأن الدينى أو الإسلامى ؟**

علمانية مصر من أنواع العمانية القريبة، وليست علمانية متطرفة مثل تلك التى فى تونس وتركية، فالعلمانية فى مصر ليست من النوع الذى يرفضه الإسلام، وهو النوع الذى

يعتبر الصلاة وكأنها جريمة كما فى تونس ، والحجاب جريمة. والأخت التى ترتدى الحجاب لا تدخل مدرسة أو تحصل على وظيفة حكومية أو تعالج فى مستشفى للعلاج أو الولادة .. مثل هذا التطرف العلمانى المغالى ليس موجوداً فى مصر.

## إنجازات ومظالم

**• كيف تُثمِّن إنجازات الثورة على الصعيد الاجتماعى ؛ حيث كانت متفقة مع الإسلام ؟**

رحَّب الإخوان المسلمون بإنجازات الثورة الاجتماعية ، وناقشوها ، حيث إن أول من دعا إلى مثل هذه الإنجازات هو الشيخ محمد الغزالى رحمه الله الذى دعا من قبل إلى تحديد الملكية ، ورغم أن الإخوان باركوا هذه الإنجازات ، إلا أنهم كانوا يملكون وجهة نظر أخرى فى الشأن نفسه ، فتحديد كم الملكية لم يكن متفقاً مع وجهة نظرهم ، كما أن تطبيق هذه الإنجازات الاجتماعية اقترن ببعض المظالم.

**• ما هى طبيعة تلك المظالم ؟**

أُهين كبار الملاك فى دورهم ، وعوملوا معاملة ظالمة قاسية ، وتعرض أصحاب الأراضى الزراعية لظلم كبير .. كما أن ضباط الثورة - بعضهم - قد استفاد من هذه الممتلكات ، وقد كتبت وكشفت مثل هذه الأمور.

**• آلا ترى أن الإقطاع مارس مع الفلاحين أسوأ من هذه المظالم التى لحقت بالكبار فى ظل الثورة ؟ وألا ترى أن مجانية التعليم قد أتاحت للبسطاء أن يحصلوا على حقهم فى التعليم؟**

مجانية التعليم اتجاه بدأ قبل الثورة ، وليس ابناً للثورة ، فقد دعا إليه طه حسين وهو وزير فى حكومة الوفد وقال : " ينبغى أن يكون التعليم كالماء والهواء " وقد وسعت الثورة أمر مجانية التعليم ، لكن الشعار والاتجاه كان موجوداً .. ونحن نرحب بهذا ، كما نرحب بكل ما أنجزته الثورة ، لا ننكره ؛ لكن شوائب عدة قد حملت مظالم اقترنت بإنجازاتها.

**• ما هى الإنجازات الأخرى التى رحَّب الإخوان بها ؟**

حينما أعلن جمال عبد الناصر قرار تأميم قناة السويس ، وكان ذلك بعد خروجنا من السجن الحربى بشهر (خرجنا فى ١٦ يونيو ١٩٥٦م) ، بعدها أحتُفل بعيد الجلاء ، ثم كان

التأميم فى ٢٦ يوليو .. وقد أيَّد الإخوان خطوة التأميم، بل وذهب بعض الإخوان ليتطوعوا فى جهات التطوع، وسلّموا أنفسهم بالفعل لها ناسين جراحاتهم وآلامهم .. كما أحضرونى من قريتى لأقوم بتوعية الناس وأشعل الروح المعنوية.

أذكر أننى خطبت خطبة عصماء فى جامع الزمالك بعد قيام الوحدة مع سورية، وقد وفقنى الله عزَّ وجلَّ فى الكلام عن الوحدة وأهميتها، وما قامت به فى التاريخ، وما يمكن أن تقوم به فى الحاضر، وجاء بعض الضباط لحضور خطبتى وقالوا: والله هذه الخطبة كان يجب أن تُسجل وتُوزع على مستوى الجمهورية، وكان محمد أنس الحجاجى حاضراً -وهو من الأقصر ومن أدباء الإخوان وكان متيماً بحب حسن البنا- فعلق قائلاً: حتى تعرفوا أنه لا يقوم مقام الإخوان أحد فى مثل هذه القضايا .. إنى أبارك كل إنجاز وأرحب به.

## الصراع بين الثورة والإخوان

**• هل يمكن أن تدفعنا التوافقية بين الثورة والإخوان إلى التساؤل عن الصراع مرة أخرى فمن منظور فكرى لم يكن الخلاف فكرياً كبيراً بين الإخوان والثورة حتى مع القول بعلمانية الثورة كما ذكرت، وهل ترى القومية مضادة للإسلام لحدوث الصدام بين الثورة والإخوان ؟**

إذا كنت قلت بعلمانية الثورة، فإنه ليس لدى ما يمنع من الإيمان بالقومية العادية التى تكون منها القومية العربية، فصلة القومية العربية بالإسلام قوية، فالعربية لسان الإسلام، والعروبة وعاء الإسلام، ورسول الإسلام عربى، وكتاب الإسلام عربى، والأرض التى أنطلق منها الإسلام عربية، والصحابة هم الذين نشروا الإسلام فى العالم، وحفظوا لنا القرآن، ورووا لنا السنن، هم من العرب .. والمساجد الكبرى فى الإسلام فى أرض العرب: المسجد الحرام، والمسجد النبوى، والمسجد الأقصى، فالصلة بين العروبة والإسلام قوية، لكن المشكلة هى أن القومية فى ذلك الوقت ارتدت لباساً علمانياً، حتى اعتبرها بعضهم نبوة جديدة (أشار بعضهم إلى أنها أديان بغير وحى).

**• من أى المنطلقات إذاً جاء الصدام الفكرى ؟**

لقد أراد أصحاب القومية -بصيغتها كنبوة جديدة- طرحها مضادة للفكرة الإسلامية، وهنا مصدر الخطر، كما أنهم أعطوها مضموناً اشتراكياً علمانياً، وهو مابدا واضحاً فى الميثاق الوطنى الذى وصفه بعضهم بأنه قرآن الثورة.

إن القومية العربية المضمنة بالمحتوى الاشتراكي المستند إلى كثير من الأفكار الماركسية، هو الذى أعطى الثورة هذا الوجه الذى كان مناقضاً للإسلام.

**● رغم كل ذلك، فإن قائد الثورة جمال عبد الناصر — مهما اختلفت معه — كان على صلة طيبة بالإخوان أول الأمر.**

فى بداية الثورة أنشئت صحيفة الجمهورية، كان قادة الثورة يكتبون فيها كلمة كل يوم، مثل السادات وصلاح سالم، وأذكر أن عبد الناصر كتب كلمة قال فيها: لماذا يبدأ الناس صالحين ثم ينقلبون مستبدين؟ ومثَّل لذلك بالملك فاروق الذى كان الناس يحبونه ويهتفون بحياة الملك الصالح، والأمر نفسه مع مصطفى النحاس، فقد بدأ رجلاً صالحاً والتف حوله المصريون .. وذكر جمال عبد الناصر عدداً من الشخصيات بدأت صالحة وانتهت بنوع من الاستبداد والطغيان، ثم قال: أظن أن السبب فى ذلك يرجع إلى ما يقوله المصريون وهو الشعب نفسه، هو الذى يُمكّن هؤلاء، فالشعب عندنا يقول: "المال السايبُ يُعلّمُ السرقة"، والحكمة تقول: "الثقة المطلقة تُعلّم الطغيان"، ويبدو أن المال السايب والثقة المطلقة التى أعطيت لعبد الناصر هى التى دفعت به إلى الاستبداد والطغيان نفسه الذى حذَّر منه أول عهده بالحكم.

## عبد الناصر والجماهير

**● إذا كان عبد الناصر مستبداً — كما ترون — فكيف تعللون حب الجماهير وخروجهم فى جنازته؟**

لا شك أنه كانت هناك جماهير تحبه وتتعاطف معه، والشعب المصرى شعب عاطفى، ولقد مات عبد الناصر فجأة، (اتاخد غدر) كما يقول المصريون، ولقد تأثر الناس بهذا، ومن رأيى أنه هبَّة الجماهير التى يقولون عنها ٩ يونيو كانت تأثراً عاطفياً من الناس، أن ظهر عبد الناصر بنفسه وقال: أنا أتحمل المسئولية كاملة .. بصوت فيه الحزن والتأثر.

**● لكن أدبيات الإخوان ترى خروج الناس فى ٩ يونيو ١٩٦٧م كان بأمر من السلطة؟**

صحيح أن هناك خطة كانت، لإخراج الجماهير؛ لكن آخرين قد خرجوا تلقائياً، فهذا التأثر العاطفى عند الشعب المصرى معروف ولا ينكره أحد.

## اجتهادى واجتهاد البنا

● **إذا كان التخلص من الاستبداد — الذي ترى عبد الناصر كان عليه — يأتى بالديمقراطية التى تتخذ من تعدد الأحزاب مظهراً لها، فإن الأستاذ البنا نفسه لم يكن مؤيداً لقيام الحزبية، وتعدد الأحزاب ؟**

قول الأستاذ البنا اجتهاد منه، وذلك لما رأى — فى زمنه — من حياة حزبية كانت سبباً فى تفرقة الأمة فى مواجهة عدوها، وكانت أحزاباً اجتمعت حول أشخاص، دون أهداف واضحة أو مناهج محددة، وقد قال عن رجال الأحزاب فى هذا الوقت وعن زعمائها: إن المستعمر يفرقهم بفضهم عن بعض، ويجمعهم عليه، فلا يقصدون إلا داره، ولا يجتمعون إلا زواره .. ولا أرى بأساً فى مخالفة اجتهاد إمامنا رحمه الله، وربما لو عاش إلى اليوم لرأى ما رأينا، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال.

## التعدد: ضرورة

● **ما هى نظرتك الآن إلى التعددية الحزبية ؟**

التعدد قد يكون ضرورة فى هذا العصر، فإنه يمثل صمام أمان من استبداد فرد أو فئة معينة بالحكم والتسلط على الناس .. ولكننا نشترط فى هذه الأحزاب حتى تكتسب شرعيتها أمرين:

الأول: أن تعترف بالإسلام عقيدة وشريعة، ولا تعاديه أو تتنكر له، وإن كان لها اجتهاد خاص فى فهمه فى ضوء الأصول العلمية المقررة.

الثانى: ألا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام ولأمته، فلا يجوز أن ينشأ حزب يدعو إلى الإلحاد أو الإباحية أو اللادينية، أو يطعن فى الأديان السماوية عامة أو فى الإسلام خاصة، أو يستخف بمقدسات الإسلام.

وذلك أن من حق الناس فى الإسلام ومن واجبهم أن ينصحوا للحاكم ويقوِّموه إذا اعوَّج، ويأمروه بالمعروف وينهوه عن المنكر، فهو واحد من المسلمين ليس أكبر من أن ينصح ويؤمر، وليسوا هم أصغر من أن ينصحوا أو يأمروا، وإذا ضيعت الأمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقدت سرَّ تميزها، وسبب خيريّتها، وأصابتها اللعنة كما أصابت من قبلها من الأمم ممن: ﴿ **كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [المائدة: ٧٩]،

ولكن علّمنا التاريخ وتجارب الأمم وواقع المسلمين أن تقويم اعوجاج الحاكم ليس بالأمر السهل، ولم يعد لدى الناس سيوف يقوّمون بها العوج، (مشيراً إلى قول رجل لعمر بن الخطاب: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا)، بل السيوف كلها يملكها الحاكم .. والواجب هو تنظيم هذا الأمر لتقويم اعوجاج الحكام بطريقة غير سلّ السيوف، وشهر السلاح .. وقد استطاعت البشرية في عصرنا بعد صراع مرير أن تصل إلى صيغة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتقويم اعوجاج السلطان، دون إراقة للدماء، وذلك عن طريق وجود قوى سياسية لا تقدر السلطة الحاكمة على القضاء عليها بسهولة، وهى ما يطلق عليها (الأحزاب).

**• إذاً كيف ترى فكرة تداول السلطة بين الأحزاب ؟**

إن تكوين الأحزاب أو الجماعات السياسية أصبح وسيلة لازمة لمقاومة طغيان السلطة الحاكمة ومحاسبتها وردها إلى سواء الصراط، أو إسقاطها ليحل غيرها محلها، فيتم التداول.

## المذاهب والأحزاب

**• لكن هل يمكننا أن نُفصِّل فكرتك المعروفة عن تعدد الأحزاب واعتبارها كتعدد المذاهب الفقهية فى الإسلام ؟**

ليس معنى تعدد الأحزاب أن يكون مرتبطاً بتعدد أشخاص معينين، يختلفون على أغراض ذاتية أو مصالح شخصية، فالتعدد على ذلك مبنى على أساس عنصرى أو إقليمى أو طبقى، أو أى من إفرازات العصبية يبرأ منه الإسلام، إنما التعدد المشروع الذى أجيزه هو تعدد الأفكار والمناهج والسياسات التى يطرحها كل فريق مؤيد بالحجج والأسانيد، فيناصرها من يؤمن بها، ولا يرى الإصلاح إلا من خلالها، وتعدد الأحزاب فى مجال السياسة هنا أشبه شئ بتعدد المذاهب فى مجال الفقه، فالمذهب الفقهى مدرسة فكرية لها أصولها الخاصة فى فهم الشريعة والاستنباط من أدلتها التفصيلية فى ضوئها، وأتباع المذهب هم فى الأصل تلاميذ فى هذه المدرسة يؤمنون بأنها أقرب إلى الصواب من غيرها، وأهدى سبيلاً، فهم أشبه بحزب فكرى التقى أصحابه على هذه الأصول، ونصروها بحكم اعتقادهم أنها أرجح وأولى، وإن كان ذلك لا يعنى بطلان ما عداها، ومثل ذلك المذهب يوجد الحزب، إنه مذهب فى السياسة، له فلسفته وأصوله ومناهجه المستمدة أساساً من الإسلام

الرحب ، وأعضاء الحزب أشبه بأتباع المذهب الفقهى ، كل يؤيد ما يراه أولى بالصواب ، وأحق بالترجيح.

## الإسلاميون والديمقراطيون

**● هل تثمنون توجه الإسلاميين مؤخراً للعمل الديمقراطى ، وخروجهم من نطاق العمل السرى إلى العمل السياسى العلنى ، بما فى ذلك الاشتراك فى الأحزاب ؟**

الحركة الإسلامية كائن حى يتفاعل مع المجتمع ، ومع العالم من حوله ، ويتجاوب مع الأحداث ، ولا يمكن أن تعيش الحركة فى قمقم معتزلة ما حولها وما يجرى من قريب ومن بعيد فى عالمها الخاص وعالمها العام ، ولذلك تتطور الأفكار والرؤى ما بين حين وآخر ، ونحمد الله أن تبنى عدد من الحركات الإسلامية التوجه إلى العمل السياسى ، إنه دليل على الحيوية ، ومادامت هذه الحركات قادرة على أن تطور نفسها ، وأن تغيِّر من رأيها ، فهذا دليل على التجدد .. إننى أحيى وأبارك هذا التوجه من الشباب نحو العمل السياسى الديمقراطى ، وأرى أنه التوجه الصالح للتعامل مع الحياة المعاصرة ، ومع المعطيات الفكرية والسياسية والإقليمية والدولية والمحلية.

## أى قانون هذا ؟

**● لكن القانون القائم يرفض قيام حزب دينى ، كما أن هناك خشية من أن يطالب المسيحيون بحزب لهم ؟**

أى قانون ؟ البشر هم الذين يضعونه ، فى بعض البلاد أجيز هذا .. الوجود الرسمى للإسلاميين أمر مطلوب بدلاً من أن يعملوا فى السراديب وتحت الأرض ، بعيداً عن الأعين ، ليظهروا أمام الناس ، وليعملوا علناً ، وعلى مرأى ومسمع ، حتى تنكشف أمورهم ، فيقال لهم : أصبتم ، أو أخطأتم ، ولهذا فإننى أطالب السلطات فى بلادنا العربية والإسلامية بالتجاوب مع هذا التوجه.

أما الأقباط فلا خوف من أن ينشئوا حزباً ، فلينشؤا حزباً ، وأنا أرى أن هذه الأحزاب الإسلامية يجب أن تتسع لغير المسلمين ، وكان من المؤسسين فى حزب الوسيط د. رفيق حبيب : فأنت تعرض مفاهيم فى إصلاح المجتمع ، من قَبِلَ هذه المفاهيم فهو معك سواء أكان مسلماً أم مسيحياً.

## الشيوعية والمجتمع

**● كأنك بذلك لا تمانع فى وجود حزب شيوعى أيضاً ؟**

لا مانع فى ذلك، وأن يعرض على الناس، إذا كان المجتمع يقبل بالشيوعية، فمعنى ذلك أن هناك خللاً بالمجتمع، ونتوجه للمجتمع ونصلح من وعيه، فالحزب يحيا ويموت بالناس، إذا كان له أنصاره وقاعدته الجماهيرية والشعبية يستطيع أن يحيا، وإذا لم يكن له ذلك مات وأندثر.

**● فى رأيكم هل صورة العمل الشبابى يمكن أن تتوجه نحو الحزب السياسى، لينتهى بذلك عصر الانتماء إلى جماعة معينة فى القرن الجديد ؟**

## مفهوم العمل الجماعى

أرى أولاً أن العمل لخدمة الإسلام ونصرة قضاياه فى هذا العصر لا يتم بالعمل الفردى، ولا بالجهود المبعثرة، لابد من عمل جماعى، وهو فى نظرى فريضة وضرورة: فريضة يحتمها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، فالدين يأمرنا أن نعتصم بحبل الله جميعاً، ولا نتفرق: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢]، و" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً "، و" يد الله مع الجماعة "، فالدين يأمرنا بأن نتجمع حتى نؤثِّر، وهناك ما يسمى الآن فى الاقتصاد (بالإنتاج العريض)، حيث إن الإنتاج الصغير ما عاد يستطيع أن ينافس أو يقدر على عمل شئ أمام القوى الكبرى المنتجة، فالعمل الإسلامى أيضاً فى حاجة إلى عمل عريض .. ولذلك أقول:

إن الواقع يحتم علينا أن نحقق أهدافاً كبرى تحرر الأوطان المستعبدة، وتقاوم الأخطار الأجنبية، وتوحد الأمة الممزقة، وتحقق آمال الأمة فى العدالة الاجتماعية، فى الحرية، فى إقامة نظم شورية ترعى حقوق الإنسان وحرماته .. وهذا لا يمكن أن يتحقق بعمل فردى أو بجهود ضعيفة.

**● ماذا تعنى بالعمل الجماعى تحديداً ؟**

العمل الجماعى يعنى أن تنشئ جمعية أو مؤسسة أو رابطة أو اتحاداً.

**• إذاً ليس شرطاً أن يكون العمل الجماعى سرياً، كما ألحظ فى أدبيات الجماعات الإسلامية ؟**

بالعكس .. يجب أن يكون العمل الجماعى علنياً، فالأصل فى العمل أن يكون علنياً، وكل ما نشكو منه هو السرية، ولذلك نقول: لماذا تجبرون العمل الإسلامى إلى أن يعمل سراً ؟ دعوه يعمل فى الهواء الطلق، افتحوا النوافذ لتهب منها النسمات.

❖ ❖ ❖

# (٩) قصته مع أمريكة

**د. القرضاوى يحكى قصته مع أمريكة :**

- سحبت أمريكة تأشيرة دخولى إليها بسبب تأييدى للمقاومة الفلسطينية.
- نعم أؤيد العمليات الاستشهادية فهى ليست انتحارية.
- الخارجية الأمريكية تطلب إجاباتى على أسئلة تتعلق بحماس والجهاد وحزب الله ، لكنها لم تغير موقفها.
- أدين العنف العشوائى وأنكره ، وأدعو إلى التسامح مع المخالفين.
- أسرار لقائى بالسفيرة الأمريكية فى الدوحة.
- لست متحمساً لدخولى أمريكة الآن ، ولعل المنع خير.
- ساويت البضائع الأمريكية بالإسرائيلية فشراؤها حرام.
- على مسلمى أمريكة وفلسطين المحتلة مقاطعة الشركات المتحيزة للصهيونية ما أمكنهم ذلك.
- تربية الأمة على التحرر من العبودية لأذواق الآخرين جانب غير اقتصادى فى المقاطعة.
- نريد من أمريكة تأييد الديمقراطية حتى فى الدول الإسلامية.

❖ ❖ ❖

# (٩) قصته مع أمريكة

أن تمنع الولايات المتحدة الأمريكية داعياً ومفكراً وفقيهاً معاصراً من دخول أراضيها : فلابد أن حدثاً خطيراً قد دفعها إلى ذلك.

لكن الحوار الذى أجريناه مع د. يوسف القرضاوى لا يكشف أمراً خطيراً على أمريكة ، سوى أن القرضاوى لا يؤيد إسرئيل فى عدوانها على الفلسطينيين ، ويدعو إلى دعم المقاومة الفلسطينية بفصائلها المختلفة ؛ كحماس والجهاد الإسلامى ، كما أنه يؤيد حزب الله اللبنانى ، والعمليات الاستشهادية التى تقوم بها أهل الأرض المحتلة ، إنه ينفى عنها صفة الانتحارية.

يكشف الحوار اليوم أوراقاً مجهولة فى ملف (القرضاوى- أمريكة) خاصةً عبر رصد حواره مع السفيرة الأمريكية بالدوحة.

**• ما هى حيثيات قرار منع سفركم وإبطال تأشيرة دخولكم إلى الولايات المتحدة الأمريكية ؟**

كنت فى الولايات المتحدة الأمريكية فى نوفمبر ١٩٩٩م ، حيث حضرت مؤتمر (علماء الشريعة فى أمريكة) الذى دعت إليه رابطة علماء الشريعة ، وأختارنى الحضور رئيساً لهذا المؤتمر بالإجماع ، وأصدر هذا المؤتمر قرارات عدة ، ومنها أننا أوصينا المسلمين فى أمريكة بأن يتعاملوا بالقيم الأخلاقية الإسلامية ، وشددنا بقوة على هؤلاء الذى يستحلون الأموال ، فيأكلون أموال الآخرين بالباطل على أنهم فى مجتمع غير مسلم .. وأصدرنا عدداً من الفتاوى والقرارات والتوصيات .. وبعدها فى شهر ديسمبر من العام نفسه أبلغتنى وزارة الخارجية القطرية أن التأشيرة التى أحملها (وهى تأشيرة دخول أمريكة فى زيارات متعددة خلال عشر سنوات) لم تعد تصلح ، طبقاً لما أخبرتها به السفارة الأمريكية فى الدوحة ، رغم أن التأشيرة لم ينتهِ منها إلا أقل من أربع سنوات فى ذلك الوقت.

**• كيف تم إخباركم بالمنع الأمريكى لدخولكم إليها ؟**

جاءنى وزير الدولة للشئون الخارجية القطرى ، سعادة الأخ أحمد بن عبد الله آل محمود ، وأخبرنى بالأمر.

● **ما هو موقف السفارة الأمريكية فى الدوحة من هذا الإجراء؟**

علمت أن السفارة الأمريكية ردت على وزارة الخارجية الأمريكية وقالت لهم: إن القرضاوى شخصية مهمة فى قطر، ومنعه من دخول أمريكة يسىء إلى العلاقات بين البلدين، وهذه العلاقات جيدة أصلاً .. وقد ردت الجهة المختصة وقالت لهم: أطلبوا منه أن يجيب على هذه الأسئلة .. وهى أسئلة تتعلق فى معظمها بالموقف من جماعة حماس، والجهاد الإسلامى، وحزب الله، والعمليات الاستشهادية، والدعوة إلى مساعدة هذه الجماعات والتبرع لهم بالمال، والموقف من عملية السلام .. وهى أمور لى فيها موقف معروف، هم يعرفونه.

● **هل يمكن أن نحدد موقفكم بدقة من هذه القضايا ؟ خاصةً شرعية العمليات الاستشهادية ؟**

طبعاً؛ أنا أؤيد هذا الجهاد وأصدرت عدة فتاوى بشأنها ... لعل أبرزها فتوى شرعية العمليات الاستشهادية فى فلسطين المحتلة .. وقد قلت: إن تسمية هذه العمليات (انتحارية) تسمية خاطئة ومضللة، فهى عمليات فدائية بطولية استشهادية، وهى أبعد ما تكون عن الانتحار، ومن يقوم بها أبعد ما يكون عن نفسية المنتحر، فالمنتحر يقتل نفسه من أجل نفسه، والشهيد يقدم نفسه ضحية من أجل دينه وأمته، وإذا كان المنتحر إنساناً يائساً من نفسه ومن روح الله، فالمجاهد إنسان كله أمل فى روح الله ورحمته، يقاتل عدو الله وعدوه بهذا السلاح الجديد الذى وضعه القدر فى يد المستضعفين ليقاوموا به جبروت الأقوياء المستكبرين: أن يصبح المجاهد (قنبلة بشرية) تنفجر فى مكان معين وزمان محدد فى أعداء الله والوطن، الذين يقفون عاجزين أمام هذا البطل الشهيد الذى باع نفسه لله، ووضع رأسه على كفه، مبتغياً الشهادة فى سبيل الله.

## مقاومة لا إرهاب

● **هل يدخل هؤلاء فى دائرة الإرهاب ؟**

لا؛ إنهم ليسوا إرهابيين، فهم يقاومون — مقاومة شرعية — من احتل أرضهم وشردهم، وشرَّد أهلهم، اغتصب حقهم، وصادر مستقبلهم، ولازال يمارس عدوانه عليهم، ودينهم يفرض عليهم الدفاع عن أنفسهم، ولا يجيز لهم التنازل باختيارهم عن ديارهم التى هى جزء من دار الإسلام.

- **لكنهم يلقون بأيديهم إلى التهلكة كما يرى بعض الناس ؟**

لا ؛ إنه عمل من أعمال المخاطرة المشروعة والمحمودة فى الجهاد، يقصد به النكاية فى العدو، وقتل بعض أفراده، وقذف الرعب فى قلوب الآخرين، وتجرئة المسلمين عليهم.

- **فى هذه العمليات يقتل بعض أفراد العدو من المدنيين: هل هذا القتل جائز ؟**

المجتمع الإسرائيلى مجتمع عسكرى، رجاله ونساؤه فى الجيش، يمكن استدعاؤه فى أى لحظة، وإذا قُتِل طفل أو شيخ فى هذه العمليات فهو لم يقصد بالقتل، بل عن طريق الخطأ، وبحكم الضرورات الحربية، والضرورات تبيح المحظورات .. وأقول:

إنها المخاطرة المشروعة المحسوبة التى يُرجى بها إرهاب عدو الله وعدونا، ويُبتغى فيها نصر الحق لا اتباع الهوى، ولا تكون من الإلقاء باليد إلى التهلكة، وما نطلبه هو أن تكون هذه العمليات الاستشهادية بعد دراسة وموازنة لإيجابياتها وسلبياتها، وينبغى أن يتم ذلك عن طريق تفكير جماعى من مسلمين ثقات، فإذا وجدوا الخير فى الإقدام أقدموا وتوكلوا على الله.

## زيارة السفيرة

- **كيف صارت إجاباتك على أسئلة السفيرة الأمريكية بالدوحة؟**

جاءتنى إلى مكتبى بجامعة قطر — مركز أبحاث السنة والسيرة — كانت فى غاية من الأدب، جاءت ترتدى غطاءً للرأس (إيشارب)، وكان معها مترجمان: مترجم من السفارة الأمريكية، وآخر من وزارة الخارجية القطرية، مع أنها تتكلم العربية قليلاً، قالت: إن الناس يقولون عنك: إنك من أهل الاعتدال ؛ فما هى مظاهر هذا الاعتدال ؟

قلت: إننى أدعو إلى التسامح مع المخالفين، والحوار مع الآخر، أدعو إلى الحوار مع الغرب: حوار على المستوى الدينى، وعلى المستوى الفكرى، وعلى المستوى السياسى، وأدعو إلى الحوار مع العلمانيين، ومع الحكام، ومع كل القوى المخالفة، لأننا — إسلامياً — مأمورون بالحوار: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وشرحت لها تفاصيل ذلك.

## أرفض العنف

**• هل تعرضتم لقضية العنف وما موقفكم منها ؟**

لقد قلت لها: إننى أرفض العنف العشوائى الذى يقوم به بعض الجماعات الإسلامية وأنكرت، وحينما قُتل سبعة من الرهبان فى الجزائر خطبت خطبة معروفة فى ذلك الوقت وأنكرت هذا وقلت: إن الإسلام لا يقتل الرهبان حتى فى الحرب الرسمية، وحينما وقعت مذبحة الأقصر فى صعيد مصر تكلمت عنها فى برنامج الشريعة والحياة، وخطبت خطبة شهيرة تحدثت عنها الصحف القطرية والمصرية. وقلت لها: لعلك تابعت رسالتى إلى الرئيس الجزائرى بوتفليقة، أبدت فيها دعوته إلى الوئام المدنى، وناديت الشباب المعتصم فى الجبال من الجماعات الإسلامية المسلحة أن يلقوا أسلحتهم، ويكفوا أيديهم، ويدخلوا فى هذا الوئام ... وقد أهتمت الأجهزة الإعلامية الجزائرية برسالتى، وظلت يوماً كاملاً تذيع الرسالة.

وكانت الخبر الأول، ونشرتها الصحف القطرية، وبعض الصحف العربية.

## إسرئيل هى السبب

**• وضح الآن أن هناك أوجه اتفاق بين وجهتى النظر الإسلامية التى تحملها والأمريكية فى استنكار العنف؛ أين الخلاف إذاً ؟**

نعم، لكن الخلاف نشأ حين سألتنى عن الموقف من إسرائيل.

فقلت لها: هذا هو الموقف الذى نختلف فيه معاً، فأمريكة تؤيد إسرائيل تأييداً مطلقاً دون أى تحفظ ودون أى قيود، فلولا هذا التأييد المطلق: لولا المال الأمريكى، والسلاح الأمريكى، والفيتو الأمريكى؛ ما استطاعت إسرائيل أن تصول وتجول وتعربد فى المنطقة، وتسفك الدماء، وتدمر المنشآت، وتقتل الأطفال البرآء والنساء والشيوخ .. إنما هى تفعل هذا بقوة أمريكة .. فهذا هو موقفكم — مخاطباً السفيرة الأمريكية — إنما موقفى هو أنى أرى هؤلاء — الصهاينة — قوم مغتصبون، أخذوا أرضاً لم تكن لهم، فلم يكن لهم وجود فى المنطقة منذ سبعين سنة، فجاءوا بقوة السلاح وبالحديد والنار والعنف والدم، وفرضوا وجودهم وأخرجوا أهل البلاد من بلادهم .. فأنا مع العدل، ومع الحق.

**● كيف علقت سعادة السفيرة على هذا المنطق فى عرض القضية ؟**

قالت: هذا من حقك، ونحن وأنت مختلفون فى هذا الأمر، ومن حقك أن يكون لك رأى مخالف لغيرك .. وانتهت المقابلة، واعدة بأن ترفع الأمر مرة أخرى إلى وزارة الخارجية الأمريكية.

**● هل تابعتم الحوار بحثاً عن حقكم فى دخول أمريكة بعد ذلك؟**

لا أتحمس كثيراً لهذا الموضوع، وقد تركت الأمر مؤقتاً، ولا أنوى بحثه أو إعادة فتحه هذه الأيام .. ولعله خير.

**● ساويتم فى فتواكم بالمقاطعة بين البضائع الإسرائيلية والبضائع الأمريكية؛ كيف تمت هذه المساواة ؟**

البضائع الأمريكية مثل البضائع الإسرائيلية فى حرمة شرائها، والترويج لها، فأمريكة اليوم هى إسرائيل الثانية، ولولا التأييد المطلق والإنحياز للكيان الصهيونى الغاصب ما استمرت إسرائيل تمارس عدوانها على أهل المنطقة، ولكنها تصول وتعربد .. وهى تفعل ذلك منذ عقود من السنين، ولم تر أى أثر لموقفها هذا، ولا أى عقوبة من العالم الإسلامى احتجاجاً على مواقفها الجائرة، وقد آن الأوان لأمتنا الإسلامية أن تقول: لا لأمريكة، ولشركاتها ولبضائعها التى غزت أسواقنا، حتى أصبحنا نأكل ونشرب ونلبس ونركب مما تصنع أمريكة، وقد قال علىّ رضى الله عنه: " ثلاثة عدوك: عدوك، وصديق عدوك، وعدو صديقك " وأمريكة اليوم أكثر من صديق لعدونا، إنها وصلت إلى مرحلة (الفناء) فى إسرائيل !

## عدم المقاطعة حرام

**● كيف ترى شكل المقاطعة؛ خاصةً للمسلمين الذين يعيشون داخل فلسطين المحتلة أو داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ؟**

كل مسلم اشترى من البضائع الإسرائيلية والأمريكية ما يجد بديلاً له من دول أخرى فقد أرتكب حراماً، واقترف إثماً مبيناً، وباء بالوزر عند الله، والخزى عند الناس .. أما المسلمون الذين يعيشون داخل فلسطين أو داخل امريكة، فهم مضطرون للتعامل معهم وشراء سلعهم ومنتجاتهم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والضرورات لها أحكامها،

ولكنها تقدر بقدرها، وقال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال رسول الله ﷺ: " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " متفق عليه .. وعلى المسلمين داخل الولايات المتحدة أن يتعاملوا مع الشركات الأقل عداء للمسلمين، والأقل تعصباً وممالأة للصهيونية، وأن يقاطعوا ما أمكنهم الشركات المتحيزة للصهيونية، كما يجب على العرب والمسلمين حيثما كانوا أن يقاطعوا كل الشركات المنحازة للصهاينة، والمساندة لإسرائيل، من أى بلد كانت، مثل (ماركس آند سبنسر)، ومن كان على شاكلته فى تأييد الصهيونية ومؤازرة دولتها إسرائيل.

**● هل المقاطعة التى تنادى بها أمر محدث أم له تأصيل فى فجر الإسلام؟**

المقاطعة سلاح فعَّال من أسلحة الحرب قديماً وحديثاً، وقد استخدمه المشركون فى العهد المكى فى محاربة النبى ﷺ وأصحابه، فآذاهم إيذاء بليغاً، حتى أكلوا أوراق الشجر .. كما استخدمه بعض الصحابة فى محاربة المشركين فى العهد المدنى كما روت كتب السيرة: فلما أسلم ثمامة بن أثال الحنفى رضى الله عنه، ثم خرج معتمراً، فلما قدم مكة قالوا: أصبوت يا ثمامة؟

فقال: لا ولكنى اتبعت خير الدين: دين محمد، لا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله ﷺ إليه أن يخلى بينهم وبين الحمل.

وفى العصر الحديث، استخدمت الشعوب سلاح المقاطعة فى معاركها للتحرر من الاستعمار، ولعل أبرز من فعل ذلك المهاتما غاندى فى دعوته الشعب الهندى الكبير لمقاطعة بضائع الإنكليز، وقد كان لذلك أثره البليغ فى حرب التحرير.

## المقاطعة تربية للأمة

**● إذا ثبت قلة الأثر فى الجانب الاقتصادى للمقاطعة للبضائع الإسرائيلية والأمريكية؛ هل ترى ثمة معانٍ أخرى فى دعوتك للمقاطعة؟**

إنها تربية للأمة من جديد على التحرر من العبودية لأذواق الآخرين الذين علموها الإدمان لأشياء لا تنفعها، بل كثيراً ما تضرها، وهى إعلان عن اخوة الإسلام، ووحدة أمته، وأننا لن نخون إخواننا الذين يقدمون الضحايا كل يوم بالإسهام فى إرباح أعدائهم، والمقاطعة

بعد لون من ألوان المقاومة السلبية، يضاف إلى رصيد المقاومة الإيجابية التى يقوم بها الإخوة فى أرض النبوات، أرض الرباط والجهاد .. وإذا كان كل يهودى يعتبر نفسه مجنداً لنصرة إسرائيل بكل ما يقدر عليه، فإن كل مسلم فى أنحاء الأرض مجند لتحرير الأقصى ومساعدة أهله بكل ما يمكنه، وأدنى ذلك مقاطعة بضائع الأعداء .. قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الأنفال: ٧٣].

## أريد من أمريكة

**● ماذا تريد – كفقيه معاصر – من الولايات المتحدة الأمريكية خاصةً والغرب عموماً ؟**

أريد من الغرب ومن الولايات المتحدة أن يعترف بحق الإسلام فى الوجود وبحق المسلمين أن يعيشوا بإسلامهم، وأن من الخير للغرب أن يكون المسلمون متدينين يخافون الله ويراقبونه فى أعمالهم، ويتمسكون بمكارم الأخلاق، أفضل لهم من أن يكونوا أناساً ملحدين أو منحلين أو إباحيين لا دين لهم ولا خلق .. فلو أن المسلمين حكَّموا الشريعة فى ديارهم وفى مجتمعاتهم، وطبقوها على أنفسهم: ما الذى يضير الغرب ؟ كما أريد للغرب أن يؤمن أن الحياة تتسع لأكثر من دين، وأكثر من ثقافة، وأكثر من حضارة، وان هذا التنوع هو من صالح البشرية وليس ضد مصلحتها، ولا يمكن أن تفرض حضارة واحدة، أو يفرض دين واحد نفسه على العالم كله، وقد كان للمسلمين حضارة، ومع هذا كان فى هذه الحضارة عناصر مختلفة من الناحية الدينية والعرقية ساهمت فى بناء الحضارة الإسلامية، حيث كان فيها يهود، ونصارى، وسريان، وكان لهم دور فى الحضارة الإسلامية، وكان كثير منهم من المقربين من الخلفاء المسلمين، فليس هناك بأس من تعدد الأديان، وتعدد الحضارات والثقافات، وأن تكون العلاقة بينهما علاقة حوار، لا علاقة صراع.

نريد من أمريكة التى تؤيد الديمقراطية فى كل مكان، وأحياناً تدخل الجيوش لفرض الديمقراطية أو فرض من يدعو إليها ! . إلا فى بلاد المسلمين؛ فهى تؤيد الأنظمة الدكتاتورية التى تحكم الشعوب رغماً عنها، والتى تُزَوِّرُ الانتخابات، والغرب وأمريكة يعرفان أن الانتخابات مزوّرة ولا يتحدثون ! إن أمريكة تقف مع الحكام المستبدين ضد شعوبهم، وحينما جاءت صناديق الانتخابات بالإسلاميين فى بلد مثل الجزائر، وقف الغرب مع السلطة الغاشمة التى قطعت على الشعب طريق اختياره، وحرمته ثمرة ما أراد لنفسه !

❖ ❖ ❖

# (١٠) حوار مع الغرب

**د. يوسف القرضاوى :**

- الحوار مع الغرب فريضة وضرورة.
- القرآن الكريم كتاب حوار بالدرجة الأولى.
- المسلمون على عِلاَّتهم من أفضل أمم الأرض.
- مواضع الاتفاق محل اهتمام القرآن فى الحوار وليس نقاط الاختلاف.
- لا تنازل عن العقائد والقيم والأخلاقيات الإسلامية من أجل الحوار.
- أساسياتنا هى المحكمات والقواطع لا الظنيات.
- الغرب ليس مادة كله ، والإسلام روح ومادة.

❖ ❖ ❖

# (١٠) حوار مع الغرب

منذ اللحظات الأولى للعلاقة بين الإسلام والغرب، حيث بدأت رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والأباطرة، وحتى القرن الخامس عشر الحالى، وهذه العلاقة بين الطرفين تبدو قلقة لترسم صورة الانفصال (الشرق شرق، والغرب غرب)، أكثر من صورة الاتصال الحضارى المطلوب بين أفراد البشرية، فكل طرف يندفع نحو الآخر برصيد تاريخى مبنى على خطأ معرفى، أو تصور يُحفِّز السلوك للعدوان لا للسلام!

هذا رصيد الحروب الصليبية بين الإسلام والغرب يمثل عقيدة، وذلك عهد الاستعمار (أو الاستخراب) يدفع الضمير الجمعى للأمة نحو الثورة أو الاستثارة تجاه الغرب.

ما بين التصور الإسلامى لفكرة الحوار مع الغرب، وموقف الغرب من الإسلام والفكر الإسلامى حوار طويل، يتبلور هنا فى هذا الجزء من الأوراق التى يتحدث فيها د. يوسف القرضاوى عن رؤيته حول القضية:

● **كيف ترى الغرب والحوار معه؟ ما هو المفهوم المحدد لكلمة الغرب؟**

- لابد أن نحدد أولاً ما هو الغرب الذى نتحاور معه، ليس الغرب منطقة إقليمية، لكنه حضارة وثقافة معينة، لها مقومات وخصائص .. نحن نحاور الغرب باعتباره صاحب الهيمنة الثقافية والحضارة السائدة بطابعها المادى والنفعى، حيث لا يهتم بالغيبيات، ولا يقيم لحاكمية الله تعالى وزناً فى الحياة .. والغرب فى جملته نصرانى ونحن مسلمون، وهو واقعى ونحن مثاليون، كما أنه منحاز فى الأعم الأغلب لإسرائيل.

## الحوار ضرورة: نعم

● **كيف ترى ضرورة قيام هذا الحوار؟**

الغرب هو الذى يحكم العالم منذ قرون، وهو صاحب الحضارة التى تسود دنيانا اليوم، شئنا أم أبينا، وقد حكم ديارنا، واستعمر أقطارنا مدداً من الزمن، ثم رحل عنها كرهاً أو طوعاً، ولكنه لا يزال يؤثر فيها، وفى صنع قرارها من قريب أو بعيد، وتأثيره على عقول حكامنا وعلى إرادتهم غير منكور .. ولم يعد فى وسع مجموعة من الناس أن تعيش بعقيدتها ومبادئها وحدها، معزولة عن العالم من حولها فى مدينة فاضلة كالتى تخيلها الفلاسفة القدماء والمحدثون، فإن ثورة الاتصالات الهائلة قرَّبت ما بين أطراف هذه الكرة التى نعيش

عليها حتى غدت قرية صغرى، لا كبرى كما وصفها أحد الأدباء. لهذا أرى الحوار مع الغرب فريضة اليوم.

**● اختلاف المقدس بين الإسلام والغرب هل يمنع فى رؤيتكم قيام هذا الحوار ؟**

نحن لا نمانع من منطلق ديننا أن نحاور الآخرين، مع اعتقادنا أننا نختلفون فى أشياء كثيرة؛ منها أن المقدس عندنا غير المقدس عندهم، كما أن المنطلقات الفكرية عندنا تختلف عن المنطلقات عندهم، وأهدافنا غير أهدافهم، والوسائل والمناهج عندنا غير الوسائل والمناهج عندهم، ورغم هذا فنحن- فيما أرى- مأمورون أن نتحاور، نحاور هؤلاء ونجادلهم بالتى هى أحسن.

**● هل لكم أن نوثق مثل هذه الرؤية من خلال النص الدينى ؟**

من يقرأ القرآن الكريم يجده كتاب حوار فى الدرجة الأولى، فالأنبياء حاوروا أقوامهم، عبر حوارات سجلها القرآن الكريم .. فهذا حوار نوح عليه السلام مع قومه حتى قالوا: **﴿ يَقَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾** [سورة هود: ٣٢]، وحوار إبراهيم لأبيه وقومه: **﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ﴾** [سورة الأنعام: ٨٣]. وقد سجلت سورة طه حوار موسى مع فرعون، كما سجلته سورة الشعراء، وغيرهما من السور، بل أعجب من هذا حوار الله تعالى مع خلقه، حيث نجد القرآن يذكر لنا أن الله سبحانه وتعالى حينما أراد أن يخلق آدم قال للملائكة: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾** [سورة البقرة: ٣٠]، وأراد أن يثبت لهم هذا العمل، فعمل امتحان مسابقة بينهم وبين آدم.

## حوار الله تعالى مع إبليس

بل أعجب من هذا حوار الله مع أعدى أعدائه (إبليس)، فقد أذن الله تعالى لإبليس أن يحاوره .. قال تعالى: **﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴾** [سورة ص : ٧٥ - ٨٠]. ويدلنا ذلك على أن للحوار مجالاً رحباً وواسعاً فى الفكر الإسلامى، بدءاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

**● لكننا نتوقف الآن عند السنة النبوية لنتعرف على آفاق الحوار وصوره .. كيف يمكننا التعرف على ذلك ؟**

- فى السُّنة حوارات مختلفة مع النبى ﷺ، فالذين كانوا يأتون إليه ويسلمون، يسألونه : " ألله أمرك بهذا .. "، وضرار بن ثعلبة وحديثه معروف، بل رأينا سؤال جبريل حين سأل النبى ﷺ: ما الإسلام ؟ وما الإيمان ؟ وما الإحسان ؟ وما الساعة ؟ وماذا عن أماراتها ؟.

بل هناك أيضاً من يأتى للنبى ﷺ يستأذنه فى الزنا، يقول النبى له : أتحب أن يؤتى أحد بأمك ؟ يقول له : لا، بأختك ؟ لا، بابنتك ؟ لا، بعمتك وبخالتك ... وفى كل مرة يقول له كذلك، الناس لا يحبونه — أى الزنا — لأمهاتهم ولا لبناتهم، ولا لعماتهم، ولا لخالاتهم. فإلى هذا الحد كان النبى ﷺ يسمح بالحوار بينه وبين الآخرين، وينتهى الحوار بأن يخرجوا من عنده وهم راضو النفس، ومطمئنو القلوب.

**● هل اشتمل التراث الإسلامى على ملامح مميزة للحوار بين المسلمين وغيرهم ؟**

- الحوار بين علماء المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى موجود فى التراث، فهذا هو حوار الإمام الباقلانى مع بعض الملوك النصارى، وحوار مع الأحبار، ومع الرهبان، وهناك رسائل وكتب فى التراث يمكن الرجوع إليها فى مظانها.

**● الحوار من موقف القوة، يختلف عن الحوار من موقف الضعف، فالحوار فى الماضى كان المسلمون الأقوى حضارياً، أما اليوم فهم الأضعف .. كيف يكون الحوار إذاً؟**

- نعم ؛ كان المسلمون فى الماضى أصحاب حضارة، وكانت الحضارة الأولى فى العالم، وكانوا هم العالم الأول، وهم الآن العالم الثالث كما يقال، وربما ينسب بعضهم إلى العالم الرابع لو كان هناك عالم رابع ! لكن المسلمين أقوياء بثقافتهم، بأصول حضارتهم، برسالتهم العظيمة التى أكرمهم الله تعالى بها، برسالة الإسلام، هم أقوياء بهذه الرسالة، فهم يملكون ما لا يملك العالم كله، يملكون الرسالة العامة الخالدة التى تحمل كلمات الله الأخيرة للبشرية، ولا يوجد دين يملك وثيقة سماوية سالمة من التحريف والتبديل اللفظى والمعنوى إلا المسلمون، فهم وحدهم الذين يملكون القرآن، هذه هى الوثيقة السماوية الوحيدة المحفوظة بحفظ الله سبحانه وتعالى الذى قال : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩]، ﴿ **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت : ٤٢].

فالكتاب هو الكتاب المحفوظ، حتى إن المسلمين يحفظونه كما كتب فى عهد سيدنا عثمان، فقد تغيرت طرق الرسم والإملاء، لكن ما يجرؤ المسلمون على أن يغيروا رسم المصحف .. كما أنه يُقرأ كما كان يُقرأ فى عهد النبوة .. كما أنه نشأت علوم تُحافظ على القرآن الكريم كله صوتياً، كما تحافظ عليه كتابياً.

## الرسالة الخاتمة

فإذا كان المسلمون الآن فى فترات ضعف مادى، فإنهم يملكون الرسالة الخاتمة الخالدة، والمسلمون على عِلاّتهم، وعلى ما بهم من ضعف، وعلى ما يؤخذ عليهم من عيوب ومساوئ ننتقدها نحن عليهم، فالمسلمون هم أفضل أمم الأرض، والأمة الإسلامية هى أفضل الأمم من ناحية إيمانها بالله، ومن ناحية توحيدها، ومن ناحية حفظها للقيم الأخلاقية التى توارثتها عن النبوات الهادية فى مختلف مراحل التاريخ، فالأمة الإسلامية هى أقل الأمم إغراقاً فى المادية، وأقل الأمم إغراقاً فى المتع والشهوات: الجنس والزنا والشذوذ، وأقل الأمم شرباً للخمور، والمسكرات، وأقل الأمم إغراقاً فى المخدرات، وهم أحرص الأمم على التمسك الأسرى، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأسر الممتدة الواسعة وليست الأسرة النووية.

أقول إن الأمة الإسلامية على ما بها، فإن قيمها المتوارثة ظلت قائمة، ترحم الضعيف، وتُقرى (تكرم) الضعيف، وتحمل الكلَّ، وتُكسب المعدوم، وتُعين على نوائب الدهر، كما كان يفعل نبيها ﷺ، وتفعل هذا من تلقاء نفسها، وليس لأمر تجارى، أو لغرض مادى .. رغم ما بالأمة من عيوب ومن نقاط ضعف كثيرة، نُقِرُّ بها، فإنها من أفضل الأمم، ومن ثم فإنها يمكن أن تمارس هذا الحوار.

## حوار أم دعوة وجدال

**● هل يؤدى تمسك المسلمين بالحوار إلى تخفيف صرامة الموقف الفكرى الإسلامى فى محاولة للتقريب مع الآخرين؟ وهل يوضع مصطلح الحوار فى إطار مصطلحى الدعوة والجدل؟**

- لو التزمنا بأدب الحوار كما شرعه الإسلام، لأدى ذلك من غير شك إلى التقرب مع الآخرين، فالإسلام يأمرنا فى الآية الكريمة: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ** ﴾ [النحل: ١٢٥]، أن ندعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نجادل

بالتى هى أحسن، وقد وضعت الآية أصول الدعوة والحوار .. وهناك فرق فى التعبير: فقد أكتفت الآية بالأمر بالحكمة والموعظة الحسنة فى الدعوة، لكنها عند الجدال لم تكتفَ بالجدال الحسن، وإنما أمرت بالجدال بالتى هى أحسن .. ذلك لأن الموعظة تكون مع الموافقين، فالموافق يكفى أن تعظه موعظة حسنة ترقق قلبه تحرك ساكنة، تُرغِّبه فى الخير، تُرهِّبه من الشر، يكفى أن تكون الموعظة حسنة، ولكن الجدال يكون مع المخالف، والمخالف لا يكفى أن تجادله جدالاً حسناً، وإنما أن تبذل جهداً فى ان يكون جدالك بالتى هى أحسن، أن تحاوره بأحسن الطرق وأرق الأساليب وألطف العبارات، حيث لو كانت هناك طريقتان: طريقة حسنة، وطريقة أحسن منها وأجود، فلابد أن تستخدم الطريقة التى هى أحسن وأجود، فهذا هو الذى أمر به الإسلام.

ولذلك نجد القرآن وهو يعلمنا الحوار مع الآخرين يقول الله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ [سبأ: ٢٤]، فمع أنه متأكد أنه على الهدى، وأن غيره على الضلال، لكنه يريد أن يُقرِّب هؤلاء من ساحته كأنه يقول: أحد الفريقين منا لابد أن يكون مخطئاً، والآخر على صواب، فلابد أن نبحث مِن المخطىء، ومِن المصيب، ومِن المهتدى، ومِن الضالّ منا ومنكم، ثم يقول تعالى: ﴿ **قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [سبأ: ٢٥]، وكان من الممكن أن يقول: " لا تسألون عما عملنا ولا نسأل عما تعملون " أو يقول: " لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تجرمون ". فالمقابلة تقتضى هذا .. لكنه نسب إلى نفسه ومن معه ﴿ **لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا**﴾ إن كنا نحن أجرمنا فأنتم لا تسئلون عن إجرامنا، ولكنه لم يقل: ولا نسأل عما تجرمون، حتى لا ينسب إليهم الإجرام ولكن ﴿ **وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ وأرى أن كل هذا نوع من التخفيف والتقريب وإزالة كل ما يوغر الصدور ويباعد الشُّقة بين الطرفين .. فهذا هو ما جاء به الحوار بالتى هى أحسن.

## فلسفة القرآن فى الحوار

● **هل يمكن أن نحدد ملامح الفلسفة القرآنية فى الحوار مع الآخرين؟**

– يذكر القرآن مواضع الاتفاق، وليس نقاط الاختلاف، فيقول فى الحوار مع أهل الكتاب: ﴿**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ**﴾ [ العنكبوت: ٤٦]. وفى الآية الأخرى: ﴿**قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ**﴾ [ البقرة : ١٣٩ ]،

يذكر الأشياء المتفق عليها، وهذا مبدأ مهم جداً، فإذا أردت أن تحاور الآخرين فابدأ بالمتفق عليها، وهذا مبدأ مهم جداً، فإذا أردت أن تحاور الآخرين فابدأ بالمتفق عليه، حتى يكون ذلك سبيلاً إلى الوصول إلى قاسم مشترك بين الفريقين، ولا نأتى إلى الشيء المختلف فيه، فلا يمكن أن نلتقى ونقول : نبحث ماذا يجمع بيننا ؟ نحن معاً نؤمن بالله وبالقيم الأخلاقية، وبثبات هذه القيم، نؤمن بوحدة الإنسانية، وبأن الإنسان مخلوق مكرم، نؤمن.. نؤمن بما يجمع بين المختلفين.

**● هل ترى أن نجاح الحوار بين الجانبين يقتضى أن يتنازل كل منهما عن شيء ويتمسك بأشياء أخرى، أم أن الحوار يكون بحثاً عن نقاط تقارب أكثر من تقديم تنازل؟**

- هناك أشياء لا يمكن التنازل عنها، فنحن نحاول أن نذكر مواضع الاتفاق، ولكن ليس معنى هذا أن أتنازل عن أى شيء أساسي عندى، وحينما أراد الكفار من مشركى قريش أن يفاوضوا النبى ﷺ على أن يتنازل عن عبادة إلهه مدة من الزمن، ويعبد آلهتهم مدة، فى محاولة لاقتراب الفريقين بعضهم من بعض؛ رفض النبى ﷺ هذا، وجاءت السورة الفاصلة الحاسمة **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾** [الكافرون: ١] فالقرآن يخاطب المشركين لأول مرة هذا الخطاب **﴿الْكَافِرُونَ﴾** فهو عادة يخاطبهم: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاس﴾**، ويخاطب اليهود والنصارى: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾** أو **﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾**، والقرآن أيضا فى الحوار يخطاب بالتى هى أحسن، وأنت فى الحوار تختار أرق الألفاظ وأقربها إلى قلب مخاطبك، إنما هو هنا قال: **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ● وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ● وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ● لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾** [الكافرون: ١-٦] يكرر القرآن الكريم هذا الكلام، وهناك أشياء تحتاج إلى حسم، لا يمكن أن يتنازل الإسلام عن عقائده، وعن قيمه، وعن فرائضه، وعن أخلاقياته.. التنازل هنا غير وارد.. ومع هذا يقول: **﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾**، ولى عملى ولكم عملكم **﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾** [يونس: ٤١]

لكن الإسلام اختصم الشرك واصطدم به، ووقع ما وقع لأنهم قالوا: "لنا ديننا وليس لك دينك"، "لنا عملنا وليس لك عملك"، من حقنا أن نعبد الأصنام، وليس من حقك أن تعبد الله، من حقنا أن ندعو إلى الوثنية، وليس من حقك أن تدعو إلى الإسلام، ورفعوا فى وجهه السيف والتعذيب فكان لابد أن يدافع الإسلام عن نفسه.. إن التنازل عن

مبدأ أو عقيدة أو فريضة أو قيمة أمر غير مقبول، نحن نتحاور، وكل منا يتمسك بمبادئه، إنما التنازل عن الأساسيات ليس أمراً ضرورياً للحوار إطلاقاً.. وإذا أريد هذا منا، فالحوار فاشل من أول الأمر.

## بين الأساسى والفرعى

**● ماذا تعنى الأساسيات التى لا يمكن التنازل عنها فى الحوار مع الغرب خاصةً أن بين المسلمين أصحاب وجهات نظر تجعل بعضاً من الأمور الفرعية تبدو لدى بعضهم أساسية وليست فرعية ؟**

- نحن نتحدث عن الأساسيات المحكمات، فهناك أشياء يمكن أن يختلف فيها الناس أهى أساسية أم غير أساسية، لا ينبغى أن تُصدَّر مثل هذه الأمور عند الحوار.. فأنا لا آتى لأدافع عن النقاب لدى المرأة، وإنما أدافع عن الحجاب، فالحجاب أمر مفروض بنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة، إنما النقاب فيه كلام كثير، وحينما أحاور الآخرين لا ينبغى أن أجعل قضية النقاب قضية أساسية.. ومسألة الجهاد فى سبيل الله للدفاع عن الأرض والعرض والحرمات.. هذا أمر لا جدال فيه.. وليس الجهاد كما يصوره بعض الناس للهجوم على العالم، هذا أمر ليس وارداً، ونحن هنا نتبنَّى ما تبناه علماء المسلمين المعاصرين: الشيخ رشيد رضا، والشيخ شلتوت، والشيخ عبد الله دراز، والشيخ أبو زهرة، والشيخ محمد الغزالى، وهؤلاء كلهم يتبنون القول بأن الجهاد للإسلام للدفاع عن الدين والدولة والحرمات والأرض والعرض.. وليس لغزو العالم.

**● كيف يكون الحوار مع الآخرين إذاً فى ضوء مثل هذه الاختلافات ؟**

- نريد كى نتحاور مع الآخرين فى ضوء الصورة الإسلامية الحقيقية، التى تدل عليها المحكمات من النصوص، القواطع، يجب أن نفرق بين ما هو قطعى وما هو ظنى، الأشياء التى نتمسك بها ونقاتل دونها ولا نفرِّط فى ذرة منها هى القطعيات، أما الظنيات والاجتهاديات وما فيه القيل والقال، وما يمكن أن يخضع لاختلاف التفسيرات واختلاف الأفهام وتعدد الاجتهادات، فهذا لا ينبغى أن نضعه فى مقدمة الحوار بيننا وبين الآخرين.

## الإسلام : روح ومادة

**● من خلال نموذج تطبيقى هل نعتبر الاختلاف جذرياً بين الإسلام الذى هو روح ومادة مع الغرب الذى يبدو مادة بلا روح ؟**

- إننا مختلفون مع الغرب، ولكن الغرب ليس كله مادة، وإذا أردنا أن نكون منصفين نقول : إن الغرب تغلب عليه المادة، لكن هناك جانباً روحياً فى الغرب أيضاً، وهذا الجانب الروحى هو الذى صنع الحضارة والحضارة لم يصنعها الماديون، بل صنعها رجال متدينون وكما قال (كاريل لايل): نحن نعيش على ظل لظل، فعلام يعيش من بعدنا، نحن نعيش على ظل المتدينين، والمتدينون كانوا ظلاً لما قبلهم، فماذا تصنع الأجيال القادمة؟ هناك أناس تؤمن بالقيم، علينا أن نبحث عن هؤلاء ونتحاور معهم، ثم علينا أن نقول لهم: نحن نكملكم، أنتم عندكم المادة وليس عندكم الروح، نحن عندنا الروح، والروح التى لا تنكر المادة.

**● ماذا يمكن أن نقول للإنسان الغربى ؟**

- إن ميزة الإسلام أنه يقول للغربى : أنا عندى الرسالة التى تعطيك الروح ولا تفقدك المادة، تعطيك الإيمان ولا تسلبك العلم، تعطيك الآخرة ولا تحرمك الدنيا، تصلك بالسماء ولا تنزعك من الأرض، فعندنا الرسالة المتوازنة، وهذا ما نستطيع أن نقول لهم هذا الطرح، رغم اختلاف ما بيننا وبينهم.

❖ ❖ ❖

## (١١) ملامح الحوار المطلوب

**د. يوسف القرضاوى يفجر قضايا الحوار مع الغرب :**

- الغزو الاستعمارى للعالم الإسلامى كان عسكرياً وفكرياً وثقافياً وتربويًّا وتشريعياً.
- بدأ الغزو الفكرى للمسلمين بالإسرائيليات التى عكّرت صفو الثقافة الإسلامية ، لكنه ظل محدوداً.
- الحوار مع أبناء جلدتنا قبل الحوار مع الغرب.
- الإسرائيليات كانت غزواً للثقافة الإسلامية ، لكن أثرها ظل محدوداً.
- بدأ استعمار البلاد الإسلامية باحتلال الإنجليز للهند ، فقد كان يحكمها المسلمون.
- عبيد الفكر الغربى يحرسون القيم الغربية ويعادون الشريعة الإسلامية.
- الحوار مع عقلاء العلمانيين هام ، والنحاس باشا علمانى لا يعادى الدين.
- محاورة العلمانى الفج لإقامة الحجة لا من أجل الالتقاء.
- حقوق الإنسان لدى الغرب للمواطن الأوروبى فقط.
- الحجاب ليس مجرد رمز إسلامى. لكنه ذو وظيفة هى الستر والاحتشام.
- ضرب المرأة علاج للحالات الشاذة ولا يقوم به الأخيار.
- تعامل الدولة العثمانية مع الغرب ليس أنموذجاً يحتذى لنا.

❖ ❖ ❖

# ( ١١ ) ملامح الحوار المطلوب

أعتبر د. يوسف القرضاوى مصادرة فرنسا لكتابه الأشهر (الحلال والحرام فى الأسلام) جزءاً من الحملة المعادية للإسلام، التى هى من رواسب الحروب الصليبية (والعقد القديمة) .. كما عبَّر فى حواره مع الأهرام العربى الذى يواصل فيه الحديث عن الحوار مع الغرب، لكنه لم يتطرف — وهو إمام الوسطية — فى الرد على هذه المصادرة التى تمت منذ عدة سنوات، فمازال يرى الحوار مع الغرب فريضة وضرورة .. اليوم نحاور فضيلته حول معالم التفعيل لهذا الحوار، لكننا ننطلق من التاريخ أولاً :

**● تبدو علاقة العالم الإسلامى بالغرب عبر ثلاث مراحل، بدأت الأولى فى العصر العباسى، وأعقبها مناخ آخر هو حضارة الأندلس، لكن ظلال الحروب الصليبية قد أبانت وجهاً آخر للعلاقة .. كيف ترى حقيقة العلاقة فى ضوء التاريخ ؟**

— كان للإسلام جولةٌ عظيمةٌ فى العلاقة مع الغرب خاصةً فى العصر العباسى الأول، دون العصر العباسى الثانى الذى انحطت فيه الدولة الإسلامية، ففى العصر العباسى الأول كانت هناك علاقة معروفة بين هارون الرشيد وشارلمان، وفى عصر المأمون وهو العصر الذهبى للحضارة الإسلامية كان المسلمون يتعاملون على أنهم أصحاب الدولة الأولى فى العالم، وكانوا يظهرون السماحة لغير المسلمين فهم القوة الكبرى، ومن هذا المفهوم كان التعامل مع الغرب.

## حروب ودماء

لكن الحروب الصليبية أسالت دماء للركب، وقتلت عشرات الآلاف .. واحتلت القدس والمسجد الأقصى الذى ظل أسيراً فى يد الصليبيين تسعين عاماً، وبقيت الممالك الصليبية نحو قرنين.

**● هل يمكننا تحديد دور الحروب الصليبية ومسؤليتها فى آفاق العلاقة بين العالمين : الإسلامى والغربى ؟**

- لقد حدث صراع رهيب، ترك رواسب فى الأنفس غائرة، ولم يكن الإسلام هو المعتدى لكن الغرب هو الذى اعتدى، حتى إن الغربيين أنفسهم أعتدوا على مسيحيين من أبناء دينهم .. لم يتركوا فى هذه الحملات الصليبية مسلماً أو مسيحياً !

والأدهى من ذلك هو تحالف الغرب الكتابى (فالغرب مسيحى من أهل الكتاب) مع الشرق الوثنى، مع التتار، لغزو البلاد الإسلامية، وقد أثبت التاريخ أن هناك تعاوناً تم بين الفئتين، ودُمِّرت الحضارة الإسلامية عبر بغداد.

وارى أن هذه المرحلة من العلاقة بين الإسلام والغرب قد أفادت الغرب، فهذا اللقاء جعلهم يستفيدون من المسلمين، فلم يكونوا قد رأوا بلادهم، فبلاد المسلمين على ما كان بها من ضعف فى ذلك الوقت، كانت فيها منارات بغداد والقاهرة وغيرها، وهى منارات للعلم والحضارة لا شك أنها أفادت الغربيين كثيراً.

## الهند أولاً

**● الحملة الفرنسية والاستعمار الأوروبى للعالم الإسلامى عسكرياً مرحلة حاسمة فى آفاق هذه العلاقة بين الإسلام والغرب .. كيف ترون آثارها على العالم الإسلامى خاصة ؟**

- بدأت الحملات الاستعمارية ضد الإسلام، حيث بدأ الإنجليز بإحتلال الهند، وكان المسلمون هم الذين يحكمونها .. ثم كانت الحملة الفرنسية، وهى مرحلة جديدة فى العلاقة بين الغرب والشرق، انتهت باستعمار البلاد الإسلامية والتحكم فيها.

**● هل تعنى التحكم العسكرى ؟**

- التحكم العسكرى، والتحكم التشريعى، والتحكم الثقافى، والتحكم التربوى، والتحكم الاجتماعى، والغزو فى كل هذه النواحى ترك آثاره، ومازلنا نعانى من هذه الآثار حتى اليوم، خصوصاً: الغزو الثقافى بمعناه الواسع فى كل مجالات الحياة، وكل ما يتعلق بالثقافة والفكر والتربية، ولم يحدث غزو مثل هذا الغزو، فقد عرف غزو اليهود للمسلمين بالإسرائيليات التى عكَّرت صفو الثقافة الإسلامية، لكن مجاله كان محدوداً، وعُرف الغزو الإغريقى اليونانى الذى أثَّر فى خاصة المسلمين، ودخل فى الثقافة الإسلامية المختلفة وعلم الكلام، وعلم التصوف، وعلم المنطق، لكن أثره كان محدوداً أيضاً.

لكن الغزو الثقافى الأوروبى أثَّر على المجرى العام للحياة، لأنه دخل فى التعليم والثقافة والإعلام، وأثَّر فى نسيج الحياة كلها .. هذا هو سبب تعقد العلاقة مع الغرب فى العصر الحديث، وأصبح التحرر من نير الغرب الثقافى والاجتماعى والتشريعى أمراً لازلنا نعانى منه حتى اليوم.

## تعقُّد فى العلاقة

**● ما هو هذا التعقد فى العلاقة بين الإسلام والغرب ؟ وكيف تقدر حجم معاناة العالم الإسلامى من غزو الغرب الثقافى والاجتماعى والتشريعى ؟**

- إن الغرب هو الذى صنع بعض القادة الذين يحكمون العالم الإسلامى اليوم، وهم الذين يحرسون العلمانية، ويحرسون القيم الغربية، ويعادون الشريعة الإسلامية، كما يعادون التحرك الإسلامى .. فهؤلاء أبناء الغرب، عبيد الفكر الغربى.

**● هل تعنى أنهم تلاميذ للفكر الغربى ؟**

- لا ؛ فإن التلميذ يناقش أستاذه، فقد يعترض عليه أو يخرج عن إساره، إنما هؤلاء لا يعترضون، فهم يُسلِّمون بكل مقولات الغرب، لذلك لا أسمى موقفهم إلا موقف العبد من سيده، فهم عبيد الفكر الغربى، يعبدون الحضارة الغربية ! وهذا هو الموقف المؤسف فى هذه المرحلة من العلاقة مع الغرب، فلم يعد موقف العالم الإسلامى مع الغرب هو القضية، بل أصبح موقفنا الآن مع أبناء جلدتنا الذين صنعهم الغرب على عينيه وربَّاهم على يديه .. وهذه هى المشكلة الكبرى الآن.

## الحوار الداخلى أولى

**● إذاً هنا يصبح الحوار الداخلى — بين أبناء الأمة — هو الأولى بالاهتمام؟**

- نعم، لابد أن يسبق الحوار الغرب الحوار مع أبناء جلدتنا، وقد دعوت إلى الحوار مع هؤلاء، ففى ١٩٩٤م أكتوبر حضرت مؤتمراً وشاركت فيه ؛ هو مؤتمر الحوار القومى الإسلامى الذى عقد فى بيروت، وكنت أحد الذين شاركوا فى إعداد الورقة الإسلامية، لا مانع أن يلتقى الإسلاميون والقوميون على المنهج الوسط دون التنازل عن أساسياتنا.

**● هل ترى الحوار أيضاً مع العلمانيين ذا أهمية ؟**

- أدعو إلى الحوار مع عقلاء العلمانيين، لأن بعض هؤلاء العلمانيين لا يعادون الإسلام، إنما ينطلقون من عدم فهم الإسلام، لا مانع أن نحاور هؤلاء لنقربهم منَّا ؛ فمبدأ الحوار مبدأ مسلَّم به، ولا حرج فيه مع المخالفين، ماداموا مستعدين هم للإنصاف والاستماع، والأخذ والعطاء.

**● لكن بعض العلمانيين يرمى إلى إزاحة الدين تماماً عن الحياة، ولعل مؤلف كتاب (العلمانية من منظور مختلف) يعد أنموذجاً لذلك، وأنت تدعو إلى تفعيل دور الأمة، فكيف يكون الحوار إذاً ؟**

- أنا لم أقل بالحوار مع كل العلمانيين، بل مع العقلاء والمنصفين منهم، فهناك علمانيون لا يعادون الدين .. وسوف أضرب لك مثالاً هو مصطفى النحاس باشا الزعيم المصرى المعروف، فهو رجل مصلٍّ وصائم، وعنده نوع من التدين، لكنه لم يفهم شمول الإسلام، ولم يحط بالرسالة الإسلامية كما ينبغى، ولعله لو وجد فرصة تعرض عليه الإسلام الحقيقى كما نزل به القرآن، وكما دعا إليه محمد ﷺ، وكما فهمه الصحابة، وطبّقه الراشدون، وكما قامت عليه الحضارة الإسلامية الأولى، لعله لو وجد من يعرض عليه هذا ويشرحه حق الشرح ويصوره التصوير الذى ينبغى، لعله تراجع عن كثير من آرائه.

لكن العلمانى القُحّ الذى يرفض الدين عامةً والإسلام خاصةً، ولا يرى أن الدين ينبغى أن يخرج من ضمير الإنسان، والدين فى رأيه علاقة بين ضمير الإنسان وربه، وإن كان لابد أن يخرج فليكن إلى المعبد (المسجد أو الكنيسة) فقط، وليس للدين علاقة بالحياة، ويرفض — هذا العلمانى — الشرائع والقيم والأحكام التى جاءت بها الأديان، فهذا لا معنى للحوار معه.

## حوار مع العلمانى الفج

**● لكن الله عزَّ وجلَّ حاور المشركين، كما حاور إبليس — كما ذكرت فى الحلقة السابقة ؟**

- يمكننى أن أحاور هذا العلمانى القح لأقيم عليه الحجة، لا من أجل الالتقاء، كما فعلنا حينما حاورنا بعض العلمانيين، وقد شاركنا فى الحوار مع بعض العلمانيين المتصلبين، وأقمنا عليهم الحجة، ولم يجدوا جواباً لما عرضناه وقلناه عن الإسلام، فكشفناهم أمام الناس، وقد أجرينا مثل هذا الحوار فى القاهرة والدوحة هنا .. وكان حوار د. محمد عمارة مع د. فؤاد زكريا فى الدوحة، الذى بدا فيه الفكر الإسلامى هو الأقوى حجةً والأوضح محجة والأعلى سلطاناً .. لا مانع أن نحاور هؤلاء أو نناظرهم، وأفضل المحاورة لإقامة الحجة عليهم.

## تطبيق منحصر فى الغرب

**• عودة إلى الغرب؛ هل ترى أن تكريم الغرب للإنسان ينبع من انتمائه لنسق تاريخى واجتماعى وثقافى، لا من حيث هو إنسان؛ يجعل الحوار مع الغرب حقيقة مطمئنة، خاصةً بعد الغزو الصليبى الذى لا يرحم نصارى الشرق ؟**

- الغربيون للأسف وإن قالوا فى دساتيرهم ومواثيقهم، ومواثيق حقوق الإنسان، ومواثيق الأمم المتحدة، بحقوق الإنسان وتكريمه، فإن تطبيقهم لذلك كله ينحصر فى الإنسان المواطن (الأوروبى)، وإذا كان عمر بن الخطاب قال بولادة الناس أحراراً متساوين عفو الخاطر، بدون تحضير ولا تفكير، وقال عمرو بن العاص: " متى استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً "، فإنهم طبقوا ذلك واقعاً، بينما الكلمة التى تبدأ بها الدساتير: " الناس يولدون أحراراً متساوين " لا تنزل إلى المستوى التطبيقى والواقعى، فلم يعد الإنسان فى الغرب هو الإنسان، فنظرة الغرب إلى الإنسان تنطلق من المواطنة، فالإنسان مكرم فى وطنه، فإذا خرج إلى بلد آخر استعمره و ... فلا كرامة لهذا الإنسان فى البلد الآخر فى نظر ذلك الأوروبى، لم يعد الإنسان من حيث هو إنسان مكرماً، بينما الإنسان عندنا مكرم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، مادام ابناً لآدم، فالتكريم له من حيث هو إنسان: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾ [الأنشقاق: ٦]، فالخطاب للإنسان من حيث هو إنسان .. ولقد وقف الرسول ﷺ فى حجة الوداع وفى مَنى يقول: " أيها الناس؛ إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أيها الناس...".

فنظرة الإسلام للإنسان من حيث هو، بغض النظر عن لونه أو عينه أو أنفه.

## لماذا يمنع الحجاب ؟

**• هل يتصل بمفهوم الغرب للمواطنة ما يجرى للمسلمين فى دول المهجر، خاصةً فرنسة من منع الفتيات من ارتداء الحجاب، الذى تتكرر حادثته مراراً ؟**

- قلت: إن الغرب لا يُكرِّم الإنسان ولا يُعطى الحرية للإنسان من حيث هو إنسان، وإنما من حيث هو إنسان معيّن، يمشى مع هذا المجتمع، ودينه وثقافته السائدة فإذا خرج عن السائد، حتى لو كان فرنسياً أصيلاً، مسلماً، لم يعد له حق ولم يُعط حقه فى أن يلبس ابنته أو زوجته الحجاب وتدخل المدرسة، بل يُفرض عليه أن تنزع زوجته أو ابنته الحجاب! أين كرامة الإنسان وأين حريته ؟

لم يعد هناك حرية للإنسان من حيث هو إنسان، وإذا كانت تحترم الإنسان من حيث هو فلابد أن تحترم ثقافته، وتحترم القيم التى يؤمن بها، فالمسلم الفرنسى الذى ترتدى ابنته أو زوجته الحجاب يؤمن بأنه لا يجوز له ديناً أن تخلع امرأته الحجاب، والفتاة أو المرأة لا يجوز لها خلعه، فهذا حرام، تعرف أنها تدخل من أجله النار، فكيف تفرض على إنسان النار وغضب ربه ؟ أى ثقافة هذه ؟ ! وأى كرامة للإنسان الذى لا يستطيع أن يمارس عقيدته وشعائره وواجباته الدينية تحت سلطان هذه الثقافة وتلك الحرية؟؟!

## مصادرة الحلال والحرام

**● منذ حوالى ستة أعوام صادرت فرنسة كتابك (الحلال والحرام فى الإسلام)، وقرر وزير الداخلية آنذاك منع تداوله بحجة المعادية للغرب والأفكار المخالفة لقوانين وقيم الجمهورية، ورغم تراجع فرنسة عن المصادرة بعد ذلك إلا أننا نطرح السؤال: هل تعنى المصادرة لكتابك الأشهر الذى ألفته منذ أكثر من (٤٠) عاماً رفضاً للغرب — ممثلاً فى فرنسة — للحوار مع الإسلام؟**

– أعتبر هذه المصادرة لكتابى جزءاً من الحملة المعادية للإسلام فى تلك البلاد، خاصةً إذا عرفت أن أمر المصادرة جاء بعد حضورى لمؤتمر إسلامى كان بين المسلمين وغير المسلمين، وكان له أثر جيد، لكن مسألة الحجاب قد أثيرت فيه، وهى من المسائل الساخنة، وقد ناقشت الحاضرين من الفرنسيين مناقشة لم يجدوا أمامها جواباً، وقالوا: إن الحجاب رمز دينى، قلت لهم: إنه ليس رمزاً دينياً، لأن الرمز ما ليس له وظيفة يؤديها غير الإعلان والشعار، وذلك مثل الصليب رمز المسيحى، أو القلنسوة على رأس اليهودى، فهذه فعلاً رموز دينية، ليس لها وظيفة معينة سوى أنها إعلان بأن هذا يهودى أو مسيحى، لكن الحجاب هذا له وظيفة، هى أنه يؤدى وظيفة الستر والاحتشام، فالمسلمة مأمورة أن تحتشم، تغطى شعرها، ونحرها وعنقها، هذا هو معنى الحجاب، فله وظيفة الستر والاحتشام، وحتى لو فُرض أنه رمز، فهم لم يمنعوا المسيحى أن يضع الصليب على صدره، ولم يمنعوا اليهودى أن يضع الطاقية على رأسه، فلماذا يمنعون المسلم، بل سمحوا للسيخى أن يلبس عمامة السيخ، ويأخذ ترخيصاً بقيادة الدراجة البخارية دون أن يلبس غطاء الرأس الحديدى (الخوزة) من أجل عمامته السيخية هذه .. وهذا كله من رواسب الحروب الصليبية، ورواسب العقد القديمة التى ينبغى أن نتحرر من مثل هذه العقد، ويتعامل مع بعضنا بعضاً نداً لندٍّ.

## بواعث المصادرة

**● هل دارت مناقشات أو حوارات بينكم وبين الفرنسيين حول قضايا الإسلام والغرب يمكن أن تكون باعثاً لمصادرة (الحلال والحرام) ؟**

- كانت بالفعل مناقشات طويلة، يبدو أن بعض المتعصبين كانوا حاضرين، فوصل إلى دار القلم ناشرة الكتاب إفادة بأنه قد يصلكم منع الكتاب، وردّ محامى الدار على هؤلاء، وبيّن بأن الكتاب لا يحمل أى فكر يمكن أن يُمنع، بل الكتاب سمح وميسر، فسكتوا بعد ردّ المحامى، حتى جاءت المصادرة .. والكتاب فى فصله الأخير يتحدث عن علاقة المسلم بغير المسلم بصورة هى فى غاية السماحة، وليس فيه أى نبرة معادية — كما يقول خطاب المنع -، وإذا كانوا يقولون بأن الكتاب معارض أو معادٍ للقيم التى قامت عليها الجمهورية، فمن ضمن هذه القيم المساواة بين الرجل والمرأة، قالوا: إن الكتاب يبيح ضرب المرأة عند النشوز، وردّ بعض الفرنسيين بقولهم: هذا مذكور فى القرآن وفى بعض كتب الأديان، لكن الكتاب حينما عرض هذا الأمر قال: إنه ليس الضرب مطلوباً لكل امرأة، ولا لكل حالة، إنما هو فى بعض الحالات الشاذة، والاولى ألا يتعرض المسلم للضرب فى تعامله مع المرأة؛ قال النبى ﷺ: " ولن يضرب خياركم، وإذا ضرب فضرب خفيف غير مبرح ... "، وقد عرض الكتاب الأمر مفصلاً: فالضرب بعد الوعظ والهجر .. كما ان هذا التوجيه لا ينفى المساواة الأساسية بين الرجل والمرأة، فالمرأة من الرجل، والرجل من المرأة، كلاهما يكمل الآخر، ليس كلاهما خصماً للآخر، المرأة مكلفة مثل الرجل، ومَجزية بالجنة والنار مثل الرجل تماماً، كما قال رسول الله ﷺ: "إنما النساء شقائق الرجال".

## حفظاً لماء الوجه !

**● لكن الوزير الفرنسى قد تراجع عن المصادرة، واعتبر المسألة سخافة وغباء ؟**

- حفظاً لماء الوجه الفرنسى طُلب من عميد مسجد باريس أن يكتب التماساً للوزير للسماح بالكتاب، وتم ذلك، وذهب الوزير إلى مسجد باريس وقال: إنه سيفرج عن الكتاب، واعتبر قرار المصادرة مجرد خطأ إدارى .. رغم أنه خطأ إدارى وثقافى وسياسى ! وقد نفى الوزير الفرنسى (شارل باسكوا) تصريحاته السابقة قائلاً: "إن كتاب الشيخ القرضاوى يقدم تفسيراً لتعاليم القرآن من وجهة نظر تقليدية، لكنه لا يتضمن أية مغالات أو تطرف".

**● فى ضوء هذه الإشكاليات للتعامل الإسلامى مع الغرب: هل تُعتبر الدولة العثمانية نموذجاً للعلاقة المأمولة ؟**

– تعامل الغرب مع الدولة العثمانية ليس هو النموذج الذى يحتذى، لأن الغرب منذ تعامل مع هذه الدولة، وتعاملت معه كان ينظر إليها بعين الريبة والتوجس، وكانت هذه الدولة أول أمرها دولة قوية، لها سلطانها، وطموحها، وقد دخلت هذه الدولة اوروبة فاتحة لها، وطرقت أبواب فيينا عدة مرات، واستولت على البلقان، ولاشك أنه قد كانت هناك تجاوزات فى بعض التعاملات، لكم من ينظر إلى ما قامت به الدولة العثمانية، وما قام به الأوروبيون أنفسهم فى البلاد التى فتحوها واستعمروها، يجد تفوق هذه الدولة من ناحية القيم والتزامها بالشرع: لقد كان الخليفة – أو السلطان – لا يستطيع أن يبتّ فى الأمور الكبيرة إلا بعد أخذ فتوى من شيخ الإسلام، والمفتى الأكبر، وحينما أراد بعضهم أن يفتك بغير المسلمين أبى رجال الشرع، وقالوا: هؤلاء أهل ذمة لهم مالنا وما عليهم علينا، فتراجع السلطان عن ذلك .. ظل الأمر على ما هو عليه إلى أن ضعفت الدولة العثمانية وخضعت لضغوط الغربيين عليها.

**● توافر للعثمانيين عنصر القوة فلماذا لم يستطيعوا استمرار القيادة للأمة الإسلامية، ولم يمثلوا نموذجاً للتعامل مع الغرب ؟**

– القيادة – كما قال شيخنا أبو الحسن الندوى – لا تتم إلا بأمرين: الجهاد والاجتهاد .. فالجهاد يمثل القوة العسكرية، والاجتهاد يمثل القوة العلمية والفكرية، ولقد أجاد العثمانيون العنصر الأول الجهاد، لكنهم لم يجيدوا العنصر الثانى، فقد غلب عليهم التقليد والعصبية، واتباع المتأخرين من العلماء، ولم يجددوا فى الدين، ولم يبتكروا فى الدنيا، ومن هنا تطور العالم من حولهم، وظلوا هم على حالهم إلى أن فوجئوا بتفوق أوروبة تكنولوجياً وعسكرياً وعلمياً، واضطروا إلى أن يأخذوا منها بعد أن كانوا فى مركز العطاء الأعلى .. وحين جاءت التجديدات والإصلاحات أخذوا من قوانين أوروبة ومن أنظمتها شيئاً فشيئاً .. لذلك ظل هناك قصور ونقص فى هذه القيادة، إلى أن ضعفت وصار الأوروبيون يسمونها (الرجل المريض)، وظلت أعناقهم مشرئبة وأعينهم متطلعة إلى تركة هذا الرجل المريض: متى تقسم ؟ إلى أن تم ذلك فى الحرب الأولى، وأنتهت دولة بنى عثمان تماماً حينما استولى أتاتورك على الدولة وألغى الخلافة وفصم ما بينه وبين العروبة والإسلام، وفصم ما بينه وبين الغرب فصلاً نهائياً، حتى الحروف العربية نفسها عاداها، حتى المظاهر التى تمثل نوعاً من

التقاليد المرعية عند الناس ! .. كل هذا أُلغى وفُرضت العلمانية على التشريع والتعليم والثقافة والتقاليد، حتى أصبح الحجاب ممنوعاً، وحُرِّم الأذان باللغة العربية.

من هنا نقول: إن النموذج العثمانى ليس هو النموذج الذى يحتذى فى هذه العلاقة، إنما ينبغى أن نختار لنا نموذجاً نقيمه على أساس من الشرع والموازنة بين المصالح والمفاسد، بين الدين والدنيا، بين الثواب والمتغيرات، وبين التراث والمعاصرة .. وهذا ما ينبغى أن تكون عليه الصلة بالغرب اليوم !

❖ ❖ ❖

# (١٢) تأسيس فقه الأقليات

**القرضاوى يروى حكاية مجمع فقهى جديد فى أوروبة يترأسه :**

- خمسون مليون مسلم ينتظرون حلّ مشكلاتهم الفقهية المعاصرة من المجلس الأوروبى للإفتاء.
- فقه الأقليات يعالج قضايا مسلمى الغرب المعاصرة.
- إذا روّجنا لإغلاق باب الإجتهاد وفكّرنا بعقول الأموات فلن تحل بالفقه مشكلة.
- الإجتهاد فى فقه الأقليات تجديد للدين الإسلامى.
- ثبوت الهلال بالرؤية شرط عدم نفى الحساب الفلكى لها فتوى للمجلس حلّت مشكلة بدء رمضان والعيد.
- المجلس يفتى بوراثة المسلم لغير المسلم، ويؤوّل النص الأصلى لمصلحة مسلمى أوروبة.
- نراعى تغير الزمان والمكان والحال فتتغير الفتوى فى الغرب عنها فى أوطان الإسلام.

❖ ❖ ❖

# (١٢) تأسيس فقه الأقليات

من بين جزئيات الفقه الإسلامى، وُجد الفقه الطبى، والفقه السياسى؛ حيث تناول الأول مسائل الصحة والمرض وعلاج الأمراض والمشكلات الخاصة بالطب ومستجداته، وتعلق الثانى ببناء الدولة ومؤسساتها الشورية والقضائية والتنفيذية والعسكرية، وموقف الدول من الديمقراطية والتعددية وغير المسلمين والسلم والحرب .. لكنّ فقهاً يعد جديداً بدأ يفرض نفسه على الاجتهاد المعاصر هو (فقه الأقليات)، وهو فقه له جذوره فى الفقه الإسلامى لكنه وجد بصورة غير منظمة، مجملة غير مفصلة، كما أن صورته هذه جاءت مناسبة لعصرها وبيئتها .. هل يقف الفقيه المعاصر على هذه الصورة القديمة وقد تغير العصر والمكان، ونشات قضايا ومشاكل لم تخطر فى بال أهل الفقه من قبل ؟ هذا ما سوف يتناوله د. يوسف القرضاوى فى حلقة اليوم، مركزاً على طبيعة فقه الأقليات كفقه مكتمل الملامح، والذى حاول من خلال المجلس الأوروبى للإفتاء والبحوث أن يعالج قضايا المسلمين فى الغرب:

## جذور النشأة

**● كيف نشأ المجلس الأوروبى للإفتاء والبحوث وما هى مبررات وجوده فى الغرب ؟**

- لم يقف أثر الصحوة الإسلامية المباركة عند حدود العالم الإسلامى، بل امتدت أضواؤها وآثارها إلى خارجه، حيث توجد الأقليات والجاليات الإسلامية. وقد تجلّى ذلك بوضوح فى ديار الغرب، وفى أوروبة خاصةً، فقد كان فيها ملايين من أهل البلاد الأصليين يعيشون فى شبة عزلة عن أمتهم الإسلامية، وكان بعضهم مكتومى الأنفاس وراء الستار الحديدى أيام سطوة الشيوعية، كما كان المهاجرون الأُول الذين غادروا أوطانهم فى دار الإسلام طلباً لعيش أرغد، ورزق أوسع أو أسهل، قد ضاع كثير منهم فى المجتمعات الجديدة وذابوا فيها تماماً .. ثم اتسعت الهجرة، وزاد عدد المهاجرين تبعاً لتطورات حدثت فى العالم كله، فنهاك من هاجر طلباً للأمن، وفراراً من الاضطهاد فى بلده، ومن هاجر للدراسة، أو للعمل.

وأصبح فى أوروبة الشرقية والغربية من أهل البلاد الأصليين ومن المهاجرين نحو خمسين مليوناً، ولم يكن غريباً أن تدركهم الصحوة التى أدركت إخوانهم داخل الوطن

الإسلامى، وأن يشعروا بهويتهم الإسلامية، وأنهم جزء من أمة القرآن وأتباع محمد ﷺ، وأثَّر ذلك بلا ريب فى وعيهم وسلوكهم، وطفقوا يعودون إلى أمتهم ورسالتهم من جديد.

ومن هنا بدأ التفكير فى تجمع وتساند وتفاهم هؤلاء المسلمين، وبدأ التعاون لبناء المؤسسات التى تحتاج إليها الجماعة المسلمة، والتى تحفظ عليها شخصيتها دون عزلة أو انغلاق، فأنشئت المساجد للعبادة، والمدارس للتعليم، والأندية للتوجيه والترفيه، وأقيمت المخيمات، وعقدت المؤتمرات ... وفكر المسلمون فى أوروبة فى استكمال المؤسسات التى لا تستغنى عنها المجتمعات الإسلامية فى أى مكان، فكان من ذلك تأسيس (اتحاد المنظمات الإسلامية فى أوروبة) الذى كان ثمراته إنشاء الكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية فى فرنسة، وقد خرَّجت أول دفعة منها مؤخراً، ومثلها ينشأ الآن فى بريطانية .. وكان من ذلك أيضاً إنشاء المجلس الأوروبى للإفتاء والبحوث.

## توحيد الفتوى

**● ممن يتكوَّن هذا المجلس وما هى مهمته بالتحديد ؟**

- يتكوَّن المجلس من عدد من العلماء الذين يتصدون للفتوى فى المراكز الإسلامية الهامة فى أوروبة، إلى جوار عدد من العلماء الذين يعيشون داخل الوطن الإسلامى لكنهم مهمومون بأمر إخوانهم فى أوروبة، يترددون عليهم ويعرفون ظروفهم وأحوالهم .. ومهمة هذا المجلس هى محاولة توحيد الفتوى فى ديار الغرب قدر الإمكان ومنع البلبلة والصراع الفكرى حول هذه الأمور، ما وجد إلى ذلك سبيل، وذلك عن طريق التشاور والبحث المشترك والاجتهاد الجماعى الذى أصبح اليوم فريضة وضرورة .. كما يراد أن يكون هذا المجلس (مرجعية دينية معتمدة) لدى السلطة المحلية فى كل بلد، وهو ما يقوِّى شأن الجاليات الإسلامية ويشد أزرها.

**● ألا يمكن لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف والمجمع الفقهى لرابطة العالم الإسلامى أن يقوم بدور المرجعية الدينية ؟ إن المجلس الأوروبى يبدو منافساً لهذه التجمعات أو بديلاً لها !**

- ليس هذا المجلس منافساً أو بديلاً للمجامع الإسلامية الأصلية والكبيرة فى عالمنا الإسلامى، مثل مجمع البحوث أو المجمع الفقهى الذى ذكرتهما، أو مجمع الفقه الإسلامى المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامى، بل هو مكمل لعملها فى هذا الميدان الذى عُنى به

وتخصص فيه وهو فقه الأقليات .. ومن يعيش خارج ديار الإسلام ومجتمع المسلمين يستيقن أن هذه المجتمعات لها من المشكلات ما يجعلها فى حاجة إلى مجلس خاص بها .. والمجلس ينتفع يقيناً بما يصدر عن هذه المجامع الكبرى من قرارات وما يقدم إليها من بحوث.

## ضرورة المجلس الأوروبى للإفتاء

**● لكن مسلمى أوروبة يمكنهم الانتفاع بالكليات الموجودة من قبل، فما هى ضرورة وجود كيان واحد ؟**

– قرر فقهاؤنا رحمهم الله أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان، وأعظم مظهر لتغير المكان هو اختلاف دار الإسلام عن غيرها، فالذى يعيش فى قلب المجتمع الإسلامى يجد من الأوضاع حوله – غالباً – ما يعينه على السلوك الإسلامى والالتزام الإسلامى، بخلاف من يعيش فى مجتمع مختلف تماماً .. ومن هنا كانت رسالة هذا المجلس: أن ييسر فى فتواه على هؤلاء ولا يُعسِّر، وإن يبشر فى دعوته ولا ينفِّر، وأن يستبقى الناس فى إطار الدين ولو بالحد الأدنى من الإسلام، وأن يفتيهم بالأيسر ولا بالأحوط، وقد قال الإمام سفيان الثورى رضى الله عنه: " إنما الفقه الرخصة من ثقة، أما التشدد فيحسنه كل أحد .. ".

وقد أكد ضرورة وجود المجلس الأوروبى للإفتاء والبحوث وجود بعض المتعالمين الذى حشروا أنفسهم فى زمرة أهل الفتوى، وصدرت عنهم فتاوى ضالة مضلة، تبيح للمسلمين أن يسرقوا أموال تلك البلاد التى آوتهم وأطعمتهم من جوع وآمنتهم من خوف، وأن يستولوا عليها بكل ما يستطيعون: بالاختلاس أو بالتزوير أو بالغش .. فلا يدفعوا ثمن ما يستهلكون ولا أجر ما يستخدمونه، وهم يكذبون ليأخذوا من المعونات ما لا يستحقون، ويخونون من يتعاملون معه، ويغدرون به متى قدروا على ذلك .. فهؤلاء وصمة فى جبين الإسلام، وهم أشبه باليهود الذى استحلوا مال الآخرين، وقالوا كما ذكر القرآن: ﴿ **لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** ﴾ [آل عمران: ٧٥].

**● ألا يمكن إحداث شىء من التطوير للمؤسسات الفقهية الموجودة لتلبى حاجة مسلمى أوروبة بدلاً من إنشاء المجلس الأوروبى للإفتاء والبحوث ؟**

– إن مجلسنا هذا مجلس متخصص، وتظل المجالس المتخصصة مطلوبة، فلا تستطيع المجامع أن تخصص من أوقاتها ومن دوراتها ما يعالج مشاكل الأقليات المسلمة فى ديار الغرب .. فالحاجة التى تُنزَّل منزلة الضرورة هى التى دعت الأخوة فى أوروبة إلى أن ينشئوا مثل هذا

المجلس .. فهم الذين أنشؤوه ولم يفعلوا ذلك اعتباطاً ولا عبثاً، ولكن كى يحقق مطالب لهم ويسد حاجات لديهم.

## دور ترشيد الصحوة

**● إذاً يمكن اعتبار المجلس الأوروبى للإفتاء والبحوث مؤسسة تُرشِّد مسيرة الإسلام فى الغرب ؟**

- نعم، إنه يرشِّد المسيرة الإسلامية فى الغرب، ويسكت الأصوات المتطاولة بالباطل، ويعمل على حل مشاكل المسلمين فى ضوء الشريعة السمحة الغراء، لقد أفضت الفتاوى الجاهلة إلى إساءة سمعة الإسلام وأهله، وأضرت بالجاليات الإسلامية أبلغ الضرر، وهى تصور المسلمين بصورة حرب العصابات التى لا تؤمن بقيم ولا أخلاق، ولا تعترف بعهد ولا ميثاق، فهؤلاء هو الرؤوس الجُهَّال الذين وصفهم الحديث الصحيح؛ إنهم إذا سئلوا: " أفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا ". وقد أفضت هذه الفتاوى إلى أن دخل بعض المسلمين السجن متهمين بالسرقة أو الإختلاس ونحو ذلك، وأشد خطراً من ذلك إفتاء هؤلاء لأفراد المسلمين باستباحة قتل أهل البلاد التى يعيشون فيها آمنين، وإذا تبطلوا عن العمل أو ظهرت لهم حاجة صرفوا لهم من المعونة ما يساعدهم على العيش: **﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ ﴾** [الرحمن: ٦٠].

**● هل يقف فقيه الأقليات إذاً على ركائز تراعى أكثر من غيرها فى أنواع الفقه الأخرى ؟**

- نعم، فإن الفقه الذى ننشده للأقليات المسلمة – ليحقق الأهداف والغايات المنوطة به – لا يتحقق إلا من خلال اجتهاد صحيح صادر من أهله فى محله، أما إذا روَّجنا مقولة إغلاق باب الإجتهاد وفكرنا بعقول الأموات من السابقين، ولم نفكر بعقولنا، فلن تحل بالفقه مشكلة .. وإذا كان الاجتهاد – كما أرى – فريضة وضرورة: فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، فالإجتهاد هو الذى يُبرز خصوبة الشريعة وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان.

## نوعا الاجتهاد

**● أى أنواع الاجتهاد تعنى: ترجيحى أم إبداعى ؟**

- الاجتهاد الذى نريده منه ما هو ترجيحى انتقائى، ومنه ما هو إبداعى إنشائى، فأما الاجتهاد الانتقائى والترجيحى فهو الذى يختار من تراثنا الغنى من الأموال والآراء المتعددة أرجحها ميزاناً وأولاها بتحقيق مقاصد الشرع، ومصالح الخلق، فإذا ذكر ابن القيم تسعة أقوال فى شأن المرأة إذا أسلمت ولم يسلم زوجها، فالإجتهاد المطلوب هنا أن نختار قولاً من هذه الأقوال نجده أقوم قيلاً، وأهدى سبيلاً .. وأما الاجتهاد الإبداعى والإنشائى فهو يتعلق بالمستجدات فى أمور الحياة، وقد امتلأت حياتنا المعاصرة بمئات — بل بألوف — من المسائل الجديدة، التى لا يمكن أن نجد لها جواباً مباشراً فى تراثنا الفقهى القديم. وهذا أمر طبيعى، لأن التطور الذى حدث فى عالمنا المعاصر تطور هائل فى كِمِّه وفى نوعه، وهو تطور لم يكن يخطر ببال أحد من الأئمة الماضيين حتى يتخيل له حلاً.

**● هل مرَّ الفقه الإسلامى عبر تاريخه بشىء من التغير الواضح طبقاً لتغير الزمان أو المكان ؟**

- لقد رأينا الخلاف ما بين أبى حنيفة وصاحبيه، كثيراً ما فسره علماء الحنفية بقولهم:

هذا اختلاف عصر وزمان، وليس اختلاف حجة وبرهان، برغم قصر المدة ما بين أبى حنيفة وصاحبيه — مات أبو حنيفة سنة ١٥٠ هـ، ومات أبو يوسف سنة ١٨٢ هـ، ومات محمد سنة ١٨٩ هـ - كما غيِّر الشافعى مذهبه من قديم إلى جديد وهو لم يعش أكثر من ٥٤ سنة قمرية ( ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفى سنة ٢٠٤ هـ).

أقول: إذا كان الفقه كله يحتاج إلى الاجتهاد بنوعيه الانتقائى والإنشائى، فإن فقه الأقليات أشد حاجة للظروف التى تعيشها الأقلية بين ظهرانى أكثرية تخالفها فى الدين، وبالتالى فى الكثير من المفاهيم والسلوكيات والتقاليد .. وهذا الاجتهاد إنما هو جزء من التجديد الذى حدثنا عنه النبى ﷺ حين قال: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها ".

# تجدد الدين وتجديد الفقه

**● ماذا تعنى بتجديد الدين وتجديد الفقه ؟**

- التجديد للدين يشمل تجديد الفقه فيه والفهم له، وتجديد الإيمان به، والالتزام بتعاليمه، والدعوة إليه بلسان القوم والعصر حتى يبين لهم، ولا يتجدد الفقه والفهم للدين إلا باجتهاد معاصر قويم.

**● استطاع المجلس الذى تترأسه أن يحل مشكلة دخول شهر رمضان، والتزم مسلمو أوروبة ببدء دخول الشهر طبقاً لفتوى المجلس رغم اختلاف بدء رمضان ما بين دولة واخرى من الدول التى ينتمى إليها بعض المسلمين فى أوروبة .. كيف حدث ذلك؟**

- قرر المجلس بعد استعراضه للأبحاث المقدمة وبعد المداولة المستفيضة ما يأتى: يثبت دخول شهر رمضان أو الخروج منه بالرؤية البصرية؛ سواء أكانت بالعين المجردة أم بواسطة المراصد، وإذا ثبت فى أى بلد إسلامى بطريق شرعى معتبر، عملاً بالأمر بالنبوى الكريم الذى جاء به الحديث الصحيح: " إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا ".

وهذا بشرط ألا ينفى الحساب الفلكى العلمى القطعى المعاصر إمكان الرؤية فى أى قطر من الأقطار، فإذا جزم هذا الحساب باستحالة الرؤية المعتبرة شرعاً فى أى بلد، فلا عبرة بشهادة الشهود التى لا تفيد القطع، وتحمل على الوهم أو الغلط أو الكذب، وذلك لأن شهادة الشهود ظنية، وجزم الحساب قطعى، والظنى لا يقاوم القطعى، فضلاً عن أن يقدّم عليه باتفاق العلماء.

**● ماذا تعنى بالحساب الفلكى ؟**

- لا نعنى بالحساب الفلكى علم التنجيم المذموم والمرفوض شرعاً، كما لا يعنى به المدون فى الرزنامات المعروفة فى البلاد الإسلامية كما قد يتوهم بعض أهل العلم الشرعى، إنما نعنى به: ثمرة علم الفلك المعاصر القائم على أسس رياضية علمية قاطعة، والذى بلغ فى عصرنا مبلغاً استطاع به الإنسان أن يصل إلى القمر والكواكب الأخرى، وبرز فيه كثير من علماء المسلمين فى بلدان شتى.

## جواز القرض الربوى

● **أنتم تحرمون التعامل مع البنوك التقليدية وترون فوائدها رباً محرماً، كيف أجزتم فى المجلس الأوروبى للإفتاء جواز القرض الربوى لشراء مسكن ؟**

– بحث المجلس هذه القضية وأتخذ فيها رأياً بالأغلبية، وهو إجازة هذا الأمر لمن لا يملك بيتاً، ومن يحتاج إلى بيت ولا يستطيع أن يشترى بيتاً لعدم توافر السيولة عنده، فليأخذ هذا البيت عن طريق القرض للحاجة التى تنزل منزلة الضرورة، سواء أكانت هذه الحاجة تمثل حاجة الفرد أم حاجة المجموعة الإسلامية، فهى تحتاج إلى هذا، حيث تستطيع المجموعة الإسلامية أن تأخذ بيوتاً – إذا أجزنا لهم هذا الشراء – فى منطقة معينة متقاربة، قريبة من المسجد ومن المركز الإسلامى، ومن المدرسة الإسلامية، فهذا يعينهم على حُسْن تربية أولادهم، وتعينهم على العمل الإسلامى المشترك، وترفع من مستواهم فتقل الجرائم بينهم، فللأسف تكثر الجرائم عند بعض أبناء الجالية الإسلامية فى بعض البلاد لأنهم فقراء ولا يملكون مساكن ومتفرقون مبعثرون، فشراؤهم لبيوت بهذا الشكل يعينهم على معرفة الإسلام الصحيح وان يكوّنوا صورة حسنة وطيبة للمسلمين فى هذه الديار.

● **لكنكم بذلك أجزتم التعامل مع البنوك بالفوائد الربوية ؟**

– لقد أكدنا فى الفتوى الصادرة فى هذا الأمر على ما أجمعت عليه الأمة من حرمة الربا، وأنه من السبع الموبقات، ومن الكبائر التى تؤذن بحرب من الله ورسوله، وتؤكد ما قررته المجامع الفقهية الإسلامية من أن فوائد البنوك هى الربا المحرم، كما ناشد المجلس أبناء المسلمين فى الغرب أن يجتهدوا فى إيجاد البدائل الشرعية التى لا شبهة فيها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً؛ مثل بيع المرابحة أو تأسيس شركات إسلامية لتنشىء مثل هذه البيوت .. ودعا المجلس أيضاً التجمعات الإسلامية فى أوروبة إلى التفاوض مع البنوك الأوروبية التقليدية لتحويل هذه المعاملة إلى صيغة مقبولة شرعاً؛ مثل (بيع التقسيط) الذى يزاد فيه الثمن مقابل الزيادة فى الأجل، وقد نجح بعض التجمعات فى اجتهادهم مع البنوك الأوروبية حينما عرفت هذه البنوك أن هذا الأمر سيجلب عليهم عدداً من المتعاملين، والأمر تحويل بسيط يقوم به البنك ابتعاداً عن الأمر المحرم.

● إنكم هنا أحللتم فى الغرب ما حرمتموه فى الشرق ؟

- لماذا أنشىء هذا المجلس ؟ لقد أنشىء ليراعى الزمان والمكان والحال، وهذا ما قرره علماؤنا من قديم؛ بأن الفتوى تتغير بتغير موجباتها ومن موجباتها، تغير المكان، وتغير أحوال الإنسان .. ولقد راعينا ظروف الناس فى هذه البلاد، واستأنسنا بالمذهب الحنفى الذى يجيز التعامل بالعقود الفاسدة خارج دار الإسلام إذا كان فيها مصلحة للمسلم، ولم يكن فيها خيانة ولا غدر بغير المسلم.

## المسلم يرث غير المسلم

● من القضايا التى أثيرت أمام المجلس مؤخراً قضية وراثة المسلم لغير المسلم: كيف توجهتم إلى جواز ذلك الميراث رغم وجود نص يعارض ذلك ؟

- إذا دخل رجل الإسلام وزوجته على غير الإسلام ثم ماتت جاءت المشكلة، أو دخل الأبن فى الإسلام ومات أبوه .. والقانون يورثهم، والرأى السائد فى المذاهب الفقهية الأربعة أنه لا توارث بين مسلم وكافر، وعلى هذا يرفض الأولاد أن يرثوا من آبائهم، وهذا من شأنه أن يحدث جفوة بين الآباء والأمهات والأولاد، حينما يقول الأبن لأبيه أو لأمه: أنا لا أرث منك إنك كافر وانا مسلم .. وليس من حسن المعاشرة ولا من بر البنوة للأبوة أن يواجه الأبن أباه بمثل هذا الموقف.

لذلك وجدنا من علماء السلف ومن الصحابة ومن التابعين من أجاز أن يرث المسلم من غير المسلم، وشجع هذا وأيد هذا الرأى ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم، وقالوا: إن هذا مما يُرغب الناس فى الإسلام، فإذا وجد أن الإسلام سيحرمه من ميراث أبيه فقد لا يتشجع لدخول الإسلام، وقالوا: إنه يمكن أن يؤول الكافر بالحربى كما أوّله الحنفية فى قولهم: لا يُقتل مسلم بكافر، وقال ابن القيم: تأويل الكافر بالحربى فى الميراث أولى لأن القطعية تامة بينهما فكيف يرثه ؟ فأخذنا بهذا وحللنا مشكلة كبيرة وقلنا: إذا كنت لا تريد أن تأخذ هذا المال على سبيل الميراث فخذه على سبيل الوصية، أو خذه للمجموعة الإسلامية التى هى محتاجه؛ ففيها من الفقراء والذين لا يجدون القوت أو المدرسة التى تعلمهم، فأنفقه فى هذه الوجوه من الخيرات.

❖ ❖ ❖

# (١٣) تيسيرات فقه الحج

**د. القرضاوى يجدد فقه الحج عبر تيسيرات هامة :**

- كثرة حجاج التطوع إيذاء لكثير من المسلمين.
- لو فقه المسلمون دينهم حقاً لأطعموا الجائع وكسوا العريان بدلاً من حج النافلة.
- تحديد أعداد حجاج السعودية أولى من تحديد حجاج الدول الإسلامية.
- كوارث رمى الجمرات تتكرر، والحل في جواز الرمي قبل الزوال.
- التأسي بالنبيّ ﷺ فى المبيت بِمنى مطلوب طلب استحباب وليس طلب وجوب.
- من خرج من عرفات قبل الغروب ليس عليه دم وحجه تام.
- أتقيد وألتزم وجوباً بكتاب الله وسنة رسوله بموجب عقد الإيمان.
- إجماع العلماء إجماعاً متيقناً ألتزم به ما لم يكن الإجماع مبنياً على ظرف أو وضع لم يعد قائماً.
- عبادة الحج أحوج العبادات إلى فقه التيسير نظراً لمعاناة الناس وقلة وعى الحجاج .

❖ ❖ ❖

# (١٣) تيسيرات فقه الحج

في كل عام تتزايد أعداد الحجاج إلى بيت الله الحرام، والمكان هو المكان، رغم كل التوسعات، والزمن لا يمتد، فلكل شعيرة وقت، وفي كل ساعة أداء معلوم لشعائر الركن الخامس من أركان الإسلام.

وكلما تقدم الزمن زادت الأعداد واستعصى على المسلمين أداء الفريضة، ولا يقف الفقيه المعاصر أمام ذلك كله عاجزاً، فالأصل في الدين هو التيسير.. هنا يبدأ د. يوسف القرضاوى حواره بتقرير جانب اجتهادي هام في القضية، قبل أن يقدم اجتهاداته في أعمال الحج وكيفية تيسيرها على المسلمين.

يقول: كثرة الحجاج المتطوعين إيذاء لكثير من المسلمين من شدة الزحام، مما يترتب عليه غلبة المشقة وانتشار الأمراض وسقوط بعض الناس هلكى حتى تدوسهم أقدام الحجيج وهم لا يشعرون، أو يشعرون ولا يستطيعون أن يقدموا أو يؤخروا.

**● وما الحل ؟**

- الواجب تقليل الزحام ما وُجد إلى ذلك سبيل، خاصة الحجاج الذين حجوا قبل ذلك حج الفريضة، وربما حج كثير منهم مرات ومرات.

**● لكن بعض المسلمين يرى في أداء الحج نافلة فرصة للتطهر وشحن الإيمان ؟**

- إذا كانت مصلحة بعض الأفراد أن يتنفل بالحج مرات ومرات، وكان من وراء ذلك مفسدة عامة للألوف بل مئات الألوف من الحجيج، مما يلحقهم من الأذى والضرر في أنفسهم وأبدانهم — حتى هؤلاء المتنفلون أيضاً يتأذون من ذلك — كان الواجب منع هذه المفسدة بمنع ما يؤدى إليها وهو كثرة الزحام.

## أبواب الخير كثيرة

**● لكن من يحج نافلةً أو تطوعاً يسير في باب من أبواب الخير، فهل تغلق أمامه هذا الباب ؟**

- أبواب التطوع بالخيرات واسعة وكثيرة ولم يُضيِّق الله على عباده فيها، والمؤمن البصير هو الذى يتخير منها ما يراه أليق بحاله، وأوفق بزمانه وبيئته، فإذا كان فى التطوع

بالحج أذى أو ضرر يلحق بعض المسلمين، فقد فسح الله للمسلم مجالات أُخر، يتقرب بها إلى ربه دون أن يؤذى أحداً، فهناك الصدقة على ذوى الحاجة والمسكنة، ولا سيما على الأقارب وذوى الأرحام؛ فقد جاء فى الحديث: (( الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم ثنتان: صدقة وصلة ))، وقد تكون نفقتهم عليه واجبة، إذا كان من أهل اليسار وهم من أهل الإعسار، وهناك الصدقة على الفقراء من الجيران لما لهم من حق الجوار بعد حق الإسلام، وقد ترتفع المساعدة المطلوبة لهم إلى درجة الوجوب الذى يأثم من يُفرِّط فيه، وهناك أيضاً الإنفاق على الجمعيات الدينية والمراكز الإسلامية والمدارس القرآنية والمؤسسات الاجتماعية والثقافية التى تقوم على أساس الإسلام، ولكنها تتعثر وتتخبط لعدم وجود من يمولها ويعينها، على حين تجد المؤسسات التبشيرية مئات الملايين من الدولارات ترصد لها، ولإنجاحها فى سبيل التشويش على الإسلام وتمزيق وحدة المسلمين، ومحاولة إخراج المسلم عن إسلامه، إن لم يكن إدخاله فى النصرانية، فالمهم عندها هو زعزعة إسلامه وإن بقى بغير دين.

## الفقه الأعمق للدين

**● هل تعتبر توجيه المسلمين لأموالهم فى أبواب الخير الأخرى بدلاً من تكرار الحج يعد فقهاً أعمق للدين ؟**

- لو فقه المسلمون الذين يحجون للمرة السابعة أو العاشرة أو العشرين دينهم حقاً، وعلموا أن إطعام الجائع، وكسوة العريان، ومداواة المريض، وتعليم الجاهل، وتشغيل العاطل، وإيواء المشرد، وكفالة اليتيم، وإغاثة الملهوف.. أحب إلى الله تعالى من حج النافلة ما تزاحموا على الحج وتركوا هذه القربات العظيمة التى أراها فرائض على المسلمين قصَّروا فيها، وقد اتفق علماء المسلمين على هذه القاعدة : إن الله لا يقبل النافلة حتى تُؤدَّى الفريضة.. وقال الربانيون: " من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور ".

**● ألا يمكن حل مشكلة الزحام فى تطبيق أعداد الحجاج من كل دولة حسبما اتفق عليه فى منظمة المؤتمر الإسلامي ؟**

- لا أرى ذلك ملائماً الآن، فإن كثيراً من الأقطار تطالب بزيادة نصيبها لشدة الضغط عليها من الراغبين فى الحج، وتضطر هذه البلاد لإقامة (القرعة) بين طالبى الحج،

وأغلب هؤلاء يحجون لأول مرة، وإن كثيراً من الذين حجوا قبل ذلك يحجون أيضاً بطرق أخرى حتى يحققوا رغبتهم فى الوصول إلى الأراضي المقدسة لكنى أرى أن يحدد أعداد الذين يحجون داخل المملكة العربية السعودية، فهم يشكون جمّاً غفيراً وكمًّا كبيراً، وتستطيع السلطات فى المملكة بوسيلة أو بأخرى أن تقلل هذه الأعداد، وقد فعلت ذلك بالنسبة للمقيمين، وبقى أن تتخذ شيئاً مناسباً بالنسبة للمواطنين.. ليكون حجهم كل خمس سنوات.

## كوارث رمي الجمرات

**● فى مناسك الحج شغلت مسألة الكوارث المتكررة فى رمى الجمرات علماء المسلمين؛ فبعضهم يتشدد فى زمن الرمي فيصر على كونه بعد الزوال؛ مما يجعل وقته ضيقاً فيحدث الزحام ومن ثمَّ الكوارث مع ضيق المكان، ورأى آخرون مثل علاّمة قطر الشيخ عبد الله بن زايد آل محمود رحمه الله جواز الرمي قبل الزوال.. ما هو رأي فقه الوسطية فى تلك المشكلة؟**

- هذا الأمر فى غاية الأهمية، وهو منوط بأهل العلم والفقه فى الأمة، وهو أن نُوسِّع فى (زمن الرمى) ما وسع لنا الشرع فى ذلك، حيث لا نستطيع أن نوسع المكان، إذ المرمى صغير كما هو معلوم، ثم لابد أن يكون الرمي من مسافة قريبة حتى يقع الحصى فى المرمى ولا يصيب الناس فيؤذيهم، ومادام العدد كبيراً والمكان محدوداً فليس أمامنا إلا توسيع الزمان؛ وهو إجازة الرمى من الصباح إلى ما شاء الله تعالى من الليل.

**● هل يقف الدليل الشرعي مع هذه الرؤية ؟**

- أجاز الإمام أبو حنيفة الرمى يوم النفر من (مِنى) من الصباح، فيرمى، ثم يحزم أمتعته لينزل إلى مكة، وإذا كان معظم الناس يتعجلون فى يومين كما قال تعالى: **﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾** [البقرة : ٢٠٣]، فلم يبق إلا يوم واحد هو اليوم الثانى من أيام النحر.

وقد قال ثلاثة من كبار الأئمة بجواز الرمى قبل الزوال فى الأيام كلها، وهم عطاء فقيه مكة وفقيه المناسك وأحد فقهاء التابعين، وطاووس فقيه اليمن وأحد فقهاء التابعين، وهو وعطاء من تلاميذ حبْر الأمة عبد الله بن عباس، وكذلك هو رأي أبي جعفر الباقر من أئمة أهل البيت وفقهاء الأمة المعتبرين.. بل قال هذا بعض المتأخرين من فقهاء المذاهب من الشافعية والمالكية والحنابلة، وهو رواية عن الإمام أحمد، وهم لم يروا ما رأيناه من الزحام

وموت الناس تحت الأقدام، فكيف لو شهدوا ما شهدنا؟ لقد قرر المحققون من علماء الأمة أن الفتوى تتغير بتغيير الزمان والمكان وحال الإنسان، وكنا يؤمن بهذه القاعدة ويرددها ويعدها من محاسن هذه الشريعة، فما لنا لا نطبقها وهذا أوانها؟

ومما يؤكد أن هذه الملة حنيفة سمحة، وأنها قامت على اليسر لا على العسر، ولم يجعل الله فى هذا الدين من حرج، وأن رسول الله ﷺ قال: "يسِّروا ولا تعسَّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا"، وقال: "إنما بعثتم ميسِّرين ولم تبعثوا معسِّرين"، وما سئل فى حجة الوداع عن أمر فى الحج قدَّم أو أخَّر إلا قال للسائل: افعل ولا حرج.

وقرر العلماء عدة قواعد كلها ينفعنا فى هذه القضية، منها قولهم: التكليف بحسب الوسع. والمشقة تجلب التيسير. إذا ضاق الأمر اتسع. الضرورات تبيح المحظورات. لا ضرر ولا ضرار.

ومما يؤكد ذلك أن المقصود من الرمى هو ذكر الله تعالى، كما جاء فى الحديث: "إنَّما جعل رمى الجمار والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله". وكان النبي ﷺ يرمي الجمرة الأولى ويقف طويلاً يدعو الله سبحانه، وكذلك فى الجمرة الثانية: فهل يمكن أحد فى هذه الأمواج المتلاطمة من الزحام أن يقف ويدعو؟ وقد استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ قالوا: واليوم باتفاق يبدأ من الصباح بعد الفجر أو بعد الشمس. وقد رمى النبي يوم النحر جمرة العقبة فى الصباح، ورمى بعد ذلك بعد زوال الشمس وهو خارج لصلاة الظهر، ولهذا كان الرمى بعد الزوال سنة عنه ولكن لم يأت نهي منه عن الرمى قبل ذلك.

على أن الرمى ليس من أساسيات الحج، فهو يتم بعد التحلل الثانى من الإحرام بالحج، وتجوز فيه النيابة للعذر، وأجاز فقهاء الحنابلة أن يؤخر الرمى كله إلى اليوم الأخير. وكل هذا يدل على التسهيل فيه، وعدم التشديد. وأنا أستدلّ بما ذكره الشيخ ابن محمود من أدلة شرعية واعتبارات مرعية مستمدة من نصوص الشريعة السمحة وقواعدها الضابطة ومقاصدها الحاكمة فى هذه القضية، وإن كان مشايخ المملكة العربية السعودية وعلى رأسها المفتى الأكبر الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله قد عارضوه وردوا عليه منذ نحو (٤٠) عاماً، ولكني أرى الدليل مع ابن محمود، والضرورة توجب ترجيح فتواه.. وذلك فى رسالته: ( يسر الإسلام ).

## فقه المبيت بمِنى

**● مع كثرة الحجاج لم تعد (مِنى) تتسع لمليونين أو ثلاثة كل عام، هل يجزئ عن الحاج أن يرمى جمراته، لكنه يبيت بمكة أو جدة؛ أم يجب عليه أن يبيت بمِنى ليالى أيام التشريق ؟**

- السنة لمن أفاض يوم النحر أن يرجع إلى مِنى، لما روى عن ابن عمر أن النبى ﷺ أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمِنى، وقالت عائشة : أفاض رسول الله ﷺ من آخر يومه حين صلى الظهر، ثم رجع إلى مِنى فمكث بها ليالى أيام التشريق.

قال ابن قدامة فى (المُغنى) : وظاهر كلام الخرقى أن المبيت بمِنى ليالى مِنى — واجب — لقوله : ولا يبيت بمكة ليالى مِنى، وهو إحدى الروايتين عن أحمد.

وقال ابن عباس : لا يبيتنَّ أحد من وراء العقبة ليلاً، وهو قول عروة وإبراهيم ومجاهد وعطاء، وروى ذلك عن عمر بن الخطاب ﷺ، وهو قول مالك والشافعى.

والثانية (ليس بواجب) : رُوى ذلك عن الحسن، وروى عن ابن عباس : إذا رميت الجمرة فبت حيث شئت. قال : ولأنه قد حل من حجه، أى تحلل التحلل النهائى، فلم يجب عليه المبيت بموضع معين كليلة الحصبة (التى بعد أيام التشريق).

ولا شك أن الرسول ﷺ بات بمِنى ليالى أيام التشريق، وكان مبيته بها أمراً طبيعياً، لأنه لم يكن له ولا لأصحابه بيوت فى مكة، وهو محتاج إلى البقاء فى مِنى من أجل رمى الجمرات، فهو يبيت فى المكان الذى يسهل عليه الرمى منه، ومن هنا كان المبيت بمِنى أسهل عليه وعلى أصحابه، ليظلوا معاً فى تجمع إسلامى فريد بعد أداء المناسك، يرمون الجمرات ويذكرون الله فى أيام معدودات، ويأكلون ويشربون ويتمتعون بما أحل الله لهم من أشياء كان محظورة عليهم، ولهذا قال ﷺ، " أيام مِنى(أو أيام التشريق) أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى"، فمن لم يكن له حاجة ولا مصلحة فى ترك المبيت بمِنى فيسن له أن يبقى بها تأسياً بالنبى ﷺ، وهو تأسٍّ مطلوب طلب الاستحباب، وليس طلب الوجوب فيما أرى، ومن كانت له حاجة أو مصلحة فى عدم المبيت بمِنى فلا حرج عليه فى ذلك، إذ لا دليل يدل على الوجوب.

● **وكيف ترى قوله ﷺ " خذوا عنى مناسككم " ؟**

– لا يدل قوله ﷺ على أن كل أفعال الحج واجبة، ففيها الأركان والواجبات والمستحبات، والحديث المذكور أشبه بحديث: " صلوا كما رأيتمونى أصلى "، ومع هذا يوجد فى الصلاة ما هو فرض وما هو واجب وما هو مستحب. ومما لا ينازع فيه أحد أن فى مناسك الحج أموراً كثيرة من باب المستحبات؛ مثل الاغتسال للإحرام وصلاة ركعتين، والتلبية ورفع الصوت بها.

## مشكلة الدفع من عرفات

● **كيف يرى الفقيه المعاصر مسألة الوقوف بعرفات، وهل الخروج قبل الغروب يوجب الدم ولا يصح حج من فعل ذلك ؟**

– قال الإمام النووى فى كتابه ( المجموع) فى بيان مذهبه الشافعى ومذاهب العلماء:
" إذا وقف فى النهار ودفع قبل غروب الشمس، ولم يعد فى نهاره إلى عرفات : هل يلزمه الدم ؟ فيه قولان سبقا (الأصح) أنه لا يلزمه، وقال أبو حنيفة وأحمد: يلزمه، فإن قلنا: يلزمه فعاد فى الليل سقط عندنا وعند مالك، وقال أبو حنيفة وأبو ثور: لا يسقط، وإذا دفع بالنهار ولم يعد أجزأه وقوفه وحجه صحيح سواء أوجبنا الدم أم لا، وبه قال عطاء والثورى وأبو حنيفة وأبو ثور، وهو الصحيح من مذهب أحمد.. ومن المعاصرين قال العلامة الشيخ محمد أمين الشنقيطى فى تفسيره (أضواء البيان): والحاصل أن الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج إجماعاً، وأن من جمع بين الليل والنهار من بعد الزوال فوقوفه تام إجماعاً، وأن من اقتصر على الليل دون النهار فوقوفه تام لا دم عليه عند الجمهور خلافاً للمالكية القائلين بلزوم الدم، وأن من اقتصر على النهار دون الليل لم يصح وقوفه عند المالكية، وعند جمهور العلماء حجه صحيح.

ولكنهم اختلفوا فى وجوب الدم. وقال الشنقيطى رحمه الله: أما من اقتصر فى وقوفه على الليل دون النهار، أو النهار من بعد الزوال دون الليل، فأظهر الأقوال فيه دليلاً عدم لزوم الدم. وعلّق على ذلك صديقنا العلامة الشيخ عبد الله بن منيع : نظراً لما يعانيه حجاج بيت الله الحرام من المشقة والضرر البالغ نتيجة منعهم من الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة قبل غروب الشمس، ليتحقق أن الحاج وقف بعرفة فى النهار وفى جزء من الليل، حيث إن كثيراً من الحجاج لا يتيسر لهم الوصول إلى مزدلفة إلا بعد منتصف الليل، وقد لا

يصل بعضهم إلا بعد طلوع الفجر، حيث يفوت عليه نسك المبيت بمزدلفة، فضلاً عما يلاقيه هو ومن فى رفقته من النساء والولدان من المشقة والضرر فى الانتظار قبل الإفاضة من عرفة، وبعد ذلك فى التوقف المتكرر والتعرض لحوادث المرور.. إلى غير ذلك من أنواع الضرر والمشقات، وحيث إن المشقة تجلب التيسير، وأن مع العسر يسراً، وأن رسول الله ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، ونظراً إلى أن القول بوجوب الوقوف بعرفة إلى غروب الشمس محل اجتهاد ونظر بين أهل العلم، وليس للقول بوجوبه مستند صريح من قول أو فعل أو تقرير ممن له حق الأمر والنهى والإيجاب والاستحباب وهو رسولنا محمد ﷺ، وإذا كان الأمر على ما ذكر فإن من التيسير على حجاج بيت الله الحرام وعلى حكومتنا الرشيدة (يقصد حكومة المملكة العربية السعودية)، تمثلها أجهزة الأمن والمرور والرعاية الصحية والغذائية والإعلامية وغيرها، لا شك أن من التيسير الأخذ بقول من قال بجواز إفاضة الحاج من عرفة قبل غروب الشمس، إذ هو قول قوى قال بصحته ودفع الإيراد عليه، وأن الأخذ به لا يرتب على الحاج دماً.

● **بعد هذه الأقوال والتحقيقات والترجيحات كيف تنظرون أنتم إلى هذه المسألة ؟**

- أرى ركنية الوقوف بعرفة بعد الزوال، وهذا متفق عليه بين المسلمين، وسنية وصل النهار بجزء من الليل بأن يبقى الحاج إلى تيقن غروب الشمس، اقتداء بالنبى ﷺ وخروجاً من الخلاف، وأن هذا هو الأفضل لمن تواتيه ظروفه، ولا يشعر بحرج من البقاء إلى الغروب، وأرى جواز الخروج من عرفة قبل الغروب لمن احتاج إلى ذلك من الحجاج، وأُفضِّل أن يبدأ ذلك بعد العصر، للدفع إلى مزدلفة، ومزدلفة ليس فيها خيام، فينبغى أن يصل الناس إليها فى وقت ملائم، حتى لا يصاب الناس بضربات الشمس.

## لا دم والحج تام

● **هل من خرج قبل الغروب عليه دم؟**

- لا، ليس عليه دم، وحجه تام، كما دل على ذلك حديث عروة بن مُضَرِّس الطائى، الذى اتفقوا على قبول صحته، ولا سيما أن إيجاب الدماء فى مخالفات الحج مبنى على ما جاء عن ابن عباس : " إن من ترك نسكاً فعليه دم "، ولم يرد بذلك نص ملزم من كتاب أو سنة.

**• كيف توصل لفتواك الوسطية فى مثل قضايا الحج هذه، وما هى الأصول التى تحكم فقه التيسير لديك هنا ؟**

- هناك حقائق أساسية فى ذلك تعتمد على ما يأتى :

أولاً : إن الذى نتقيد به ونلتزمه وجوباً، هو كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وذلك بموجب عقد الإيمان: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [ الأحزاب : ٣٦ ].

ثانياً : ما أجمع عليه العلماء إجماعاً متيقناً - لا مدّعىً - فنحن ملتزمون به، لأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ما لم يكن هذه الإجماع مبنيًّا على ظرف أو وضع لم يعد قائماً.

ثالثاً : أن ما اختلف فيه العلماء فهو رحمة بالأمة، وسعة لها، ومن حق أهل العلم أن يختاورا من هذه الآراء المختلفة، ما هو أقوم قيلاً وأهدى سبيلاً، وهذا أمر تختلف فيه العقول والمدارك، ومن حيث النظر إلى الظواهر، أو إلى المقاصد، ومن حيث الميل إلى التيسير أو إلى التشديد.

رابعاً : إن هذا الدين قام على اليسر ورفع الحرج عن المكلفين، كما دلت على ذلك النصوص المتوافرة من القرآن والسنة، وأن الرسول ﷺ أمرنا بالتيسير لا التعسير، وقال : " إنما بُعثتم ميسرين، ولم تُبعثوا معسرين" ، وكان من أوصافه عليه السلام أنه ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً.

خامساً : إن هذا العصر الذى نعيش فيه أحوج ما يكون إلى التيسير، وإن عبادة الحج هى أحوج العبادات إلى فقه التيسير، لما يعانيه الناس من الزحام الهائل، وقلة الوعى فى الكثير من الحجاج، فكلما يسرنا على الناس أعنَّاهم على حُسن العبادة، وفى هذا خير كثير.

❖ ❖ ❖

## (١٤) التماس الوحدة : فى إيران

### د. القرضاوى وأسرار رحلته الشهيرة إلى إيران :

- حيثما ارتفعت المآذن أعتبر ذلك وطناً لى.
- الوحدة إيمان والتفرق كفر.
- يجب أن يبقى ما يختلف فيه علماء السنة والشيعة محصوراً عند أهل الاختصاص.
- الغرق فى بحر الجدل حول مسائل فى فروع الفقه خيانة للأمة.
- ليس عند الشيعة مصحف آخر غير ما نعرفه نحن أهل السنة.
- يجب تمثيل أهل السنة كأقلية فى مجالسكم النيابية كما نفعل نحن فى مصر مع الأقباط.
- فتوى الشيخ شلتوت بجواز التعبد بالمذهب الجعفرى تجذب علماء إيران الجعفريين.
- فتوى القرضاوى بزواج المسيار قاسم مشترك فى لقاءاته مع العلماء.
- لا يوجد مصحف آخر لدى الشيعة غير المصحف الذى نعرفه.
- الشيخ تسخيري يؤكد أن مناهج التعليم الإيرانية لم تعد تسب الصحابة بل تمجدهم.

❖ ❖ ❖

# (١٤) التماس الوحدة : فى إيران

فى إيران تؤثر جغرافيا المكان فى شخصية الدولة عبر تاريخ طويل، فإذا كانت إيران هضبة ممتدة الأطراف فى كل منطقة فيها جبل وهضبة ووديان، فإن كل إقليم فيها له طبيعة فكرية خاصة فيه شيخ هو إمام الجمعة، وله فهم وطبيعة نفسية، ويكاد ترامي الأطراف واختلاف الجغرافيا وتبدل المناخ يكون ذا أثر حقيقى فى فسيفساء الفكر والسياسة فى الدولة التى شدت الأنظار إليها، خاصةً فى عصر المثقف الرئيس د. محمد خاتمي.

منذ بدء الانفتاح بين الدولة الخاتمية، وإنشاء رابطة الثقافة الإسلامية، ونشاط المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، والدعوات تتوالى على د. القرضاوى لزيارة إيران، لكنه يؤخر ذلك، حتى كانت التلبية لأول مرة لهذه الزيارة فى يونيه ١٩٩٨م.. الزيارة غير عادية، ليست كزيارات الفقيه المعاصر لأى دولة أو لحضور أى ندوة، بل تمثل حدثاً هامًّا فى الشأن الإسلامى المعاصر : رغم أن الشيخ محمد الغزالى رحمه الله زار إيران من قبل وخطب الجمعة هناك، لكن فعالية زيارة القرضاوى تأتى فى ثوب ووقت آخرين.. رافقت د. القرضاوى بصورة شبه رسمية حيث انطلقت الرحلة من الدوحة واستمرت أكثر من عشرة أيام، لأكون الشاهد الوحيد على هذا الحدث التاريخى وأؤرخ له :

كان الداعى هو المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وهو امتداد لفكر التقريب الذى دعا له إمام شيعى المذهب هو تقى الدين القمنى من قلب القاهرة فى بدايات القرن العشرين، وأيده علماء الأزهر وأبرزهم الشيخ شلتوت شيخ الأزهر الذى أقاموا له احتفالاً فى طهران فى شوال الماضى.

فى مطار طهران تمتلئ قاعة كبار الزوار بممثلين لكثير من المؤسسات الرسمية والشعبية لاستقبال د. القرضاوى على رأسهم سماحة العلامة الشيخ محمد وأعظ زادة الخراسانى الأمين العام للمجمع العالمى للتقريب.. لكن فندق (آزادى) لم يترك دقائق للشيخ حتى يستريح : سفراء وعلماء ومفكرون.. ينتظرون لقاء الرجل، حتى امتلأ الصالون، بالزوار وباقات الزهور.

بدأت كلمات الوحدة تنساب فى مجلس يجمع د. القرضاوى بعلماء الشيعة : حيثما ارتفعت المآذن أعتبر ذلك وطناً لى، وحدة الأمة فريضة لازمة، وضرورة حاسمة، لكن المنطلق الفكرى الذى سعى لتأصيله بين اتجاهين مشحونين بتاريخ من الصراع الفكرى

والدموي كان القاعدة التى نسبت خطأ للإمام حسن البنا، وهى قاعدة لمدرسة المنار: الشيخ رشيد رضا تلميذ الإمام محمد عبده مفتى الديار المصرية فى بداية القرن العشرين، وهى [ فلنتعاون فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه ]، وهى قاعدة فكرية عظيمة تكفل لأبناء الأمة الواحدة القدرة على التماسك والحفاظ على أسباب الوحدة الإسلامية التى توجبها فرائض وضرورات عدة فى هذا العصر.

## محاربة الإلحاد قاسم مشترك

فى سعيه لما يمكن أن يتفق عليه مع علماء الشيعة كان د. عبد الكريم بى آذار الشيرازى رئيس جامعة المذاهب الإسلامية بطهران حاضراً، بمشاركة سماحة الشيخ إسحاق مدنى مستشار رئيس الجمهورية لشؤون أهل السنة؛ قال د. القرضاوى: "محاربة الإلحاد والانحلال والظلم والاستكبار، ومقاومة تخنث الرجال، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومحاربة إسرائيل، والوقوف مع قضية فلسطين قضية المسلمين الأولى، ونصرة المستضعفين فى كل مكان.. أمور نتفق عليها فلنتعاون فيها.. أما ما نختلف فيه فهو أمور جزئية يعذر بعضنا بعضاً فيها؛ فمن اجتهد فأخطأ فله أجر وهو مأجور فيه؛ معذور ومأجور".

فى لقاء العالم الشيعى المعروف آية الله محمد على تسخيرى رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية بوزارة الإرشاد والثقافة فى إيران، رحَّب بالشيخ د.القرضاوى قائلاً: " أنتم ذخر للأمة الإسلامية، قمة بذلت حياتها لجميع الأمة، ولم تشاركوا فى اختلافها، بل كان لكم دو مشهود فى وقف الحرب العراقية الإيرانية".

يعرف الشيخ تسخيرى بأنه العالم السنى فى إيران، رغم أنه شيعي المذهب فإنه يقدر أهل السنة ويعد قريباً منهم، ففى كل المؤتمرات الإسلامية العالمية يمثل الشيخ تسخيرى إيران فيعرف علماء المسلمين فى كل مكان.. وتعود صلته بالشيخ القرضاوى إلى نحو عقدين من الزمان.. يصفه القرضاوى قائلاً: " العلامة الفقيه، عرفت فيه العالم العامل المخلص، الداعية إلى الله، يتميز بسعة علمه وحسن خلقه وسماحة وجهه".

## مبادئ التقريب

فى هذا اللقاء وضع القرضاوى مبادئ التقريب بين المذاهب؛ فنظَّر لها قائلاً: " إن رب هذه الأمة واحد، وكتابها واحد، ونبيها واحد، وقبلتها واحدة، وشعائرها واحدة، وشريعتها واحدة، وآدابها ومصيرها وعدوها واحد، وقد أمر الله تعالى بالاتحاد والائتـــلاف،

ونهى عن التفرق والاختلاف فقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ونبّه سبحانه المسلمين على ما يوحد كلمتهم ويجمع صفهم، وهو الاشتغال بالدعوة والأمر والنهى قائلا: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وحذرهم من الوقوع فيما أهلك الأمم من قبلهم فقال: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وأضاف قائلاً: كما أمر رسول الله ﷺ بالاتحادى والترابط والتراحم والتعاضد فيما بين بعضهم وبعض، كما فى الحديث المتفق عليه: " المؤمن للمؤمن كالبنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضاً"، وشبَّك أصابعه وقال: " المسلمُ أخو المسلمِ لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ ".

وهناك الأحاديث التى حثَّت على الارتباط بالجماعة، وأن يد الله مع الجماعة، ومن شذَّ: شذَّ فى النار، وأن الذئب إنما يأكل من النغم الشاردة .. وكل هذه النصوص تؤكد أن وحدة الأمة فريضة لازمة، كما أنها ضرورة حاسمة، فهى فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، خاصةً فى عصرنا هذا.

## حديث الفرقة فيه نظر

وتعرض د. القرضاوى لحديث اشتُهر فى كتب السنة وكتب العقائد وكتب الفِرق، وقال: إن الناس اعتقدوا أنه حديث ثابت لا مطعن فيه لشيوعه وشهرته مع أن الشهرة لا تلزم الثبوت والصحة: ذلك هو حديث افتراق الأمة إلى فرق بين السبعين، كلها فى النار إلا واحدة، وهو حديث يوحى ظاهره بأن الفرقة أبدية فى الأمة، وأنها قدر مكتوب عليها لا فكاك منه، داعياً إلى بحث هذا الحديث بموضوعية وحياد من ناحية ثبوته، ومن ناحية دلالته إن ثبت.. وذكر أنه قام بهذا البحث بالفعل، حيث ذكر رواة الحديث وقال: إن التقوية بكثرة الطرق ليست على إطلاقها، فكم من حديث له طرق عدة ضعفه العلماء، وخصوصاً المتقدمين، كما يبدو ذلك فى كتب التخريج، والعلل، وغيرها، وإنما قد يؤخذ بها فيما لا

معرض له ولا إشكال فى معناه. وقرر بوجود إشكال فى ذلك، فى الحكم بأن التفرق قدر حتمى مكتوب على الأمة لا فكاك لها منه.

وكذلك الحكم بافتراق الأمة أكثر مما افترق اليهود والنصارى من قبل، وبأن هذه الفرق كلها فى النار إلا واحدة منها، وهو يفتح باباً لأن تدعى كل فرقة أنها الناجية وأن غيرها هو الهالك، وفى هذا ما فيه من تمزيق للأمة.

وطعن العلامة ابن الوزير فى الحديث عامة، وفى هذه الزيادة خاصةً " كلها هالكة إلا واحدة " لما تؤدى إليه من تضليل الأمة بعضها لبعض، بل تكفيرها بعضها لبعض.. وقال: على أن الحديث — وإن حسَّنة بعض العلماء كالحافظ ابن حجر أو صححه بعضهم كشيخ الإسلام ابن تيمية بتعدد طرقه — لا يدل على أن هذا الافتراق بتلك الصورة وهذا العدد أمر مؤبد ودائم إلى أن تقوم الساعة، ويكفى لصدق الحديث أن يوجد هذا فى وقت من الأوقات، قد توجد بعض هذه الفرق، ثم يغلب الحق باطلها فتقرض ولا تعود أبداً، وهذا ما حدث بالفعل لكثير من الفرق المنحرفة، فقد هلك بعضها ولم يعد لها وجود.

## الانشغال بالهموم مدعاة للاجتماع

وفى حواره مع علماء الشيعة فى طهران أكد د. القرضاوى على أن انشغال المسلم بهموم أمته يعد من المبادئ الأساسية للتقريب؛ فمما يوقع الناس فى حفرة الاختلاف وينأى بهم عن الاجتماع والائتلاف: فراغ نفوسهم من الهموم الكبيرة والآمال العظيمة والأحلام الواسعة، وقال: لا يجمع الناس شيء كما تجمعهم الهموم والمصائب الكبيرة والوقوف فى وجه عدو مشترك.

واعتبر — فى السياق نفسه — أنه من الخيانة لأمتنا اليوم أن نغرقها فى بحر من الجدل حول مسائل فى فروع الفقه أو على هامش العقيدة، اختلف فيها السابقون وتنازع فيها اللاحقون، ولا أمل فى أن يتفق عليها المعاصرون؛ فى حين ننسى مشكلات الأمة ومآسيها ومصائبها التى ربما كنا سبباً أو جزءاً من السبب فى وقوعها.

وعدَّد من هموم الأمة: التخلف العلمى التكنولوجى والحضارى، وهمُّ النظام الاجتماعى والاقتصادى، وهمُّ الاستبداد والتسلط السياسى، وهَمُّ التغريب والغزو الفكرى والثقافى، وهمُّ العدوان والاغتصاب الصهيونى، وهمُّ التجزئة والتمزق العربى والإسلامى، وهَمُّ التسيب والانحلال الخلقى، وهى هموم بلا ريب كبيرة وثقيلة، ونحتاج لمعالجتها إلى

تكاتف العقول لتفكر، والعزائم لتصم، والأيدى لتنفذ وتستغرق من الجهود والأوقات والأموال الكثير والكثير.

## المصحف هناك هو المصحف هنا

لكن د. القرضاوى لا يفوته مس مواطن القلق من علاقة أهل السنة بالشيعة ؛ فقد ذكر فى أكثر من مناسبة أن القول بوجود قرآن آخر غير القرآن الذى يعرفه المسلمون، لدى الشيعة قول مجرد من الحقيقة، بل إن قراءة القرآن فى إيران فى افتتاح أى مناسبة تتم بأصوات القُرَّاء المصريين المعروفين مثل الشيخ عبد الباسط عبد الصمد، والمنشاوى، والحصرى، كما أن المصاحف تكتب بقراءة حفص عن عاصم.. بدورى مددت يدى فى أكثر من مكان لأقرأ فى أى مصحف يمكن أن يخفيه عنى أهل إيران، فلم تقع يدى الفعل إلا على القرآن الذى نعرفه جميعاً نحن أهل السنة. وقد داعب د. القرضاوى علماء الشيعة كثيراً حين ذكر لهم هذه الحقيقة.

## الإمامة وسب الصحابة

لكن دعوى وجود مصحف آخر لدى الشيعة ليست هى الدعوى الوحيدة التى تؤسس للقلق — أو العداء — بين الشيعة والسنة، فهناك القضية الهامة وهى الإمامة، وقد دفع د. القرضاوى مراراً بالقول بأن غالب أهل السنة يؤمن بالمهدى المنتظر.. وقال : فقط يأتى ونحن نؤيده ؛ بيد أن قضية سب الشيعة لصحابة رسول الله ﷺ كانت من الدعاوى التى هاجم بها بعض أهل الاتجاهات الفكرة الإسلامية زيارتنا إلى إيران ؛ وقالوا : كيف تضعون أيديكم فى أيدى من يسب الصحابة ؟ بيد أن الشيخ محمد على تسخيرى رئيس رابطة الثقافة الإسلامية فى إيران (رغم أنه أقرب إلى المحافظين منه إلى الإصلاحيين) أكد لنا فى هذه الزيارة أن هذه الدعاوى قد اختفت تماماً فى المناهج التربوية الجديدة، بل وضعت مواقف تاريخية مجيدة لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وأكد تسخيرى على اهتمام إيران الإسلامية بأن تلقن لأبنائها هذه الصورة الجديدة للصحابة، بدلاً من الكراهية التى كانت موجودة.

## مشكلة جامع أهل السنة

أما أهل السنة فى إيران فقد اهتم د. القرضاوى بهم : ففى طهران كما هو معروف لا يوجد سوى جامع واحد لأداء فريضة الجمعة، وهو فى جامعة طهران، ولا يوجد لأهل السنة جامع واحد يؤدون فيه صلاة الجمعة التى ربما يجدون بديلاً -٠ فى ظل هذه المعاناة —

فى مدرسة من مدارس للسفارات الدول الإسلامية، وفى لقاء جمعنا مع عدد من سفراء الدول الإسلامية عبروا عن رغبتهم فى وجود مسجد لهم.

فى لقاءاتنا مع بعض المسؤولين الإيرانيين عبر د. القرضاوى عن هذا المطلب وأعاده فى ندوة القدس التى أقيمت بالدوحة فى أكتوبر من العام الماضى مجدداً.. كما طالب فضيلته بتمثيل الأقليات داخل إيران فى المجالس النيابية، وعنى خاصةً بضرورة تمثيل أهل السنة الأقلية فى تلك المجالس، بل وطالب بأن يكون هناك وزراء منهم.. وقال : نحن فى مصر لدينا الأقباط أقلية لكن هناك من يمثلهم، وهناك وزراء منهم فى المجلس النيابى؛ فلماذا لا تفعلون فى إيران مع أهل السنة ما نفعله نحن فى مصر مع الأقباط ؟ والسنة والشيعة مواطنون كما أن المسلمين والأقباط فى مصر مواطنون.

## الشمال الممتنع

بيد أن ضيق الوقت منع فرصة السفر إلى مناطق أهل السنة فى شمال إيران، ورغم عشق د. القرضاوى للجمال — وعشقى أيضاً — وحكايات الجمال فى شمال إيران ساحرة، فإن السفر إلى هناك لمسافة ١٣٠ كم يستغرق أكثر من خمس ساعات بالسيارة، وهو ما لا يتحمله د. القرضاوى، ورغم عرض الرئيس الأسبق رفسنجانى بتوفير طائرة خاصة للرحلة، فإن الجميع أكّد أن جمال الرحلة لا يتم إلا بالسيارة، وخروجاً من هذا الموقف جاء وفد من علماء السنة إلى طهران، وكان لقاء طيباً مع د. القرضاوى، تحدثوا عما فى نفوسهم وحملوا إليه كل الود والتقدير من أهل شمال إيران، وتطرق الحديث إلى عدد من القضايا العلمية، واعتبروا هذه الزيارة لإيران دعماً لهم وسنداً ومعيناً يقوى من ظهورهم، فهم قلة على كل حال وسط أهل المذهب الجعفرى.

## إيران خاتمى: الأمر مختلف

لكن الذى يجب ذكره هو الاعتراف بأن إيران فى عصر المفكر الرئيس — كما أطلق عليه — د. محمد خاتمى تختلف عن إيران قبله، فقد عيَّن الرئيس خاتمى ثلاثة من علماء أهل السنة مستشارين له؛ منهم الشيخ إسحاق مدني الذى كان معنا دائماً ومنصبه : مستشار رئيس الجمهورية لشؤون أهل السنة، والشيخ (شيخ إسلامى) وهو سنى كردى، وشيخ آخر شافعى المذهب.

لقد قرَّر د. القرضاوى هذه الخطوة للرئيس الإيرانى الذى التقى به لقاءً فكرياً استمر أكثر من ساعة — سوف نرصده فى الحلقة القادمة إن شاء الله -، وهو أمر يجب أن نشجع التوجه الإيرانى نحوه، حيث مضى زمن طويل لم يستطع أهل السنة فى إيران أن يرفعوا رؤوسهم، بل تعرض عدد منهم — خاصةً العلماء — للاغتيال على أيدى المتطرفين من الشيعة.. وهو أمر استهجنه علماء الشيعة أنفسهم خاصةً حين حملت الأنباء مقتل إمام سنى فى الساعات الأولى من وصولنا إلى طهران.

## فتوى الشيخ شلتوت

وإذا كان الشيعة فى إيران يعتزون كثيراً بالأزهر الشريف فى مصر، فإن اعتزازهم الأكبر يأتى منطلقاً من فتوى الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر، الذى أفتى فى ١٧ ربيع الأول عام ١٣٧٨م قائلاً : إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه أتباع مذهب معين بل نقول : إن لكل مسلم الحق فى أن يقلد بادئ ذى بدء أى مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدونة أحكامها فى كتبها الخاصة، ولمن قلّد مذهباً من المذاهب أن ينتقل إلى غيره — أى مذهب كان — ولا حرج عليه فى شيء من ذلك.. إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة، فينبغى للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته تابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه فى فقههم، ولا فرق فى ذلك بين العبادات والمعاملات.

## مجلة رسالة الإسلام

هذا وقد حرصت إيران فى الفترة الأخيرة على تحسين هذه الصورة حول علاقاتها بالمذاهب الأخرى خاصةً مع أهل السنة، وكان من ذلك إحياؤها لمجلة رسالة الإسلام والتى صدر العدد الأول منها فى يناير ١٩٤٩م من دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة، واستمر إصدارها حتى أكتوبر ١٩٧٢م، ثم أحيت وأعادت إصدار المجلة ويترأسها الآن د. محمد على آذر شب أستاذ الأدب العربى بجامعة طهران ومستشار إيران الثقافى حالياً فى دمشق وهى تصدر عن المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية الذى يضم فى مجلسه الأعلى علماء من مختلف المذاهب الإسلامية، وقد حددت أهدافه بالسعى فى سبيل تحقيق تعارف وتفاهم أكثر بين العلماء والمفكرين والقادة الدينيين للعالم الإسلامى فى المجالات

العقائدية والفقهية والاجتماعية والسياسية، ولاسعى لإيجاد تنسيق وتشكيل جبهة واحدة أمام التآمر الإعلامى والهجوم الثقافى لأعداء الإسلام، والعمل على إشاعة فكر (التقريب) بين الجماهير الإسلامية.

## المسيار يشعل الحوار

ومع شيوع ما يسمى بالزواج المؤقت (أو ما نعرفه نحن بزواج المتعة) فى إيران، فإن فتوى د. القرضاوى المعروفة بجواز زواج المسيار كانت القاسم المشترك فى الرحلة كلها، إذ كانت رغبة العلماء الشيعة كبيرة فى سماع أوجه الفتوى من صاحبها، خاصةً أن التقدير الكبير الذى حظى به القرضاوى هناك تمثل فى تقديم د. القرضاوى من قبل كبار العلماء هناك ليؤهم فى الصلاة، وقد داعبهم القرضاوى فوضع على سجادة الصلاة (ورقة منديل) قائلاً : إنكم لا تصلون على ما يلبس ويؤكل، وأنا أصلى على كل طاهر، لكنى لأضع هذا المنديل حتى تصح صلاتى على مذهبكم، ولا تعيدون الصلاة، وحتى لا يقول أحد: إنكم تصلون ورائى (تقية).

لكنهم أكدوا جميعاً بصحة صلاتهم خلف إمامهم الذين سألوه فى كل قضايا العالم الإسلامى، وكان بعضهم يتعجب من أن رأيه فى القضايا السياسية ورفضه الاستكبار الأمريكى وتأييده لإسرائيل هو رأيهم ! فكانوا يعلقون : لسنا وحدنا نغنى خارج السرب إذاً !.

❖ ❖ ❖

## (١٥) تنظير عبر الحوار الرئاسى

### د. القرضاوى فى أحضان الحضارة الفارسية :

- خاتمى للقرضاوى : وظيفة المفكرين أبعد من المذاهب الموجودة.
- القرضاوى لخاتمي : ينبغى أن يستشعر السنة والشيعة أن الثورة الإسلامية للأمة جميعاً.
- العبادة لا تتم والتقوى لا تكتمل إلا بالتوحد.
- ما دام للإنسان عقل وله حرية فكر وإرادة فلابد من الاختلاف.
- ثلاث وصايا لطلاب جامعة المذاهب الإسلامية (سنة وشيعة).
- العلم والشادور فى شوارع قم المدينة المقدسة : ظاهرة فريدة.
- علماء المجمع العالمى للتقريب فى حوارات دائمة مع القرضاوى.
- مرض القائد عى خامنئى يحول دون لقاء القرضاوى.

❖ ❖ ❖

# (١٥) تنظير عبر الحوار الرئاسى

وسط المدينة المزدحمة طهران يمر شارع ولى العصر: ستة وعشرون كيلو متراً، عن يمينه وعن يساره جدولان ينبعان من جبال طهران التى تبدو فى الأفق تكسوها الثلوج فى أشهر الصيف.. وينسجم طول الشارع مع اسمه – والأسماء مشكلة فى إيران – إذ ينتظر الشيعة فى إيران هذا الولى – أو المهدى المنتظر – الإمام الغائب منذ قرون حتى اليوم.. كما يربط هذا الشارع بين مناطق عدة تسكنها طبقات مختلفة من الأغنياء (المتكبرين فى الأرض)، والفقراء (البسطاء والعلماء والحكام)، كما لا يغيب عن الذهن سلطة التجار عبر (البازار) الذى يمكنه أن يقول رأيه فى مجريات أحداث عدة فى الشارع السياسى والشأن الاجتماعى.

وكما تلتف أشجار الشارع حين تلتقى، تمتد جذورها واضحة تطلب السقيا من الجدولين.. مثل ذلك كله فى دنيا الفكر وصراعاته والاجتماع وآفاقه والدين وجدلياته.

## مفكّر بدرجة رئيس

فى قصر الرئاسة الإيرانى كان هناك موعد، مع المفكر: الرئيس د. محمد خاتمى، لم أكن أطمع – عبر اللقاء – فى أن أبحث عن رؤية إيرانية فى السياسة الخارجية مع الشيطان الأكبر (أمريكة)، أو عن مشكلة الإصلاحيين وفلسفة التغيير والتحول داخل المجتمع.. تركز همى أن أحاور المفكر وأن أشهد لحظة تاريخية بين قطب الفقه الإسلامى المعاصر د. يوسف القرضاوى، والمفكر الرئيس د. محمد خاتمى الذى بدأ بكلمات عربية مرحباً بالضيوف، وموجهاً حديثه للقرضاوى، عبر مترجم حتى يتكلم بسرعة مستفيداً بالوقت: " إنكم تعدون من الجيل العزيز الغالى فى القرن العشرين الذى أطلق نداءه للعودة إلى الحقيقة، ونذكر هنا جهود الأفغانى ومحمد عبده وحسن البنا.. حيث تنادوا بالعودة إلى حقيقة الإسلام.. اليوم تقع المسؤولية على مفكرين مثل سماحتكم، نحن نرجع إلى الماضى لأن جذور هويتنا فيه، ولأن الوحى الإلهى أكبر من أن ينحصر فى الزمان والمكان، ولا يعنى الرجوع إلى الماضى أننا ننكر الحاضر والمستقبل، بل نرجع لنعيش على أسس هويتنا، نرجع لأسلافنا لنتبين الحقائق التى بيّنوها، ونحن نعتز ونفخر بسلفنا، لكن الطريف هو أننا نفرق بين أشكال الماضى والحاضر.. إن علينا أن نثبت ونبرهن أن الذى لدينا أعزّ مما يكون فى حوزة الآخرين، والمفكرون الإسلاميون فى عصرنا الحاضر يواجهون مسؤولية جمّة واقعة على عاتقهم.. وقد خطا سماحة إمامنا الغالى الخمينى خطوات جبارة وعظيمة فى هذا المجال.

وواصل خاتمى : وأعتقد أن طريق الدفاع عن الإسلام يكون من منطلق المناداة بعزة الشعب وسيادته على مصيره، والمناداة بالحرية، والإسلام فيما يتعلق بالأطر الفردية والاجتماعية يمكنه المحافظة على حرمة الإنسان، وهنا يأتى دور المفكرين الذين يؤمنون بعظمة الإسلام للقيام بهذا المفهوم، وأنتم بشخصكم تعدون من هذه الوجود المشرقة.

## دفاع عن الجوهر

لكن خاتمى تيقظ أنه أحد هؤلاء الذين يتحدث عنهم من المفكرين فقال: إن وظيفتنا أبعد بكثير من المذاهب الموجودة، حيث إن دفاعنا ينبع من جوهر الإسلام وهذا الجوهر يحتضن كل الفرق الإسلامية، ونسعى، نسعى جاهدين فى ظل نظام الجمهورية لخدمة الإسلام، فنعرف الشعب والمسلمين جميعاً حقائق الدين.

من جانبه تحدث د. يوسف القرضاوى فعبَّر عن سعادته بلقاء فخامة الرئيس واعتبر كلماته السابقة معبرة عن رؤية مستنيرة للإسلام وللواقع وقال: " إننا قلما نجد فى رؤساء المسلمين من يملك هذه الرؤية، ونحن نحمد الله أن هيأ لإيران من الرجال أمثال من ينظرون للوحى بأنه عصمة للبشرية، وأنه فوق الزمان والمكان مع أنه يراعيهما.. وقد سرنى فى كلامكم التمييز الواضح بين الشكل والجوهر فى فهم الإسلام فهناك أناس يتمسكون بالأشكال ولا يهتمون بالجوهر.. إذ يجب أن نهتم بجوهر الإسلام ونجمع الناس على ذلك، فإذا دخلنا فى الأشكال تفرقنا وضعفنا".

وأثنى القرضاوى على كلام خاتمى بشأن رعاية الإسلام لحرمات وكرامة الإنسان وقال: " أعداؤنا يريدون تصوير الإسلام على أنه غول يأكل البشر، لذلك أشد على يد الرئيس حينما أعلن أننا نمد أيدينا للعالم، فلسنا منغلقين ".

## ثورة للجميع

بيد أن القضية الأكثر أهمية فى اللقاء كما رصدته كانت قول القرضاوى: ((سررت بأن السيد الرئيس يعتبر الثورة الإسلامية فى إيران للمسلمين جميعاً، للسنة وللشيعة )). ونادى القرضاوى خاتمى قائلاً: (( نريد أن يستشعر الجميع أنها ثورة المسلمين جميعاً لا الشيعة فقط، وقد عرفت أنكم أنشأتم مكتباً لأهل السنة.. ولا شك أن طموحات ومطالب لابد أن تبحث لتزيل ما فى النفوس لنقول للجميع هذه ثورتكم)).

وشدد القرضاوى فى حديثه عن الثورة على أهمية ألا ينفصل الشعب عن الثورة، وأن تورث تعاليم الثورة الإسلامية للأجيال القادمة، فليس مهماً أن يعرفها جيل الثورة فقط الذى تربى على أيدى الخمينى، ثم تأتى الأجيال الجديدة بعيدة.. إذ يجب أن ينشأ جيل ربانى إسلامى جديد يحمل العبء، فلو ذهب الجيل الأول فمن يحمل المستقبل ؟ كما أثنى القرضاوى على تأييد الجمهورية الإسلامية فى إيران للقضية الفلسطينية حيث تبنت تأييد المجاهدين : حماس والجهاد، بينما استسلمت السلطة الفلسطينية للسلام الهزيل.

## العرب رصيد الثورة

وعن علاقة العرب بالثورة فى إيران عنى القرضاوى أن يكون هناك انفتاح أكبر على العرب، وتحل المشاكل القائمة بالاتصال الدائم لكى يكون العرب هم رصيد الثورة، والانفتاح على العالم يكفل لنا تعريف الناس بأن الإسلام ليس خطراً عليهم، بل دين محبة وسلام، وليس الإسلام هاوياً لسفك الدماء.. وقد سمى الله صلح الحديبية فتحاً.. واختتم كلماته لخاتمى بقوله: يدنا فى يدكم، قلبونا معكم، فى هذا الانفتاح على العالم وهذا المنطق الجديد فى مخاطبة العالم.

## أؤيدكم كل التأييد

بعدما علّق خاتمى مختتماً لقاء سجله التلفزيون الإيرانى واستمر قرابة الساعة قائلاً : "نحن فى أمس الحاجة لسماع ما يتفضل به علماؤنا، خاصةً أن الشخص الذى يتولى مسؤولية سياسية واجتماعية يكون فى حاجة إلى نصائح المفكرين.. وكل ما تفضلتم به أؤيده جميعاً، فإننا يجب أن نُعبِّر عن صورة الإسلام الذى يستوعب جميع الحقوق الإنسانية للمسلم وغير المسلم، فإننا نكون ناجحين إذا شكلنا حكومة إسلامية شاملة لجميع الفرق، إذ يجب أن يكون مواطنونا جميعاً — سنة وشيعة — مواطنين من الدرجة الأولى، ويدرك غير المسلم فى حوزة حكومتنا أن كرامته مأمونة.. ولا شك أن أعداءنا يستغلون المواقف ويستفيدون من الخلافات، ويجب أن نكون واعين حتى لا يستفيد الأعداء من خلافات تعد طبيعية.

## فى جامعة السنة والشيعة

لكن التوجه الخاتمى نحو إقرار الحقوق للأقليات خاصةً أهل السنة داخل الدولة، لم يبدأ بتعيين مستشاريه الثلاثة لشؤون أهل السنة فقط، بل قبل أن يترأس الدولة كان خاتمى عضواً فى المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، الذى تبلور جهده مؤخراً بإنشاء

جامعة المذاهب الإسلامية فى طهران، حيث أُقر نظامها العام فى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.. وإلى تلك الجامعة كانت زياراتنا:

تأسست الجامعة على ثلاث كليات هى : كلية فقه المذاهب الإسلامية لتدرس (الفقه الإمامى — الفقه الحنفى — الفقه المالكى — الفقه الحنبلى — الفقه الزيدى — الفقه الأباضى — الفقه الشافعى — الفقه الظاهرى)، وكلية علوم القرآن والحديث وتدرس : (علوم القرآن — علوم الرجال والتراجم — علوم الحديث — تاريخ الإسلام)، وكلية الكلام والعرفان وتدرس: (الكلام — الفلسفة — العرفان — الأديان)، لكن العمل بدأ فى الكلية الأولى فقط حيث يدرس مئة طالب أو أقل قليلاً.

حين التقيت بالدكتور عبد الكريم بى آزار الشيرازى حدثنى عن أهداف الجامعة فقال: تهدف جامعتنا إلى تربية جيل من العلماء والباحثين الذين يلمون بما فى المذاهب الإسلامية من تراث علمى وفقهى وفكرى، إضافة إلى إطّلاعهم على مذهبهم ليكونوا حلقة وصل بين جميع علماء المسلمين، وتربية دعاة يحملون التقريب فكرةً وعلماً وروحاً، ويعملون على نشره داخل وخارج إيران، وتربية قضاة قادرين على تولى القضاء فى المحاكم الحقوقية المدنية لجميع أتباع المذاهب الإسلامية، وتخريج أفراد أكْفاء للمراكز الثقافية والمستشاريات الثقافية خارج إيران.. وهى تمنح درجة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه.

وعن مجلس أمنائها قال: إنهم رئيس الجمهورية، والأمين العام للمجمع العالمى للتقريب، ووزير الثقافة والإرشاد، ووزير التربية والتعليم، ووزير الثقافة والتعليم العالى، واثنان من أعضاء الهيئة العلمية، ورئيس الجامعة، وتجمع طريقة الدراسة فى هذه الجامعة بين منهج الحوزات العلمية (الدراسات الإسلامية الحرة) والمنهج الجامعى المنظم.

فى كلمته الترحيبية اعتبر د. بى آزار القرضاوى مصباح البيوت والمكتبات فى إيران؛ بكتبه وأفكاره الحرة النابعة من الكتاب والسنة،" خاصةً فى مضمار الوحدة والبعد عن التفرق: (فأعداؤنا يخافون من إسلامنا وتوحيد صفوفنا، وأن يكون القرآن قانوننا ودستورنا). وبعد أن تلا أحد طلاب الجامعة آيات من القرآن الكريم مقلداً الشيخ المقرئ عبد الباسط عبد الصمد (الطالب شافعى المذهب) ، تحدث القرضاوى إلى الأساتذة والطلاب فذكرهم بنعمة الإسلام، ونعمة طلب علم الدين، وطالبهم بأن يعشيوا فى جو الحب والتسامح والإخوة.. وقال : نحن لا نريد هذا التعصب الأعمى، نريد انفتاحاً واستنارة والعيش فى جو ربانى

إنسانى أخلاقى روحانى، فنحن أمة إسلامية ذات شعوب: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

## قرآننا واحد

لكن التعليق الأهم كان من د. القرضاوى على قراءة القرآن فى أول الحفل إذ قال: " لقد تبين لنا أن الجعفرية (شيعة إيران) ليس عندهم قرآن يبدؤون به احتفالاتهم غير القرآن الذى نبدأ به احتفالاتنا، والآيات نفسها يبدؤون بها "، ثم طفق يوضح بعض معانى الآيات مؤكداً على أن العبادة لا تتم والتقوى لا تكتمل إلا بالتوحيد، مفسراً للآية الكريمة: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، أى: كونوا كلكم أمة، وقال: حتى لو كانت (من) تبعيضية، فيجب أن تعد الأمة كلها هذه الأمة، الفئة التى تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.. واعتبر فضيلته أن الدعوة إلى الإسلام يشغلها عن التفرق وهو ملمح هام.

واعترف د. القرضاوى فى جامعة المذاهب الإسلامية بإمكانية الاختلاف فى الآراء، لكن شرط ألا يؤدى ذلك إلى تفرق وعداوة، مستشهداً باختلاف الصحابة والأئمة فى الآراء والفقه، وقال: ينبغى أن نكون على نهج هؤلاء: فما دام الله أعطى كلاً منهم عقلاً يفكر به، وإرادة يرجِّح بها، ومادام قد أعطاهم حرية التفكير وحرية الإرادة، فلابد أن يختلفوا.. ثم أوصى الطلبة بأمور ثلاثة:

الأول: الحرص على التزود من العلم النافع، فلا تضيع الأوقات سدى، وذكهم بقول حسن البنا: يقول الغربيون: الوقت من ذهب، ونحن نقول: الوقت أغلى من الذهب وأنفس من الجوهر والماس، لأن الوقت هو الحياة وحذرهم فى هذا الإطار الذى يوصيهم فيه بعدم الانغلاق على باب علم، من التعلّم من الكتب وحدها فهى لا تُكوِّن عالماً.. كما حذرهم من العلماء الذين يفقهون النصوص ولا يفقهون الواقع الذين يعشيون فيه.

والوصية الثانية لطلبة الجامعة: حصرها د. القرضاوى فى العمل بما علم طالب العلم وقال: إن العلماء الذين أثّروا فى حياة الناس هم العلماء العاملون، واستشهد بأثر الإمام الخمينى فى إيران: فحين أحسنَّ الناس أنه رجل صادق، وأنه جاهد حتى حقق ما يريد انقاد له الناس، ولو علموا أنه من العلماء المنافقين الذين يسيرون فى ركب السلطان ويفرِّخون له الفتوى المطلوبة ما أطاعه الناس.

وأوصاهم فى الثالثة بالقيام بواجب تعليم الناس بما علموا، ودعوتهم إليه، واعتبر ذلك زكاة العلم؛ مستشهداً بأن من ملك النصاب فى المال وجب عليه دفع الزكاة، وكذلك من ملك النصاب فى العلم وجب عليه دفع زكاة هذا العلم، مقرراً أن كل مسلم هو صاحب دعوة، وإذا كان كل مسلم يجب أن يدعو إلى الله فكيف بطالب العلم؟! وبمن حصَّل علم الدين فى جامعة إسلامية؟!

## مع رفسنجانى

فى جانب رئاسى آخر كان لقاء مع الرئيس السابق للجمهورية فى إيران ورئيس مجلس صيانة الدستور الحالى الذى يصادق على صحة القرارات من حيث موافقاتها للدستور من عدمه: هاشمى رفسنجانى، ينتمى الرجل إلى أسرة تعمل بالتجارة فهو ثرى، ومع ذلك فهو رجل دولة وعلم دين، ترجم عدة أجزاء من تفسير فى ظلال القرآن لسيد قطب المفكر الإسلامى المصرى المعروف، وقد أبدى رفسنجانى إعجابه الشديد بفكر قطب، واجتهادات القرضاوى والإمام حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وتناول الحوار بين القرضاوى ورفسنجانى عدداً من قضايا الفكر والسياسة، بيد أن أهم ما انتهى إليه كان التأكيد على أهمية أن ينال أهل السنة حقوقهم فى إيران، ولم يكن ذلك يحتاج إلى تصريح، بل تكفى فيه الإشارة!

## فى قم : العلم فى الطرقات

فى قم التى تبعد عن طهران ١٣٠ كم نقلتنا سيارات التشريفات التى لا تفارقنا فى مدينة من المدن الإيرانية، وقد استقر بها الإمام الخمينى عام ١٩٢١م قادماً من أراك بعد تركه لمدينته خمين التى إليه ينتسب.. وحين نال منها الخمينى درجة الاجتهاد لم يكن قد تعدى الخامسة والعشرين.

فى تلك المدينة يعيش حوالى مليون نسمة، بها أكثر من مئة مدرسة دينية، تسمى (حوزة)؛ فى الحوزة المقدسة هناك ٣٠ ألف طالب علم من مختلف أقطار العالم الإسلامى قدموا — طبقاً للرواية الإيرانية — من (٨٤) قطراً.. فى كل مدرسة قاعات للتدريس وأقسام داخلية لإقامة الطلبة.. وتتنوع دراساتهم لتشمل الفقه والأصول وعلم الكلام والتوحيد والتفسير، وعلم الجرح والتعديل، وعلوم القرآن والفلسفة والأخلاق، ويوفدون علماء للتبليغ خارج إيران وداخلها، ويتجاوز إنتاجهم العلمى المئات من الكتب سنوياً فى شتى

حقول المعرفة.. ودار حوار هام بين د. يوسف القرضاوى والشيخ جواد الروحانى والشيخ محمد الأشرفى والشيخ الآصفى حول صلة القرضاوى الأولى بالإمام حسن البنا الذى يمثل سحراً خاصاً لدى كل أهل إيران من الرئيس خاتمى حتى أصغر طالب علم، نظراً لاهتمامه بمبدأ التقريب بين المذاهب وريادته فى مجال مقاومة الاستعمار وتحرير المسلمين من مادية الغرب، وبنائه لجيل جديد عبر إنشائه جماعة الإخوان المسلمين.

## تسنن الشيخ الشيعى

فى قم التى تشتهر ببعض الحلويات الخاصة بها، قدموا لنا وجبة الضيافة الخفيفة المعروفة فى صيف كل المدن الإيرانية: المشمش والبرقوق والخوخ إضافة إلى الخيار، لكن الخيار لابد أن يُقشَّر ثم يوضع عليه قليل من الملح الناعم.. وحين أكل مرافقنا حجة الإسلام السيد جلال ميرآغائى الخيار بقشره مرة واحدة كما نأكله نحن فى مصر؛ داعبه د. القرضاوى بقوله: لقد تسنن السيد جلال!

هناك بنيت مدرسة دينية حديثة تسمى مدرسة الإمام الخمينى بناها السيد على خامنئى خليفة الخمينى الحالى، هذه المدرسة لا يدخلها طالب علم إيرانى، بل يدرس بها ألف طالب علم من أنحاء العالم الإسلامى، ويقيمون بها إقامة داخلية، وقد زودت حجراتهم بمراجع إسلامية هامة لتسهل عليهم الدراسة، كما فرشت فرشاً ملائماً لطلبة العلم.. علّق د. القرضاوى على ذلك بقوله: متى يكون عندنا فى الأزهر مثل ذلك، وتعود إليه أوقافه لينفق على طلبة العلم إنفاقاً يناسب مقامه الهام فى العالم الإسلامى!

فى بدء اللقاء الذى حضره حوالى خمسة وعشرين عالماً كان الحديث ممتداً حول العلاقة بين الدين والسياسة، وتحدث الشيوخ السيد الربانى والحسينى المشيهرى ومحمد هادى معرفة وحسن الجواهرى، ويبدو أن أغلبهم حاصل على درجة عالية فى العلم ربما وصلت إلى حجة الإسلام، وأجمعوا على أن خطب القرضاوى التى يتابعونها تعد شواهد حية على أن الإسلام دين سياسة ولا انفصال بينه وبين السياسة، وقال الآصفى: إن المسلمين فى حاجة دائمة للقاءات التفاهم حول القضايا الأساسية التى تهم العالم الإسلامى.

الحق أن كل الحوارى تمتلئ بطلبة العلم فى قم، ولا ترى امرأة واحدة دون الشادور أو الحجاب الإسلامى الإيرانى.

## مشهد : ذهب فى ذهب

من قم إلى مشهد حيث يعيش (١٠٪) من سكان إيران، وتمثل (٢٠٪) من أرضها، يعيش فيها مليون و (٤٠٠) ألف مهاجر أفغانى، وبها مهاجرون من (٣٢) دولة، أيضاً يزورها كل عام (١٣) مليون زائر حتى يشاهدوا مقامات الأئمة الشيعة، مثل مشهد الإمام الرضا يزوره ٦ آلاف كل يوم، وبه مكتبة تحتوى على ٥٠٠ ألف كتاب مطبوع و٣٦ ألف مخطوط، الذهب على الحوائط فى المشهد من عيار ٢٤ كما أنه على الأسقف أيضاً، ورسم محمود فرشيان جسم الحسين بن على، كما رسم سورة الرحمن على سجادة، وقد أهدى على خامنئى مرشد الثورة مكتبة المشهد (٢٥٠٠) مخطوط، وكل ذلك لا ينفى جامعاتها المدنية أو صناعاتها؛ كالسجاد والفيروز والسكر والإسمنت والبتروكيماويات.. فللمدينة اكتفاء ذاتى خاصةً فى القوى الإنسانية.

## مع سلمان الفارسى

وإلى بلد الصحابى سلمان الفارسى: أصفهان، كانت زيارة بدأت بلقاء آية الله المظاهرى شيخ الحوزة العلمية وممثل السيد القائد، الذى ذكر أنه قارئ لكتبه خاصةً فقه الزكاة.. وطالب القرضاوى بأهمية دعوته للناس بإعلان البراءة من الاستكبار العالمى ونداء الوحدة الإسلامية، ومشيداً بابتعاد القرضاوى عن التعصب، منادياً بما اعتبره مصيبة للمسلمين وهو رفع الظلم عن أهل فلسطين والمسجد ألقصى.. لكن أصفهان تحتاج إلى شهر، لا أيامٍ للتعرف على إبداعات الحضارة الإسلامية بها، وما كان من صنع علماء الرياضيات فى ألوان مساجدها وقصورها وفن الصوت بها.

فى تلك الآونة اتصل آية الله محمد على التسخيرى بالإمام القائد خامنئى فوجده مريضاً لا يمكنه التحدث أصلاً، وكان حريصاً على لقاء د. القرضاوى، فالرجلان شاعران على الأقل لكن اللقاء لم يتم.

## لقاء ووداع

وإذا كان المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية — الداعى للزيارة — كان مرافقاً لنا عبر أكثر من عشرة أيام بممثليه وعلمائه وموظفيه الذين تناوبوا على تسهيل كل لقاء لنا، فإن حفلاً كبيراً دعا إليه المجمع ليلتقى فيه القرضاوى بكل علماء التقريب.. وقد حضر د. جعفر شهيدى أستاذ الأدب الفارسى والعربى بجامعة طهران وهو صديق قديم للقرضاوى،

والسيد هادى خسروشاه الذى يتهمه بعض الشيعة بأنه سنى، وحين أعلن ذلك قال القرضاوى: حين أعود سوف يتهمنى أهل السنة بأنى تشيعت! وحضر علماء السنة من شمال إيران: عبد الرزاق رهبرر بخارى، وعبد الجبار صداقة، وبصيرى نياه، وبرازندا وجلال جلالى زاده.. وأغلبهم من تركمان شمال إيران، وأسعد شيخ الإسلام أستاذ كرسى الشافعية بجامعة المذاهب ومستشار رئيس الجمهورية لشؤون السنة، وعباس زنجانى عضو مجلس الخبراء، ومصطفى دامات رئيس تحرير مجلة اطلاعات اليومية، وحجة الإسلام المحقق جعفر مرتضى.. وآخرون.

هذه هى ملامح الزيارة التى قام بها د. يوسف القرضاوى إلى إيران، وأثارت حولها جدلاً لم ينته بعد! رغم أنها انتهت بزيارة إلى مدينة شيراز وقبور شعرائها، وقبر أبى الأسود الدؤلى عالم النحو السنى!

❖ ❖ ❖

## (١٦) أفغانستان : استمرار الأزمة

**القرضاوى فى قلب الحدث الأفغانى :**

- التماثيل حرام لكنها لا تهدم إلا إذا تسببت فى فتنة الأمة.
- اتجه الإسلام إلى تحرير البشر أولاً ولم يهتم الفاتحون بهدم تماثيل ماقبل الإسلام.
- لا أحسب مصرياً واحداً ينظر إلى تمثال رمسيس أو آثار الفراعنة نظرة عبادة أو تقديس.
- علماء طالبان طيبون لكنهم يعيشون فى الماضى ولا ينتمون إلى الحاضر.
- نفت طالبان تجارتها فى الأفيون وأصدرت فتوى بتحريمه.
- تحريم تعليم البنات إشاعة ، ومنع تعليمهم يعود لأسباب مادية.
- (١٢٠٠) طالبة تدرس الطب والأساتذة منهم إنكليز.
- أناشد الأمم المتحدة أن تهتم بالبشر مثلما اهتمت بحماية التاريخ.

❖ ❖ ❖

# (١٦) أفغانستان : استمرار الأزمة

(٤٠٠) طفل أفغانى يموتون يومياً من البرد.

أطفال أفغانستان وأطفال فلسطين وأهلها يعانون الحصار.. فمن ينقذهم ؟

" بناءً على استشارات فقهية أجراها أمير الإمارة الإسلامية فى أفغانستان (القائد الأعلى لحركة طالبان) الملا محمد عمر، وعلى فتوى العلماء وقرار المحكمة الأفغانية العليا: تدمر جميع التماثيل فى مختلف مناطق البلاد.." ولماذا ؟

" لقد استخدم الكافرون هذه التماثيل فى السابق أصناماً وآلهة كانوا يعبدونها واليوم تحظى التماثيل نفسها بالاحترام ويمكن أن تعود من جديد أصناماً تعبد، بينما العبادة لا تكون إلا لله الواحد الصمد".

هذا هو نص مرسوم حركة طالبان التى تحكم أفغانستان والذى أقام استنكار علماء الدين الإسلامى والمثقفين فى أنحاء العالم.. فى قلب الحدث كان د. يوسف القرضاوى الذى طار على متن طائرة قطرية خاصة إلى قندهار موفوداً من دولة قطر رئيس منظمة المؤتمر الإسلامى، ومعه عدد من علماء الدوحة، وقد لحق بهم وفد مصر الذى ترأسه فضيلة د. نصر فريد واصل مفتى الديار المصرية، الذى كلفه الرئيس محمد حسنى مبارك بعد مناشدات دولية له بأهمية تدخل مصر.

## مهمة الوفد الإسلامى

فى حديثه للأهرام العربى حدد د. القرضاوى مهمة الوفد :

لم نذهب من أجل التماثيل، فقد علمنا أن طالبان انتهت من تدميرها أو تدمير (٩٠٪) منها قبل أن تقلع الطائرة من الدوحة، لكننا ذهبنا من أجل الأقليات الإسلامية فى آسية، ومن أجل مساندة المسلمين فى أفغانستان ومناصحتهم فى قضايا التعليم والإعلام والاقتصاد.. بصورة عامة لقد ذهبنا من أجل الحوار معهم.

● لكن ما هو موقف الإسلام من قضية التماثيل أصلاً ؟

– للإسلام حكم معروف فى إقامة التماثيل أو صنع (الصور المجسمة) وهو التحريم، الذى صحت به أحاديث نبوية كثرت واستفاضت واتفق عليها علماء الأمة السابقون، وإن اختلفوا فى الصور غير المجسمة (أو التى لا ظل لها حسب تعبيرهم).

● هل ينسحب ذلك الحكم على كل التماثيل الموجودة الآن فى العالم الإسلامى؟

– لا. هذا الحكم هو فى التماثيل التى يصنعها المسلمون بعد أن منَّ الله عليهم بالإسلام، وعرفوا منه الحلال من الحرام.. أما التماثيل التى صنعها الأقدمون قبل الإسلام، فهى تمثل تراثاً تاريخياً، ومادة حية من مواد التاريخ لكل أمة.

## تماثيل ما قبل الإسلام

● كيف يتعامل المسلمون مع هذه التماثيل التى صنعت قبل الإسلام ؟

– لا يجب تدميرها ولا تحطيمها، باعتبارها محرمات أو منكرات يجب تغيرها باليد، بل هى دلالة على نعمة الله تعالى على الأمة التى هداها الله للإسلام، وحررها من عبادة الأصنام.

● هل هناك دليل يُعَضِّد هذا الرأى ؟

لقد فتح المسلمون أفغانستان منذ القرن الأول الهجرى، وكانت فيه هذه الأصنام، ولم يفكروا فى إزالتها وتدميرها، وهم خير القرون من الناحية الدينية، كما كانوا أعظم قوة عسكرية فى العالم يومئذ، ومع ذلك وسعهم السكوت على هذه المخلفات الأثرية القديمة، فإن المهم عندهم هو تحرير العقول والأنفس من عبادة الله تعالى.. كذلك فتح المسلمون مصر فى عهد عمر بن الخطاب، وفيها معابد وآثار وصور شتى، فلم يشغل عمرو بن العاص ومن معه من الصحابة أنفسهم بإزالة آثار الوثنية المصرية فى المعابد، بل اتجهوا إلى تحرير البشر أولاً وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. كما أنه لا يخلو بلد فتحه المسلمون من بلاد

الحضارات القديمة من وجود آثار جاهلية فى معابده وقصوره التاريخية، مع هذا لم يهتم المسلمون الفاتحون — وهم خير منا اليوم — بمحوها وإزالتها، كما يفكر بعض المسلمين اليوم.

## الهدم حين الفتنة

**● فى رأيكم متى يحق لأحد هدم التماثيل والآثار التى أقيمت قبل الإسلام؟**

- يطلب هدم التماثيل وأشباهها إذا كانت من ورائها فتنة تخاف على أبناء الأمة، فالواجب حماية الأمة من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فلو كانت هذه التماثيل فى أفغانستان أو غيرها من بلاد المسلمين تُشَكِّل خطراً عليهم فى عقيدتهم، ويُخشى أن تفتن الناس عن عقيدة التوحيد، وتردهم إلى الوثنية القديمة التى حررهم الإسلام منها، لقلنا : يجب هدم هذه التماثيل وإزالتها، حفاظاً على عقيدة الأمة وتوحيدها.. ولكم من المؤكد أن المسلمين اليوم فى أفغانستان لا ينظرون إلى هذه التماثيل إلا أنها من آثار إبداع الأقدمين فى فن (النحت) ونبوغهم فيه.

## تمثال رمسيس أثر فرعونى

**● وكيف ترى (تمثال رمسيس) المنصوب فى أحد ميادين القاهرة اليوم ؟**

- ينظر المصرى المسلم إلى هذا التمثال إلى أنه مجرد أثر من آثار الحضارة الفرعونية القديمة التى تفننت فى صناعة هذه التماثيل، ولا أحسب أن هناك مصرياً واحداً ينظر إلى هذا التمثال وغيره فى الجيزة أو الأقصر أو الكرنك أو غيرها نظرة فيها رائحة للعبادة أو التقديس.

**● كيف رأيت قرار طالبان بتدمير التماثيل الأثرية ؟**

- قبل أن تتم عملية التدمير نصحت إخواننا فى (حركة طالبان) أن يراجعوا أنفسهم فى هذا القرار الذى اتخذوه، لعظم خطره وبعد أثره من عدة نواح :

الأولى: أنه يتضمن الإنكار على من سبقهم من المسلمين فى أفغانستان من عصر الفتح الإسلامى إلى اليوم، وقد كان فيهم العلماء الربانيون والرجال الصالحون، ولم يزيلوا هذه الأشياء التى يريدون إزالتها اليوم، وقد كانت موجودة من غير شك.

والثانية: أنه يُخرج كثيراً إخوانهم المسلمين فى أقطار شتى عندهم آثار مثل التى عندهم، ولم يفكروا مثل تفكيرهم، ولهذا أحدث قرارهم هذا ضجة فى العالم الإسلامى كله، وقوبل بدهشة واستنكار.

والثالثة: أن العالم يعتبر هذه الآثار القديمة من الكنوز البشرية النفيسة التى لا تقدر قيمتها ولا بمليارات الدولارات، كما يعتبرها ملكاً للبشرية جمعاء، ولهذا تسارع منظمة اليونسكو بالإسهام فى إنقاذ ما يتعرض منها لخطر التلف أو الغرق، أو عوامل الطبيعية، أو غير ذلك، حماية للتراث الحضارى الإنسانى.

**● كيف تقدر ثورة العالم ضد طالبان بعد هذا القرار ؟**

- يثير هذا القرار الخطير العالم ألإنسانى كله ضد طالبان، ويعتبر حركتهم خارج إطار العصر، ويقود حملة تشنيع عليهم، بالإضافة إلى الحملات القائمة بالفعل، والعاقل لا يفتح على نفسه باب شر يمكنه إغلاقه بشيء من الحكمة.

## سد الذرائع

**● ما هو التأصيل الفقهى لدعوتك لطالبان إلى عدم اتخاذ خطواتها هذه؟**

- شرع الإسلام قاعدة هامة هى (سد الذرائع)، وقال تعالى فى كتابه: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فقد نهى الإسلام المسلمين عن سب الأصنام، حتى لا يرد عليهم المشركون بسب الله تبارك وتعالى... ومن المعروف لدى أهل العلم أن النبى ﷺ ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم حفاظاً على مشاعر القرشيين الذين سينكرون ذلك، وهم حديثو عهد بالإسلام، فترك ذلك رعاية لخواطرهم، وقرر العلماء لهذا وغيره من الأدلة أن المنكر لا يزال إذا خشى من جرَّاء إزالته منكر أكبر منه.

## تم التدمير قبل وصول الوفد

لكن الوفد القطرى المصرى الذى تكوّن من: د. يوسف القرضاوى، د. نصر فريد واصل مفتى مصر، د. محمد الراوى عضو مجمع البحوث الإسلامية، د. ثقيل الشمرى رئيس محكمة الاستئناف القطرية، الشيخ عبد القادر العمارى نائب رئيس محكمة الاستئناف القطرية، د. علىّ محى الدين القرة داغى رئيس قسم الفقه والأصول بجامعة قطر، المفكر الإسلامى فهمى هويدى، د. هيثم الخياط نائب رئيس المكتب الإقليمى لمنظمة الصحة العالمية، وأ. إبراهيم بن بكر الأمين العام المساعد للشؤون السياسية والمسؤول عن ملف أفغانستان بمنظمة المؤتمر الإسلامى، أ. عبد الرحمن الخليفى مدير إدارة الشؤون الآسيوية والإفريقية بوزارة الخارجية القطرية، وترأس الوفد أحمد بن عبد الله آل محمود وزير الدولة للشؤون الخارجية القطرية.. هذا الوفد عاد من قندهار بعد أن التقى بعدد من علماء وأعضاء

المحكمة العليا لإمارة أفغانستان — حسب التسمية الأفغانية — والمسؤولين عن شؤون الإفتاء.. وأعلن أن موضوع تدمير التماثيل لم يكن محلاً للحوار، حيث أن التدمير قد تم بالفعل قبل وصول الوفد.

لكن د. يوسف القرضاوى أكد للأهرام العربى أن الآثار الأفغانية لم تمسّ، وأن التماثيل هى التى تم تدميرها فقط.. وأن مسؤولى أفغانستان يعتبرون الآثار ثروة تاريخية يجب الحفاظ عليها.. قال :

## طيبون ولكن !

التقيت بعلماء طيبين، لكنهم يعيشون فى الماضى، ولا ينتمون إلى الحاضر، ولا يعرفون شيئاً عن العصر ومشكلاته وقضاياه، فالعلماء المشايخ (الكبار) يعيشون على الكتب الصفراء وحدها، معتمدين على أقوال المتأخرين فى المذهب الحنفى، فهم لا يهتمون كثيراً بمقاصد الشرع، ولا قواعد الفقه وأصوله، فالفقه ليس مجرد حفظ المتون والحواشى، إنما الفقه هو النظر إلى مآلات الأشياء وما يترتب على العمل بها.. لكن الشباب من هؤلاء العلماء كانوا أكثر تفهماً لمنطقنا من الشيوخ! وقالوا: نحن فى حاجة إليكم فلا تتركونا فليس لنا تجربة.

## الأمر أمامه عقبات

**● وماذا عن مستقبل الفهم الإسلامى المحدود إذا ما تم تواصل بين علماء العالم الإسلامى وطالبان ؟**

- الأمر أمامه عقبات ما تزال موجودة، لكننا لا نيأس، ونرى الأمل معقوداً على الجيل الصاعد الذى أصبح يقرأ ويطالع نتاج الفكر الإسلامى المعاصر.

**● هل رأيتم إيجابيات لدى حركة طالبان يمكن أن تُجمِّل صورتهم أمام العالم ؟**

- لقد عملوا أشياء جيدة مثل الأمن والاستقرار، فالناس هناك يأمنون على أموالهم فى الأماكن التى تسيطر عليها طالبان، والناس يطيعون الحكومة لأسباب دينية طاعة كبيرة.

**● لكن الأفيون تجارة رئيسية تحدثت عنها وكالات الأنباء ؟**

- لقد أكدوا لنا أنهم قضوا تماماً على زراعة الأفيون وبيعه وشرائه، وأصدر علماؤهم فتوى بتحريم ذلك كله.

- **هل تناقشهم فى تحريمهم لتعليم المرأة ؟**

- لقد نفوا ذلك وقالوا: إن لديهم (١٢٠٠) طالبة تتعلم الطب فى أفغانستان تخرجت (٤٠٠) طالبة منهم، وقد جاؤوا لهم بأساتذة – بعضهم إنكليز • يدرسون لهم الطب خاصةً، ولكن المشكلة فى كثير من جوانبها مشكلة مادية وليست مشكلة دينية.. وقالوا: إنهم لا يجدون أمولاً ليصرفوا على تعليم البنات، وقالوا: لقد جاء السفير البريطانى وطلب منهم تعليم المرأة، فقالوا له: نريد (٢٠٠) مليون دولار، يمكننا أن نوفر منهم مئة، هل تعطونا أنتم مئة مليون من الاتحاد الأوروبى الذى جاء السفير مبتعثاً منه؟ تركهم السفير ولم يعد !.

## الدراسة بالمساجد مستقبلاً

روى لى فضيلة المفتى د. نصر فريد واصل أنه تقرر فى أفغانستان فتح الدراسة فى العام القادم من سن السادسة بشكل إلزامى أمام جميع البنين والبنات، وتخصيص المساجد كمدارس لاستيعاب أعدادهم.

لكن ذلك لا ينفى أنهم قوم متشددون، حين ضاقت عليهم أمورهم ولم يجدوا مالاً ينفقون منه على التعليم أمروا بتعليم البنين دون البنات.. وكانت إحدى مهام الوفد الإسلامى هى توضيح موقف الإسلام من تعليم البنات، ورؤيته فى أحقيتها فى التعليم مثل البنين، وكانت فكرة المساجد مخرجاً لتغير الوضع الحالى إلى وضع أفضل.

## هل أعدموا التليفزيون

أمام إعدام التليفزيونات التى شاهدناها فى صور وكالات الأنباء فقد قالوا للوفد: إن اقتتال الفصائل دمَّر جهاز الإرسال فى أعالى الجبال الأفغانية، كما أن الكهرباء مشكلة فى أفغانستان، فلم يعد هناك داع لاستخدام التليفزيون، لكنهم أكدوا للوفد الإسلامى احتفاظهم بالأرشيف الإفغانى كاملاً بشرائطه وأجهزته حتى ينتهى الاقتتال الحالى بين الفصائل المختلفة.

## إنهم ينفون الآخر

إن لجوء علماء أفغانستان إلى التعامل مع مذهب فقهى واحد هو نفى للمذاهب الإسلامية الأخرى، كما أن تصميمهم على تدمير التماثيل رغم ما ألحقه ذلك من ضرر لدى مسلمى آسية حيث أحرق متعصبو الهندوس القرآن الكريم هو نفى للآخر.. ومع ذلك

التعصب لمذهب فقهى واحد فقد كشف الشيخ عبد القادر العمارى نائب رئيس محكمة الاستئناف القطرية عضو الوفد الإسلامى إلى قندهار أن هيئة الإفتاء والبحوث بالمملكة العربية السعودية التى يصدرها كبار العلماء، والتى ينسب إليها بعضهم هذا النوع من التفكير؛ بريئة من ذلك، حيث عثر العمارى على فتوى تحمل رقم (٣٢٠١) فى الجزء الأول من مجلدات الفتاوى تقول: " على ولاة المسلمين وأعوانهم هدم الأصنام إذا لم يخشَ من هدمها إثارة فتن لا يُستطاع إطفاؤها، فإن النبى ﷺ لم يُزل الأصنام التى كانت على الكعبة والتى بداخلها أول الأمر من دعوته إلى التوحيد وتسفيه أحلام المشركين لعبادتهم الأصنام، فلما قَوِىَ المسلمون أزالها عام فتح مكة، وإذا هدمت جاز أن نأخذ من أجزائها ما ينتفع به إذا أمنت الفتنة ولم يخشَ الضرر".

ومع ذلك فإن وزير الإعلام الأفغانى المولوى قدرة الله جمال؛ طفق يصرِّح لوكالات الأنباء والصحفيين بأن تماثيل باميان (وسط أفغانستان) أشياء من وحل وحجارة، وليس من حق العالم أن يتدخل فى القضية، فأى فكر أو فقه يوجه هؤلاء القوم!

## الخروج من العزلة واجب

لكن الوجه الآخر للقضية عبّر عنه د. يوسف القرضاوى حين قال: " لقد سعى الوفد الإسلامى إلى أفغانستان إلى إخراج هؤلاء من عزلتهم التى فرضت عليهم من المجتمع الدولى، والحصار الجائر الذى ضرب عليهم، والحوار مع علمائهم حول القضايا الفقهية التى قد تختلف وجهة نظرهم فيها مع كثير من علماء الأمة.

ثم ناشد د. القرضاوى الأمم المتحدة وهيئاتها المختلفة، أنها كما عُنيت بحماية التاريخ والتماثيل القديمة وغضبت لها: أن تبدى مثل هذه العناية للبشر الأحياء، فكل يوم يموت لدى أفغانستان أربعمائة طفل من شدة البرد، كما أن أطفال فلسطين وأهلها جميعاً يعانون من قسوة الحصار وطغيان إسرائيل، وعتاة الصهيونية الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد، فلا يشك إنسان ذو قلب أن العناية بالأحياء أولى من الأموات، وأن الاهتمام بالبشر مقدم على الاهتمام بالجماد.

لكن زيارة الوفد الإسلامى الذى ترأسه د. القرضاوى ود. واصل لم تستغرق إلا اقل من (٤٨) ساعة"، حيث غادروا الدوحة فى السادسة من صباح ١١ من مارس، وعادوا إليها فى الثامنة من مساء الاثنين ١٢ من مارس.. ولما سألت عن أسباب العودة المبكرة قالوا: إن

الكهرباء لا تضاء فى مطار قندهار فهم فى حالة حرب.. وربما تكون الكهرباء غير موجودة أصلاً.. أليس توفير الكساء لأطفال يموتون من البرد، وتوفير الدواء لمن يموتون من المرض، وإيجاد سبل الإعاشة ومنها الكهرباء أولى لعلماء طالبان من الاهتمام بأمور مختلف عليها من الدين من حيث الأوليات والضرورات؟!

وإذا كانوا قد صرخوا بالشكوى من مقاطعة العالم الإسلامى خاصةً لهم؛ ألم يفكروا فى معرفة السبب — بعيداً عن السياسة — فيؤمنوا بأن فكرهم وفتاواهم ليس شرطاً أن تكون الأصح والأصوب دائماً، وأن من واجبهم أن يؤمنوا باحتمالية الصحة لدى الرأى الآخر!.

❖ ❖ ❖

# الفهرس